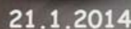
محمد عيسى الخاقاني

مئة عام مع الوردي







دار الحكمة
لندن



محمد عيسى الخاقاني

مئة عام مع الوردي

دار الحكمة
لندن

مئة عام مع الوردي

- مئة عام مع الوردي
- تأليف: محمد عيسى الخاقاني
- الطبعة: الثانية ٢٠١٣
- الناشر: دار الحكمة ـ لندن
- اصدار: المركز الثقافي العراقي ـ لندن
- الاخراج الفني: شركة MBG (INT) Ltd ـ لندن

ISBN: 978 1 908918 63 5

DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution



88 Chalton Street, London NW1 1HJ Tel: 44 (0) 20 7383 4037 Fax: 44 (0) 20 7383 0116

E-Mail: hikma_uk@yahoo.co.uk Website: www.hikma.co.uk

محتويات الكتاب

مقدمة الكتاب: مئة عام مع الوردي

عشرة أعوام عشتها مع الاستاذ الدكتور علي الوردي كانت بمثابة مئة عام، فقد عايشته تاريخا ممتداً، تحدث فيه معي عن طفولته، شبابه ودراسته، ودخوله العراق كفاتح علمي اراد نقل المجتمع البدوي الى مجتمع مدني يحكمه القانون في اوائل الخمسينات، حدثني عن تحوله الفكري في بيروت حين ذهب لدراسة البكالويوس، بعد ان كان قبلها بسنين يقف في الحضرة الكاظمية شاعرا مفوها في المناسبات الدينية، ثم انتقالتة الفكرية الاخطر حين دخل جامعة تكساس لنيل الماجستير والدكتوراة، وكيف ان رئيس الجامعة انتدبه لينيب عنه بالقاء محاضرة في جامعة نيويورك، كرمه على اثرها عمدة نيويورك آنذاك، حدثني كيف عاش وتعايش مع الانظمة السياسية المتعاقبة على العراق.

خدمني الحظ ان اكون معه في اغلب محاضراته في السنوات العشر الاخيرة من عمره، وكذلك فقد كانت السنوات الاولى من مجلس الخاقاني الثقافي ببغداد مخصصة له وحده، حيث لم يكن وقتها قد تعارف على اسلوب القاء المحاضرات في المجالس الادبية، انما المجالس في بغداد كانت تسمى (قبولات) يستقبل فيها صاحب البيت رواد مجلسه ويتحدثون في شؤون الادب والثقافة وربما السياسة، وكان مجلس الخاقاني وبمقترح من

الوردي نفسه هو من ادخل اسلوب المحاضرات الاكاديمية الى المجالس الادبية.

وشاءت الاقدار ان ارافق ايام مرضه الاخيرة، حين اصيب بسرطان المرارة الذي ادى لوفاته، خططت شخصيا لعلاجه خارج العراق ونجحت ولله الحمد بمساعدة بعض الاخوة لنقله الى الاردن للعلاج، وسوف اورد قصة علاجه في هذا الكتاب، لكن لسوء الحظ كان المرض قد استشرى في كل جسمه، فعاد الوردي الى العراق بعد اجراء عملية فاشلة في عمان، يقضي آخر ايامه في بيته بالاعظمية حتى وافته المنية.

كان الم مصاب فقدان الوردي كبيرا على كل من عرفه، قررنا نحن احبته بأن نشيع جنازة الوردي من سوق الكاظمية القديم، حيث كان يقطع الطريق يوميا قبل مرضه، وقد تحول التشييع الى مظاهرة، وترك لنا كبار القوم ما اردنا رغم خطورته في ذلك الوقت العصيب ١٣ تموز يوليو من عام ١٩٩٥ للميلاد، وقد اشترك في التشييع الالاف من اهالي الكاظمية وزوارها، في اول مظاهرة صامتة لا تردد سوى: الله اكبر، لا اله الا الله، وقد اربكت المظاهرة الامن المربك حينها، وادخلتهم في حالة طوارىء، فقد كنا نسمع عبارات ادانة للدولة تعلو وتخفت اثناء التشييع (سوف اذكرها حين الحديث عن الموضوع بالتفاصيل)، حتى عالج المرحوم العلامة الدكتور حسين علي محفوظ الوضع بعد انتهاء الصلاة على جثمان الوردي وخروجنا من الحضرة الكاظمية، بان طلب من السيارات حمل الجثمان من باب القبلة الى جامع براثا، وهو ما لم اكن اخطط له، فقد كان بودي ان تسير المظاهرة الى جامعة براثا، لكن العلامة محفوظ رحمة الله عليه يعلم باني لن اخالف له امراً، وقد رافقتنا الجماهير الغفيرة حتى المدرسة الايرانية قرب شارع المفيد ومن هناك انطلقنا الى مقبرة جامع براثا ودفنا عميد الاسرة الوردية العلوية في مقابر

قريش، ويؤسفني ان اكون من اواخر الذين حملوا الجثمان الى آخر مكان في الدنيا ينام فيه جسد الانسان بلا حراك، حيث يوضع في لحده.

ولأن الوردي رحمة الله عليه كان يكره الحفلات التأبينية التي تشيد بالفقيد ايا كان، فقد طلبت من متخصصين كبار في مجال العلم والادب بالقاء محاضرات عن الوردي في سنويته، كل بحسب تخصصه، وقد تحدثت عن الوردي في الحفل التأبيني الذي اقامه الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين في بغداد.

مات الوردي... ولم تمت ذكراه، وبقى علمه وفكره، مات الوردي... الا ان قصته معي لم تنته، فقد ذكرني شخصيا او ذكر مجلس الخاقاني اغلب من كتب عن الوردي بعد وفاته، وقد استخدم اغلبهم صور الوردي في مجلس الخاقاني في كتبهم التي صدرت، واشهد الله باني لم ابخل على اي احد سألني عن الوردي، ولا اخفي سعادتي بذلك، وكنت كذلك متابعا بشغف لما يكتبون، وان كانت لدي ملاحظات على ما كتبوا، الا ان كل شخص في النهاية يمثل نفسه حين يكتب.

فرضت علي هذه المتابعة لكتابات غيري، ان اشمر الساعد للكتابة عن الوردي، خاصة بعد ان قرأت بحثا علميا جميلا نشرته جامعة الكوفة في مجلتها الدورية للدكتور علاء حسين الرهيمي والاستاذ علي طاهر الحلي بعنوان (علي الوردي بيئته ونشأته وجهوده التربوية... دراسة تاريخية)، وبالرغم من جودة البحث اكاديميا والجهود المبذولة فيه، الا ان الباحثان واجها مشكلتين اساسيتين، الاولى: قلة المصادر المكتوبة المتوفرة عن حياة الوردي والثانية: المرويات عن حياة الوردي شحيحة جدا، وقد اشتكى الباحثان من انهما طلبا من المهندس جعفر ابن الدكتور علي الوردي بعض المعلومات ولم يحصلا عليها واعتقد ان بعض المرويات التي حصلوا عليها، ربما، لم تكن

قد رويت او كتبت على نحوها الصحيح كما حدثت في ارض الواقع، وتلك من اهم مشاكل البحث العلمي التي يواجهها اي باحث.

ولا يكمن ان اخفي سعادتي بالبحوث والدراسات التي صدرت عن علم وحياة الدكتور علي الوردي، وكذلك اسجل انزعاجي من آراء بعض الشباب الذي يبدو من كتابته بأنه لم ينضج علميا وثقافيا بعد، حيث دفعته عاطفته المشبوبة في مثل عمر الشباب الى جعل الدكتور علي الوردي وعلم الاجتماع الذي يفخر باستاذ مثله، جعله (اكذوبة الوردي وتأسيسه لعلم الاجتماع في العراق)، وانه ليس المؤسس لقسم الاجتماع في كلية الآداب ببغداد، ولا تربطه اي رابطة بعلماء الاجتماع ومنظريه، زاعما ان الوردي (ليس عالم اجتماع وكذلك هو ليس مؤرخ)، لقد اسقط هذا الشاب الذي لا اريد ذكر اسمه، (فلعله اراد من فعلته ان يشتهر)، وسوف يجد في طيات هذا الكتاب مبتغاه ان شاء الله، بعد ان ذكرت له قصة تأسيس قسم علم الاجتماع في كلية الاداب، ويسرت له مناهج البحث العلمي وآليات البحث الاجتماعي التي اعتمدها الوردي والعلماء الذين تأثر بهم، وصدى افكاره في الدول المجاورة، فاعتذر منه لعدم ذكر اسمه حتى لا اشارك في شهرته، اقول لقد اسقط هذا الشاب كل ما يسمعه في نشرات الاخبار والمجادلات السياسية العقيمة في القنوات الفضائية، عن وجود مؤامرة مزعومة دائمة ضد الامة العربية والاسلامية، واسقطها كلها على الدكتور علي الوردي، جاعلا منه رحمه الله من اركان هذه المؤامرة.!

شعرت حين قراءة البحثين العلمي من جامعة الكوفة واللاعلمي من الشاب الحاقد على الوردي، بان الاوان قد آن لكي اكتب ما عندي عن الوردي وان اضع بعض الوثائق المفقودة عن حياته في خدمة البحث العلمي والتاريخ، واسهل وايسر على بعض الكتاب من الشباب الذين لا يبذلون

جهدا في البحث والتقصي بقدر ما يستسهلون الكتابة، لكي اضع لهم بعض مفاتيح البحث في دراسات الوردي، وكذلك اوفر لهم نسبة كبيرة من الوثائق، داعيا من يريد ان يكتب عن الدكتور الوردي التحلي بروح الصبر والمثابرة والمتابعة.!، لهذه الاسباب... وبعد ان عشت مع الوردي عشر سنوات هي بمثابة مئة سنة من المعرفة، قررت ولعشرة اسباب ان اكتب عن الوردي، وهذه الاسباب هي:

اولا : التقيت الوردي وعشت معه في آخر عشر سنين من عمره رحمه الله، وقد تجاوز الوردي فيها مرحلة التنظير في شبابه او الاستقرار في كهولته ووصل الى مرحلة النتائج واعادة القراءة في شيخوخته دون ضغط من المجتمع او خشية من تفسير خاطيء للسلطات الحاكمة المتعاقبة على العراق، فقد عرف الجميع آراءه، وكانت كتبه الاكثر مبيعا في العراق على مر السنين، لكنه تحدث بعد هذه التجربة بلغة اخرى، احببت ان اطلع القاريء والباحث عليها.

ثانيا : حين التقيت الوردي، كنت قد اقفلت باب المراهقة العمرية والفكرية خلفي ودخلت الى مرحلة الشباب والقراءات الناضجة وحددت وجهتي العلمية والادبية، وكانت ذاكرتي في اعلى مراحل استيعابها، حيث استقبلت الوردي وانا في الخامسة والعشرين من عمري وودعته الى مثواه الاخير وانا ابن السادسة والثلاثين واكتب عنه الان وانا ابن الخمسين!، واعتقد ان خلاصة هذه التجربة يجب ان تصل الى الناس.

ثالثا : بعد سنوات من الشد والجذب مع الوردي، للخروج بصيغة (حقيقية) خول آراءه في الحياة عامة وفي المجتمع العراقي خاصة، والتي يحكيها الوردي او يتراجع عنها او يؤيد من يخالفها بحسب الظرف الذي هو فيه، ويعرف المقربون من الوردي انه كان يتهكم على بعض مناقشيه،

فيؤيدهم وهو على عكس ذلك، وربما امتدحهم وهو يقصد ذمهم او ان يرمي الكرة في ملعب غيره تخلصا من ازمة متطرف يناقشه بقوله: (يا عمي العلماء بالغرب يقولون..انا شعليه، انا مجرد ناقل.. روح ناقشهم)...، اتفقت معه (رحمة الله عليه) ان يصارحني دون غيري من الاحبة بحقيقة الفكرة والنظرية، وهل هو صاحبها، ام انه فعلا نقلها، وهل حقا تراجع عنها، ام انه تراجع عن مناقشتها مع من لا يستوعب اسلوب النقاش العصري، فلم تكن كل آراء الوردي في المناقشات صادقة، فالوردي يتفق مع كارينجي في مقولته الشهيرة: (افضل طريقة لكسب النقاش هي تجنبه).

لذلك فقد استوعب بعض الاحبة قصص الوردي على غير ما اراد هو (الوردي)، واقول ربما على عكس ما اراد الوردي ان يوصله للناس، ولم يكلفوا انفسهم عناء متابعة بعض قواعد الوردي الفكرية من مؤلفاته شخصيا، بل اكتفوا بما لديهم عنه من احداث معاشة، هي في الحقيقة محكومة بظروفها الوقتية الاجتماعية والسياسية، فبات فكر الوردي مقيدا بفكر من ينقل عنه، وثقافة الوردي محدودة بثقافة الراوي، فاختلطت بعض الامور وتداخلت بعض القضايا، وهي بالفعل تحتاج الى فرز وتنقية، وسوف اجهد هنا لتنقية الاختلاط وفرز التداخل.

رابعا : كنت في السنوات الاخيرة من عمر الوردي بمثابة مكتبة ميسرة متنقلة له، يسألني عن آخر قراءاتي فالخص له ما قرأت، وقد اعجب بتحليلات الاستاذ محمد حسنين هيكل في آخر ما نشرت له مجلة وجهات نظر، كذلك كنت اسعف الوردي بمجلته الدورية المفضلة (Readers Digest)، وانقل له كل ما عثرت عليه من آراء حول كتبه، او اذكره ببعض القصص التي رواها في بعض كتبه لأستفسر منه عن بعض الجوانب التي اراها مهمة.

وفي اطار هذه المهمة التي حملتها نفسي، فقد جمعت بينه وبين بعض المفكرين في جلسات خاصة في الايام التي لم تكن مخصصة للمجلس، ومن الشخصيات التي التقاها الوردي بحضوري الشيخ علي طهراني الفيلسوف الايراني المعروف وصهر السيد علي خامنئي مرشد الثورة الايرانية، وهو كان معارضا للنظام الايراني في بغداد، والعلامة الشيخ عيسى الخاقاني والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ، والمؤرخ الكبير السيد عبدالرزاق الحسني ووزير الاوقاف الاسبق عبدالله فاضل السامرائي، وارى الان انه يجب ان تعرف مناقشاته معهم، فربما اخذتني الحياة مآخذا ابعدتني عن هذه القصص فتناثرت بين صفحات كتب الاحبة منقولة عني وليس كما يجب ان تكون، اما الان فاودعها كما رأيتها وسمعتها وشاركت فيها شخصيا اودعها في كتاب لتكون مصدرا لمن شاء ان يبحث او يتابع.

خامسا: كلنا كبشر نحب ان يسألنا الناس عما نحب ونكره او عن الارقام او الاسماء التي نفضل او ان نعطي رأينا في بعض شخصيات التاريخ والتراث، وقد اخضعت الوردي لبعض هذه الاسئلة واخذت رأيه في بعض الشخصيات والاحداث، وهي بمجملها تحمل دلالات عن شخصية الوردي، بالرغم من اني ما زلت اعض اصابع الندم على الرأي الذي لم يصرح به لغيري، وقد خسرته بسبب تصرف طائش من احد الاقارب!

وقصة ذلك اني كنت قد سجلت رأيه في معركة جورج بوش الاولى مع العراق سنة ١٩٩١ ميلادية (عاصفة الصحراء) على شريط فيديو دون ان اخبره بذلك، حيث وضعت كاميرة الفيديو في زاوية من المجلس لا ينتبه لها احد (وكنا يومها في جلسة خاصة وليس في يوم المجلس العام) وبدأ الوردي باعطاء رأيه في هذه المعركة الخاسرة علميا، ومجازفة الاستمرار فيها للنهاية، والتي توقعها كارثية....ولكن ! فاجاني احد الاحبة من اقاربي في المجلس

و(دون سابق انذار) بحمل الكاميرا والوقوف امام الوردي وهو يستعرض فنونه التصويرية!

زعل الوردي علي يومها وهددني بعدم المجيء الى بيتي، لو انني كررت هذا الامر، وصورته دون ان استأذنه، خاصة وانه يتحدث في موضوع خطير كهذا، وامرنا بمسح الشريط امامه، وقدمت اعتذاري للوردي، الذي صمت دقيقة وعاد لنفس الحديث مرة اخرى...! ولكن كانت اغلى وثيقة قد ضاعت!، بالرغم من انها محفورة في الذاكرة، الا انها كان يجب ان تنشر، وسوف انشرها في هذا الكتاب خشية ان تغطيها مشاكل الحياة ويحجبها الدخان الذي يثار حول آراء الوردي السياسية في هذه الايام...

سادسا: لم يعرف عن الوردي انه كتب قصة حياته وكان يتضايق حين يطلب منه ان يتحدث عن حياته الخاصة، وقد لخصها مرة احدة لمجلة التضامن اللندنية في ستة حلقات، حاول من خلالها ان يوصل رأيه في المجتمع بشخصية البطل، فهو لم يتناول علي حسين محسن الوردي الطفل والشاب والطالب والجامعي والدكتور الا لماماً، بقدر ما تناول دور الانسان وطبيعته في العراق في فترات الحكم العثماني ثم الحكم الوطني (الملكي) والى فترة الانقلابات الجمهورية، دارسا تحول المجتمع العراقي الى الحياة المدنية وصعوبة استيعاب البداوة لها.

ما زلنا نحن قراءه نتذكر كيف ان الوردي اشار الى ان العرب يسمون العمل (مهنة) لأنه يأتي من الاهانة وان الشخص الذي يعمل مهان وممتهن، فالعربي بطبعه البدوي يهين صاحب العمل الثابت، فهو غاز ونهاب وسلاب ومن ثم فهو منتصر... وكذلك نتذكر حين كتب عن مفتي بغداد في منتصف العشرينات من القرن الماضي، ذلك المفتـي الذي امر بناته ان يلبسن الحجاب في البيت خشية من ان يراهن الطيار من طائرته في السماء وهن

(مفرعات)، ومفرعات مصطلح بغدادي يقال للمراة غير المحجبة!، وتمنى الوردي لو ظهر المفتي من قبره الان ليرى حفيداته وهن يلبسن على الموضة الفرنسية!، وكثير من هذه القصص الجميلة التي اوهم الوردي مجلة التضامن بانه يتحدث عن نفسه، في حين انه تحدث عن تاريخ يريد ان يربطه بالواقع المعاش آنذاك.

شخصيا كنت استغل فترة بقاء الوردي في سيارتي حين نتنقل من مكان لآخر، وامطره باسئلة ودية، ليحدثني عما يحب وما يكره، وما يضايقه وما يريد ان يفعل، وهل اثقل عليه الحصار ام انه يتدبر اموره، ولماذا اطلق على اولاده الثلاثة وابنته هذه الاسماء(حسان، جعفر(حماد)، فيصل والسيدة سيناء)، واي من الشخصيات التاريخية كان يعجب الوردي ولماذا؟ وكيف ينظر الى جوانب من التاريخ والتراث؟ وسوف اترك في هذا الكتاب كل ما سمعته من الوردي عن حياته الشخصية، كان الرجل يحتاج الى متنفس كبقية البشر، واعتقد اني كنت مستمعا جيدا، واتمنى ان اكون ناقلا جيدا لما سمعت.

سابعا : كانت بعض قصص الوردي وآراءه غريبة وعجيبة في الاحداث والشخصيات لم يحوها في اي من كتبه ولا مقالاته المنشورة، ولم يعرفها غيري او ربما اشتركت مع بعض المقربين منه في معرفتها، ونشر بعض الاحبة والمقربين من الوردي، بعض هذه القصص، جاعلا مني مصدرا لكتابه مستشهدا بوجودي معهم، وهم (هذا البعض) على حق فقد كنت حاضرا معهم حين تحدث الوردي، لكن الحق اقول ان روايتهم لبعض القصص لم تكن كما يجب ان تكون!، او كما قالها الوردي رحمه الله او حدثت له.

قرأت بعض القصص فوجدتها قد تأثرت بعوامل الزمن واصابتها حالات من التعرية والوهن وسوء الفهم، فهذه القصص تحتاج الى تعديل او

تضبيط، في تواريخها ورجالاتها واماكن وقوعها، وربما انطبق على بعض رواة قصص الوردي، ما قال سقراط بحق احد طلابه: (بان هذا الفتى ينتحل عني الكثير)!، ويؤسفني ان اقول باني قد قرأت قصصا كثيرة لأصدقاء واحبة يعرفون الوردي، لم تكن دقيقة على وجه التحديد، لذلك بحثت ونقبت في اصل القصص ولله الحمد، حصلت على بعضها ولسوء الحظ لم احصل على غيرها، وذلك ديدن الباحث كما كان يردد الوردي رحمة الله عليه، وكان يجب ان تصحح بعض القصص خدمة للتاريخ والحقيقة، وسوف ابذل جهدي في تصحيحها، دون الشك في نية راويها، فالانسان يبذل وسعه والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى.

ثامنا: ليس في مجال دراستي الكتابة عن الشخصيات العلمية (الا في حدود المقارنة بين اثارهم الادبية) ولكن شاءت الاقدار والظروف ان اكلف مرتين في الكتابة في هذا المجال، كانت الاولى عندما امرني آية الله الفقيه السيد حسين السيد اسماعيل الصدر بالكتابة عن تاريخ آل الصدر في مقدمة لكتاب يعده حفظه الله، وفي ظروف العراق في منتصف التسعينات، والمرة الثانية عندما كلفني الاستاذ مؤيد عبدالقادر في الكتابة عن شخصية البروفسور الدكتور عبدالهادي الخليلي بناء على طلبه الغالي، وكنت حقا راغبا بهما سعيدا باختياريهما، (تاريخ آل الصدر وعملاق الرافدين) وقد توقفت بعد ذلك عن الكتابة في الاسر والشخصيات منذ عام ١٩٩٧ الميلادي الى يومنا هذا، ولسببين مهمين عدت للكتابة في الشخصيات، السبب الاول: هو تحيّز بعض الكتابات التي نشرت عن الوردي بعد وفاته، لأنها تأثرت بمبدأ كاتبها السياسي مع الاسف، فبات الكاتب او المؤلف يجمّل او يعدّل او يؤلف بعض الاحداث بناء على رؤيته هو لا كما كان يقولها الوردي او حدثت فعليا معه، ولذلك ارى اعادة بعض القصص التي نشرت في اماكن متعددة، بلسان اصدق واقرب الى لسان الوردي دون تدخل عقدي (عقائدي) مني، كما

حصل مع بعض الاخوة، واراه واجبا يحتم علي تجاه الوردي الذي كان ينادي بالمنهجية العلمية والبحث عن الحقيقة حتى قبل وفاته بايام، والسبب الثاني: هو عزوف الكتاب والمؤلفين عن الكتابة في فكر الوردي ونظرياته وآراءه العلمية ومناهج وآليات بحثه، الا فيما ندر، وقد تحولت حياة الوردي عند اغلب الكتاب والمؤلفين الى سيرة وذكريات ووصلت الى المسلسلات التلفزيونية، فوجدت ان الواجب يحتم علي ان ابحث في منهجية الوردي العلمية ومناهجه الفكرية التي اعتمدها في دراساته الاجتماعية، ولا ازعم اني قد تمكنت منها كلها، ولكني وضعت مفاتيح للباحثين تيسر عليهم عملهم العلمي سواء اتفقوا مع كتبت واستنتجت او اختلفوا معه.

تاسعا: كنت اجلس بالقرب من المرحوم الدكتور عبدالامير الورد في قاعة اتحاد الادباء العراقين في تأبين الوردي، وقد بدأ الدكتور حسان اكبر ابناء الوردي بسرد سيرة والده معهم، واشاد بحنانه وعاطفته مع اولاده، وكيف كان يناقشهم في كل امورهم الحياتية، وهنا ضحك الدكتور عبدالامير الورد وتمتم قائلا: لقد كنت جارهم في الكاظمية قبل ان ينتقل الوردي للعيش في الاعظمية، وشاهدت قسوته في تأديب اولاده، فقلت له ربما تغيير بعد عودته من الولايات المتحدة متخذا من اساليبهم الامريكية اسلوبا في تربية اولاده، وانت لم تشاهده في الاعظمية، فقال الدكتور الورد، لكن كتابة التاريخ تفرض على الدكتور حسان ان يذكر كل الجوانب الايجابية والسلبية، وفي كل الامكنة، واراه الان محقا، احسست ساعتها ان تاريخ الوردي قابل للتزوير، وان كنت ارى ان الدكتور حسان كان على حق في تجميل صورة والده امام الناس، خاصة وان محل طرح الراي لم يكن جامعة او بحث علمي او محفل ثقافي، بل كان مجلس تأبين، ولم يخطر ببالي انه يجب ان اصحح لكل من يتحدث عن الوردي، فللحدث (الوفاة والتأبين) حضورهما الطاغي ولفقدان الوردي هيبته!

اما الان وبعد مرور ما يقرب على العقدين على وفاة الوردي، اجد ان التزوير والتصحيف والقول والتقول قد كثر على هذا الاستاذ الكبير، الذي شغل الناس حياً وميتاً، فاردت ان اضع ما اعرفه عن الوردي دون تدخل من محبة اكنها له او بغض احمله على خصومه، اضعه مصححا للناس والتاريخ.

عاشرا واخيرا: تعلمنا من الباحثين الغربيين متابعة علمائهم وادبائهم في ادق تفاصيل حياتهم، بدءا من حياتهم الشخصية والمهنية انتهاء الى حياتهم العلمية، وهذا ما افتقدناه عند الباحثين العرب، لذلك قررت ان اضع ثلاثي تأسيس مجلس الخاقاني الثقافي في بغداد الدكتور علي الوردي العلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور الشيخ عيسى الخاقاني ضمن مشروع كتب تروي كل جوانب حياتهم العلمية والعملية، راجيا العلي القدير ان يوفقني لأتمام هذا المشروع، الذي سيخدم بدوره المكتبة العربية والباحثين العرب الشباب ان شاء الله...وسوف يكون الدكتور علي الوردي رحمة الله عليه باكورة هذه الاعمال ان شاء الله.

وبعد هذه المبررات العشرة التي اقنعت نفسي بها، وهي نفسها التبريرات التي احاول اقناع القاريء العزيز بها اقول: ان هذا الكتاب سيكون محاولة لنقل صورة حقيقية عن جوانب مهمة عن حياة الوردي وفكره، بعضها قد اطلع عليها الناس وبعضها الاخر لا يعرفه احد، فالكتاب اخذ من الوردي منهجية له، فقد كان الدكتور علي الوردي يصدق نفسه في الكتابة دائما، لذلك اجد ان تكون الكتابة عنه صادقة، وهو الذي اعتاد ان يعترف بخطأه اذا ما اخطأ في مكان ما، ولطالما قرأنا عنه الجملة التالية: ان الافكار المطروحة في هذا الكتاب ليست مقدسة فربما غيرت وبدلت بعضها واعتذرت عن بعضها الاخر.

حدثني يوما بانه ندم على خاتمة كتابه اسطورة الادب الرفيع الذي صدر

في يونيو حزيران من عام ١٩٥٨ ميلادية اي قبل الانقلاب العسكري الذي اطاح بالعهد الملكي باقل من شهر، والذي قال فيه الوردي عن ساسة الحكم الملكي في العراق بانه (لن يسكت عنهم الشعب حتى يراهم ممرغين في التراب)، واخبرني كيف تعاتب معه احد اركان النظام الملكي عن هذه الجملة المؤلمة، فقال له الوردي، بعدما رأيناه من الانظمة الجمهورية التي جاءت بعدكم، اثبتم انكم افضل منهم بكثير، حيث لم يستدع شخص طلب من الشعب ان يمرغكم في التراب الى مباني مديرية الامن العامة، في حين من جاءوا بعدكم كانوا يحاسبون الناس على انفاسهم.

سوف يرى القاريء الكريم هذه الرواية كاملة في طيات هذا الكتاب، انما ذكرتها لصدق الوردي في انه اخطأ حين كتب عن العهد الملكي ذلك النص، ولذا سوف اروي ما اعرفه عن الوردي ليكون صحيحا، وسوف اتجاوز القصص التي لا اعرف مصدرها او صحتها من سقمها.

لا يسعني هنا الا ان اقول انني استفدت كثيرا من بحث الدكتور علاء الرهيمي والاستاذ علي طاهر الحلي في استكمال بعض جوانب حياة الوردي العلمية، خاصة فيما يتعلق باضبارته في جامعة بغداد، وكذلك من كتابات الاستاذ سلام الشماع الاخيرة، وان صححت بعضعها او اشكلت على البعض الآخر منها، الا انه يحسب له بأن كتب كل التفاصيل التي يعرفها عن سيرة الوردي، وبمنظاره الشخصي!

ما اختص به دون غيري من الاحبة في (موضوع الوردي) سيكون في هذا الكتاب، وقد منهجته لتحديد وتنظيم معالم كل قضية وحدث، تيسيرا على القاريء الكريم بحسب ما وجدته صحيحا في اربعة فصول:

الفصل الاول : علي الوردي صورة قلمية

الفصل الثاني : علي الوردي كما عرفته

الفصل الثالث : الفصل الثالث: كتب الوردي، علماء تأثر بهم، مناهجه البحثية، اثره الفكري، وآخر مناقشات الوردي

الفصل الرابع : الوردي والسياسة

سوف يتعرف القاريء الكريم في هذا الكتاب على الدكتور علي الوردي برسم صورة قلمية له، اسمه، نسبه وولادته بالتحديد، وسنرى كيف ان علم الاجتماع كان قدره منذ ان ادرك الحياة، ثم مرحلة الطفولة والشباب ومرحلة الدراسة والتدريس، وكيف التقى الوردي بقدره فاعترض عليه!، ونتابعه في مرحلته دراسة البكالوريوس في بيروت، ومن ثم دراسة الماجستير والدكتوراة في جامعة اوستن تكساس الامريكية، ونتعرف على شهادته الجامعية، تاريخها، موضوعها والاساتذة الذين ناقشوه، ثم عودته الى العراق، وكيف اسس قسم الاجتماع ضمن كلية الاداب بجامعة بغداد، ثم احالته للتقاعد ومنحه لقب استاذ متمرس وسحبه منه، ونتابع نشاطاته العلمية بعد التقاعد، استاذا زائرا في جامعة وارشو، حتى منعه من السفر وانتقاله الى ساحة المجالس الادبية

ومن ثم تأسيسه لمجلس الخاقاني الثقافي، وحتى مرضه الاخير ومحاولة علاجه التي جاءت متأخرة في الاردن، ثم تكريمه من قبل اتحاد الكتاب، وحتى وفاته، والمظاهرة الجماهيرية التي خرجت في تشييع جنازته، ودفنه في مقابر قريش، ثم السنوية العلمية التي اقيمت له في مجلس الخاقاني.

وبعد ان تعرفنا على الدكتور علي الوردي من الميلاد الى الوفاة، ننتقل الى الوردي كما عرفته، وصور من سيرة حياته التي كان يتمنى ان يسميها سينما بغداد، ومعنى عبارته التاريخية المشهورة: سوف ادخلك التاريخ، ونرى صورة غير معهودة حيث الوردي اسلاميا وعروبيا، ثم نطلع على بعض

آراءه في المجتمع وهي دعوته الى عدم غلق مبغى بغداد في العهد الملكي، ومرصده الشخصي للمقاييس، ثم سوف يسير مع الشاعر الشنفرى في شارع المتنبي ويعبر الشارع في راس الحواش ويصلي في الحضرة الكاظمية ويتألق في كنيسة الارمن الارثوذكس ويذهب الى الحلقة الذكر في التكية الكسنزانية، ويلعب فن السياسة في وزارة النفط، وكيف منعت دولة قطر محاضرته، وكيف تملكني الرعب وانا استمع الى محاضرته في قاعة امانة بغداد، مع تحذير الاصدقاء بعدم المبالغة السياسية امام الوردي، ومن ثم حضوره لثلاث فواتح لمسؤولين، وكيف عقد اتفاق هدنة في مجلس الخاقاني بين الوردي وخصومه، وما وجه اعتراض الوردي على فتوى الامام الخميني في الملكية الفكرية، وما هي مصطلحاته الخاصة، وماذا يعني بشكره للمداحين في عيد ميلاده الثمانيني، وكيف وجد المذهب التلفيقي الذي يحل الرقص والنساء وشرب النبيذ، واخيرا مناكفات مجلسية كانت مع الوردي للذكرى.

وطالما قد اطلعنا على حياة الوردي منذ الطفولة الى الوفاة ثم رسمنا صورة له كما عرفته عن قرب، وجب علينا ان نجمل ملخصاً لكتبه وتاريخ نشرهم الذي يبدأ من عام ١٩٥١ الى عام ١٩٧٩، ثم من هم العلماء الذين تأثر بهم قبل التخصص وهم: السيد هبة الدين الشهرستاني، الدكتور مصطفى جواد، السيد محسن الامين العاملي، الملك فيصل الاول، سلامة موسى، ومن العلماء الذين تأثر بهم فكرياً فكان: ابن خلدون، وليام سمنر، ارنولد توينبي، دايل كارينجي، وكذلك العلماء الذين تأثر بهم في الدراسات السياسية الاجتماعية وهم: ستيوارت ميل وميكافيللي، ثم اوضحنا حديث قصير عن المنهج، ما هي آليات ومناهج البحث عند الوردي، وقربنا صورة العلماء الذين تأثر بمناهجهم البحثية وهم: تالكوت بارسونز، اميل دوركايم وكارل مانهايم، ثم كشفنا من خلال كتبه مخالفته الصريحة للفلسفة المادية الماركسية، ثم ابرزنا اثره وتأثيره الفكري على المجتمعات المجاورة، واخذنا

تأثير فكر الوردي في ايران على الشيخ مرتضى مطهري والدكتور علي شريعتي، وكذلك اخترت لكم آخر مناقشات الوردي في مجلس الخاقاني وكانت مع العلامة حسين علي محفوظ، العلامة الشيخ عيسى الخاقاني، الشيخ علي طهراني، السيد عبدالرزاق الحسني، عبدالله فاضل وزير الاوقاف الاسبق في العراق، ولكي يكتمل الجانب العلمي للدكتور علي الوردي وضعنا قائمة ببعض المصادر الاجنبية التي استندت على نظريات الوردي.

واخيرا كان رأي الوردي في السياسة، قديما كيف يرى خلاف علي ومعاوية اذ يعتبره اختلاف المناهج، وفي الحاضر عنده السياسة فن الممكن وانها يجب ان تستند على البراغماتية حتى وان كان منهجها صادم للمجتمع لكنه صادق في التطبيق، والحل الدائم هو في الديمقراطية والمواطنة وحكم القانون، وكذلك وضعت امام القاريء الكريم ما استطعت ان اجمعه من راي من الوردي عن حكام العراق، فيما عدا رأيه بصدام حسين الذي عشته وعايشته معه، فقد كان الوردي معجبا بالملك فيصل الاول، ولكنه يعتقد ان الملك غازي لا يجيد السياسة وان عبدالاله قد اطاح بعرش العائلة المالكة وبالملك فيصل الثاني، اما عن العهد الجمهوري فالوردي قاله بوضوح ان عبدالكريم قاسم زعيم شعبي ولا ينفع رئيسا للعراق، وكذلك كان يعتقد ان عبدالسلام عارف هو اول من مزق العراق طائفيا، وان فترة حكم عبدالرحمن عارف كان فيها متسع من الحرية ولكنه لم يأخذ فرصته، وفي هذه الفترة استدعي الوردي الى مديرية الامن العامة، يعتقد الوردي ان احمد حسن البكر رسخ حكم القبيلة في العراق، وان صدام حسين ثبت حكم القرية، وقد اعترض صدام حسين على فكر الوردي في مقابلة مع صحفية امريكية، وقد وضعت المقابلة، ومن ثم الاضرار التي لحقت بالوردي بعد ان اعلن صدام حسين انه يناهضه، وقد قال صدام حسين لا احب الوردي، وقد اجاب الوردي في محاضرة سجلها امين العاصمة لكي يسمعها الى صدام، قال

الوردي: ان كنت لا تفهم في السياسة اتركها واذهب... ويختتم الكتاب بمجموعة من شهادات الوردي الجامعية وغلاف رسالته الجامعية وصور نادرة للدكتور علي الوردي لم تنشر من قبل.

حاولت في هذا الكتاب ان اعرف بالشخصيات العلمية والسياسية والاجتماعية حين يرد ذكرها بسطرين اوثلاثة، ليس انتقاصا من هذه الشخصيات، فاغلب الذين ذكرتهم في الكتاب يستحقون ان تكتب عنهم كتبا، ولكن هذه الاسطر البسيطة تعريفية تفيد القاريء وتنشر ثقافة معرفة شخصيات التأريخ بطريقة صحيحة، كذلك فانه لم يعد سرد القصص على طريقة الحكواتي مقبولا عند الناس بعد انتشار الانترنت وتواجده في ايدي الجميع، لذلك فان التوثيق يحتاج بالاضافة الى المعلومة التاريخية الدقيقة الى الصورة المؤيدة والداعمة للموضوع المطروح، لذا سأرفق مجموعة صور خاصة للوردي كنت احتفظ بها لنفسي، ربما تكون تعرض للمرة الاولى امام الناس ولكل قصة حكاية، نشرت حكايتين منها على صفحتي الخاصة في موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك، فرأيتها منقولة في اماكن عديدة وقد اصبحت مصدرا وربما تدخل البعض على الكتابة وغير وبدل، فتوقفت، وارى انه حان موعدها الان.

كذلك سوف انشر في هذا الكتاب، ما حصلت عليه من وثائق تخص الدكتور الوردي، وقد كان هذا جهدا مشتركا لي ولصديقي الاستاذ صفاء النعيمي وولدي عيسى محمد الخاقاني، واغلب الصور في مجلس الخاقاني هي من تصوير الاستاذ حربي عبدالامير الطويرجاوي، بالاضافة الى ما حصلت عليه من جداول لوظائف الوردي وطلابه وسفراته العلمية في بحث جامعة الكوفة الذي ذكرته سابقا، ارفقها جميعا في هذا الكتاب لتكون مصدرا للقراء والباحثين.

سادتي وسيداتي قراء هذا الكتاب، ربما تقرأون كتابا قد تأخر لأكثر من عقدين من الزمن عن الظهور، وربما بعضكم لا يتوافق مع ما هو منشور فيه، وربما كان عندكم ملاحظات عليه، اتقبل منكم كل ذلك واحترم جميع الآراء التي سوف تتناول هذا الكتاب، فقد اردته وثيقة مصورة عن شخصية عراقية لم يتسن لها الحديث بصراحة ووضوح ابان فترة سياسية بالغة التعقيد اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وارى ان الوقت قد حان لنقل بعض هذه الآراء التي لم يستطع المرحوم الدكتور علي الوردي نقلها في كتبه، حيث انه لم ينشر كتابا منذ عام ١٩٧٩، وقد اراني الرجل مخطوطة رائعة اطلق عليها (سينما بغداد)، كان تحوي مذكراته الشخصية، كتب في صفحتها الاولى: (تنشر بعد موتي)، وعندما سألته لماذا؟ قال: (اريد اطلعهم من بيت هيبوا)، وهو مثل بغدادي بمعنى سوف افضحهم، لذا اريدها ان تنشر بعد موتي، وقد سألت انا شخصيا الدكتور(الطبيب) حسان الوردي الابن الاكبر للدكتور علي الوردي عن المخطوطة التي شاهدتها بعيني في مكتبة والده المرحوم وما مصيرها؟، فقال انهم قد سمعوا عنها ايضا، ولكن بعد وفاة الوالد الدكتور بحثنا في مكتبته ولم نجدها، ادعو العلي القدير ان يأخذ بيدهم ليعثروا عليها يوما ما، ان شاء الله تعالى وينشروها.

وختاما لهذه المقدمة الطويلة ... احب ان اتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الوالد العلامة الدكتور الشيخ عيسى الخاقاني حفظه الله ورعاه على سعة صدره في الرد على الاسئلة وتوجيهاته القيمة التي رافقتني في مراحل الكتابة منذ البداية الى النهاية، والشكر موصول الى صديقي العزيز الاستاذ صفاء صبحي النعيمي الذي ساعدني بمقترحاته وبحثه الدؤوب لمصادر الكتاب وكذلك ولدي العزيز عيسى محمد عيسى الخاقاني الذي مد يد العون لي في جمع مصادر الكتاب، والاخت الفاضلة الاستاذة باهرة الشيخلي مسؤولة موقع الدكتور علي الوردي للدراسات على الانترنت ولزوجتي واولادي

الذين تحملوا وزر ابتعادي القسري عندهم اثناء اعداد الكتاب، وادعو العلي القدير ان ينزل شائبيب رحمته على روح العلامة الدكتور حسين علي محفوظ، حيث كان حاضرا بروحه معي استذكارا لتوجيهاته العلمية السديدة روحا طاهرة نقية اتمثلها امامي كلما بحثت وكتبت، وكذلك لا انسى الوردي الكبير المرحوم الدكتور علي الوردي، الذي كان يحث على الكتابة والتدوين، حتى انني تسلحت بالقلم لفترات طويلة من الزمن خشية منه، فهو يغضب اذا ما شاهد مدع للثقافة والعلم ولا يحمل معه قلما، ارجو العلي القدير له الرحمة والمغفرة.

اؤكد قبل الانتقال الى مضامين الكتاب، بانني وضعت في هذا الكتاب مفاتيحا منهجية علمية للذين سوف يدرسون الوردي، ولأن الباحث يجب ان يتميز بالحس البحثي وبالتقنية الفنية والمنهجية العملية، فانني اثق بأنه سوف يتعرف على المفاتيح البحثية التي وضعتها بين يديه وما عليه الا المثابرة وبذل الجهد.

اخيرا...هذا الكتاب لم يكتب لأي مصلحة شخصية بقدر ما كتب للحقيقة والبحث العلمي والتاريخ...

والله من وراء القصد

محمد عيسى الخاقاني

مدينة بولتون _ المملكة المتحدة ٢٠١٢

الفصل الأول: علي الوردي صورة قلمية

لو لم يمت اللص

اسمه، نسبه وولادته بالتحديد

علم الاجتماع قدره

مرحلة الطفولة والشباب

الدراسة والتدريس

الوردي يصادف قدره... فيعترض!

انتقاله الى بيروت لدراسة البكالوريوس

دراسة الماجستير والدكتوراة في جامعة اوستن تكساس الامريكية

شهادته الجامعية، تاريخها، موضوعها، الاساتذة الذين ناقشوه

عودته الى العراق

تأسيس قسم الاجتماع ضمن كلية الاداب بجامعة بغداد

احالته للتقاعد ومنحه لقب استاذ متمرس وسحبه منه

نشاطاته العلمية...استاذ زائر في جامعة وارشو

انتقاله الى ساحة المجالس الادبية

تأسيسه لمجلس الخاقاني الثقافي

مرضه الاخير، علاج متأخر في الاردن

تكريمه من قبل اتحاد الكتاب

وفاته، مظاهرة جماهيرية في تشييع جنازته، دفنه في مقابر قريش

سنوية علمية

علي الوردي صورة قلمية

بكل سهولة ويسر ازعم اني اكتب صورة قلمية عن الوردي، تبدأ بقصته الشهيرة قبل ان يولد بمئة عام تحت عنوان لو يمت اللص، ومن ثم اسمه بالكامل، حيث وجدت بعض المصادر التي تنقل اسمه خطأً مع شخصيات معروفة من بيت الوردي، مثل المرحوم السيد علي حسين الوردي السياسي الذي كان ينتمي للحزب الشيوعي العراقي او للشاعر الكبير الاستاذ المرحوم علي جليل الوردي صاحب ديوان الثورة الحمراء، وحددت نسبه الهاشمي الاصيل، وكذلك تثبت ولادته يوما وشهرا وسنة وبالسنة الهجرية والميلادية، وسرت معه في ازقة الكاظمية طفلا صغيرا يعتمر العمة حتى انتقاله الى المدرسة، وتأثيرات البيئة التي كان يعيشها على تكوينه الفكري فيما بعد، حيث اعتبرت ان هذه البيئة كانت قدر الوردي في علم الاجتماع، ثم مرحلة الطفولة والشباب ومرحلة الدراسة، وكيف صنع هذا العالم العصامي نفسه، حتى اصبح مدرساً منتقلا الى الشطرة وبعد ذلك الى بغداد، وكيف التقى مرة اخرى بقدره في علم الاجتماع فاعترض عليه.!

وتابعته في مرحلته دراسة البكالوريوس في بيروت، كيف سافر وبمن التقى وكيف رأى بيروت وهي تثور بوجه الاستعمار الفرنسي، ومن زامل الوردي في الجامعة الامريكية ببيروت، وعودته الى العراق، وفرض والده

عليه الزواج، ثم البعثة التي حصل عليها للدراسة في الولايات المتحدة، ودراسته لللماجستير والدكتوراة في جامعة اوستن تكساس الامريكية، ومن هم اساتذته الذين تتلمذ على يدهم وكيف كان يقضي الاجازة الصيفية واين، ووضعت صورة لشهادته الجامعية بكل تفاصيلها، تاريخها، موضوعها والاساتذة الذين ناقشوه، واخيرا عودته الى العراق، وكيف وضع اساس قسم الاجتماع ضمن كلية الاداب بجامعة بغداد، والى من قدم تقريره وما الفكرة التي طرحها فيه، والدرجات العلمية التي حازها، بالاضافة الى المناصب التي حصلها عليها في القسم والكلية، حتى احالته على التقاعد ومنحه لقب استاذ متمرس، ثم كيفية سحب اللقب منه، لتنتهي واحدة من ازهى مراحل التعليم في الجامعات العراقية بجلوس الوردي في بيته!!.

ولكن الوردي لم يتوقف بل تابع نشاطاته العلمية بعد التقاعد، فاصبح استاذا زائرا في جامعة وارشو ببولندا، وحضر عدة مؤتمرات في انحاء دول العالم، حتى منعته السلطات العراقية من السفر، فلم يبق جليس البيت بل اتخذ من ساحة المجالس الادبية البغدادية ميداناً يبشر فيه فكره، حتى شاء سبحانه وتعالى ان التقيه، لقاء استاذ لتلميذ، وتعلمت على يديه، فاقترح علي تأسيس مجلس الخاقاني، فكانت استشارة العلامة محفوظ واجبة، وكذلك كانت موافقة العلامة الشيخ الوالد عيسى الخاقاني ضرورية لأنعقاد مجلس في تلك الفترة الحرجة من تاريخ العراق، وتمت المباركة والموافقة وتم تأسيس مجلس الخاقاني الثقافي في الكاظمية ببغداد، ليكون الوردي عميده والمحاضر الدائم فيه، وحتى جاء مرضه الاخير ليجلسه في بيته، ولكني تواصلت معه في محاولة لعلاجه في الاردن، وعلى حساب الملك حسين بن طلال حيث خاطبت جلالته برسالة، وحتى جاء الرد كان سرطان المرارة قد استفحل في جسد الوردي المنهك، وقد سافر للعلاج، وعاد مرهقاً منهكاً، فاقام له الاخ مؤيد عبدالقادر بالنيابة عن اتحاد الكتاب حفلة تكريمية لم

يحضرها الوردي، وانما اناب عن ولده الاكبر الدكتور حسان، وقد كنت من المتحدثين فيها، ثم اقترحوا بزيارته في بيته، وكان كريما في استقباله وترتسم ابتسامة المودع على محياه، فقلت له بصوت عال: دكتور الاخوان من اتحاد الكتاب العراقيين، كان عندنا جلسة تكريمة لك، واتوا لك بدرع الاتحاد، فقال بصوت خافت: اتت وحياض الموت بيني وبينها... وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل.

وقد توفي الدكتور علي الوردي يوم الثالث عشر من يوليو تموز من عام ١٩٩٥ للميلاد، وحاولنا ان نجعل من وفاته مظاهرة جماهيرية كبرى، وقد دفناه في مقابر قريش، واقام له مجلس الخاقاني سنوية علمية تحدث فيها ثلة من العلماء، تناولوا كل جوانب العلوم التي تناولها الوردي في حياته، تلك كانت صورة قلمية عنه، ارجو ان تلاقي القبول عند القراء.

لو لم يمت اللص

كان الدكتور علي الوردي قدريا يؤمن بالصدفة التي تغيير مجرى حياة الانسان ويقول بان حياته مع الصدفة تعتبر من مصاديق هذا الايمان، حيث ان القدر قد رسم له حياة لم يتوقعها او يخطط لها او انها كانت ضمن السياق العام لحياته التي عاشها، وللوردي حكاية عن مولده القدري ترجع الى حوالي مئة عام قبل ان يولد، لكنها كانت السبب في ولادته كما كان يردد دائما، والقصة تتلخص بما يلي:

ضرب الطاعون مدينة بغداد في العهد العثماني وتحديدا في العام ١٨٣١ للميلاد، في زمن كان يعيش فيه السيدهاشم ابن ابي الورد وهو الجد الابعد للدكتور علي الوردي(جد ابيه)، ولم يترك الطاعون المدينة الا وهي خاوية على عروشها، وقد وصل الطاعون الى مدينة الكاظمية حيث يعيش آل

الورد، وقد تفاعل الناس مع هذا الطارق المفارق كل حسب خلقه وتربيته، فتكاتف اغلب الناس لحمل جثث الموتى وتغسيلها وتكفينها ودفنها والحفاظ على من تبقى من الاحياء ومشاركتهم شظف العيش، وفي الجانب الاخر من النفس البشرية الضعيفة، فقد استغل تجار الموت الطاعون للاثراء السريع، ونشط السراق ايضا فسرقوا ما طالته ايديهم من البيوت المنكوبة وازدهرت تجارة بيع الاكفان.

يقول الدكتور علي الوردي: ان جده الابعد السيد هاشم ابن ابي الورد، رأى في هذا الوقت مناما واضحا اشبه بالرؤيا، بان طارقا على شكل ملك الموت يدور في الحي الذي يقطنه ويسجل ارقاما على بيوت الناس، فركز السيد هاشم نظره على هذه الارقام، فوجد ان ملك الموت رسم الرقم عشرة على بيت احد اقاربه في اول الزقاق، ثم رسم الرقم ثمانية على بيت جارهم والرقم ثلاثة عشر على باب بيتهم...واستيقظ من النوم!

ومع اذان الفجر على صوت الصراخ والعويل من بيت اقاربه الذي يسكن في مدخل الحي، حوقل ابن ابي الورد وارتدى ملابسه وذهب مع اهل الحي باتجاه الصوت، وقد اعتاد ذلك منذ ان ضربهم الطاعون، حيث يقوم مع المقتدرين من اهل الحي بواجب تغسيل الموتى وتكفينهم ودفنهم، وصل الى اول الحي، فاستقبل بتعازي الناس، حيث بيت اقاربه، وسمع بوضوح ما يقوله بعض الذين سبقوه الى موقع الحدث، مساكين (عشرتهم) ماتوا!، اي ان اهل البيت كلهم العشرة قد ماتوا، وقام ابن ابي الورد واهل الحي بواجبهم، وعادوا الى بيوتهم بانتظار خبر آخر او يوم آخر، الا السيد هاشم فقد عاد مذهولا لتطابق رقم موتى اقاربه مع الرقم الذي كتبه ملك الموت على بابهم، تذكر ابن ابي الورد رقم بيته وهو ثلاثة عشر، وقام بعد افراد عائلته فوجد ان الرقم مطابق لرقم ملك الموت المكتوب على باب، اصيب

السيد ابن ابي الورد بقشعريرة وابتلع ريقه بمراره، لتطابق الرقم، وللتجربة الحية التي شاهدها قبل قليل في بيت اقاربه العشرة الذين ماتوا، وبالرغم من خشيته وقلقه الا ان السيد هاشم تعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وواصل حياته.

بعد يومين استيقظ الحي على صوت صريخ وعويل مرة اخرى، ولكن هذه المرة كان الصوت يأتي من عياله واهل بيته، هرول باتجاه الصوت وهو يصيح ماذا هناك؟ فاخبروه ان الطاعون تمكن من جيرانهم، وقد ماتوا جميعا، اطرق السيد هاشم طويلا ثم حوقل وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وساقته اقدامه الى اهل الحي لأبلاغهم بالخبر المؤسف، ودخلوا اهل الحي جميعا الى بيت جارهم لأداء الواجب، وكان هم الوردي ان يعد ويحسب الموتى، فعدهم وكرر العد ليتأكد انهم ثمانية، وهو الرقم المطابق للرقم الذي حدده ملك الموت في ذلك المنام (الرؤيا) التي رأها السيد هاشم قبل ايام!

عاد السيد هاشم من المقبرة بعد دفن جيرانه وهو مصمم على ابلاغ اهل بيته بقصة المنام الذي رآه، اجتمعت الاسرة حول معيلها وسيدها عند عودته، ليستغل السيد هاشم هذا التجمع الاسري من اولاد واصهار وليطلق العنان للسانه الذي فك لجام القلق واخبرهم برؤياه وحلمه ونبههم بعددهم وما شاهده على ارض الواقع من تطابق مع الرؤيا في بيت قريبهم وبيت جيرانهم، وكانت الاحداث وما يشعر به اهل بيته وخاصة بعد ان اصيب بيت جارهم كلها دلائل على القادم المتوقع، لذلك تقبلت العائلة الخبر بألم ممض، دون اعتراض على مشيئة الرب، وهنا اقترح السيد هاشم على اهل بيته ان يغتسلوا جميعا قبل النوم وان يلبسوا الاكفان، فان ماتوا لم يكلفوا الناس تغسيلا وتكفينا، وانما سوف يقومون بدفنهم فحسب، واتفق الكل الجميع على ذلك وقرروا تنفيذه في الليلة القادمة.

في الصباح ذهب السيد هاشم الى السوق واشترى الاكفان وخاطهم على مقاس اهل بيته، ثم عاد ليجهز بيته ويوزع ما لديه على اقربائه واهله وبعض الاصدقاء، وفي المساء اغتسلت الاسرة كلها ولبست الاكفان المعدة بانتظار ملك الموت الذي لم يتأخر طويلا... كان السيد هاشم يستمع وهو في كفنه الى انات اهل بيته وهم يفارقون الحياة واحدا تلو الآخر، وينتظر دوره حتى اذان الفجر وهو يعد موتاه، وقد وصل الرقم الى الاثنى عشر شخصا، عندها غلب النعاس ابن ابي الورد وهو ينتظر دوره للانتقال الى الحياة الاخرى بثقة متزايدة وايمان كامل...

فجأة شعر ابن ابي الوردي وكأن ثقلا وضع بين بطنه وصدره وهو يضغط عليه بقوة ويقترب باتجاه رقبته، ادرك حينها ان ساعة المنية آتية لا ريب فيها، وبدأ بتلاوة الشهادة استعدادا للموت قبل حلول الفوت، لكن ملك الموت فضل ان يرى وجه السيد هاشم قبل ان يقبض روحه، فقام بفتح الكفن عن وجهه، مما اثار استغراب ابن ابي الورد، فحاول ان يركز في عمل ملك الموت الغريب هذا، وما ان رفع الغطاء من وجه السيد هاشم حتى شاهد امامه انسانا بشرا سويا، صرخ السيد هاشم خوفا من ملك الموت الذي تحول على شكل انسان، ولكن ملك الموت الانسان صرخ هو الآخر في وجه ابن ابي الورد وركز نظره في عينيه برهة من الزمن ومن ثم تيبس ملك الموت وسقط على جسم السيد هاشم بلا حراك!..

لم يستوعب ابن ابي الورد الحدث لثواني، لكنه سرعان ما استرد عافيته وذاكرته وحاول ان يتخلص وهو في كفنه من ملك الموت الذي عاد بلا حراك متيبسا على صدر ابن ابي الورد، دفعه بكل قوة ليزيحه عن صدره ويتخلص من جسمه الثقيل المتيبس فوقه، نهض السيد هاشم من تحت ملك الموت وخلع الكفن الذي كان قد قيده عن الحركة، ليرى كيف مات ملك الموت

الانسان وهو يحاول ان يقبض روحه، ومازل ذهنه لا يستطيع استيعاب ما حدث!

قلب السيد هاشم ملك الموت المزعوم، الذي لم يكن سوى لص اكفان، كان قد ترصد السيد وهو يشتري الاكفان ويخيطها، ووقف منتظرا في باب بيت السيد يستمع الى انين الموتى قبل موتهم وينتظر آخر انة ليقتحم البيت ويسرق الاكفان الجديدة، ليعيد بيعها بعد ذلك، لكن صحوة السيد هاشم اصابت اللص بصعقة اوقفت قلبه وسقط ميتاً فوق الميت المفترض السيد هاشم، هذا اللص اكمل الرقم ثلاثة عشر الذي كان قد خطه ملك الموت على بيت السيد هاشم ابن ابي الورد، الجد الابعد للدكتور علي الوردي.

بعد ان دفن السيد هاشم آل بيته جميعا ومعهم لص الاكفان، الذي اكمل رقم الحلم بديلا عن السيد هاشم، وساهم في دفن اكثر من عائلة بغدادية بعد ذلك، انحسر الطاعون عن بغداد، وعادت المدينة المنكوبة تعالج جراحها كما هو تاريخها الابدي، وبالتدريج عادت الحياة في بغداد الى طبيعتها، وتزوج السيد هاشم ابن ابي الورد الصائغ مرة اخرى، ليؤسس عائلة جديدة كبيرة بعد ان افنى الطاعون عائلته السابقة، ورزقه الله بابنه البكر السيد محسن الصائغ بن السيد هاشم ابي الورد، الذي عاش صحيحا وتزوج وخلف هو الآخر بعد لأي من الزمان، ولدا اشتهر بجديته في العمل وهو السيد حسين الورد، الذي خلف من بعده اربعة اولاد ماتوا جميعا بامراض متعددة اصابت بغداد، ولم يبق منهم الا ولداً واحداً بقي على قيد الحياة وهو المترجم له في هذا الكتاب الدكتور علي بن حسين بن محسن بن هاشم بن ابي الورد رحمة الله عليه، الذي اصبح فيما بعد اشهر شخصية علمية عراقية ومن اكثر واغزر المؤلفين انتاجا ليسجل سابقة تأسيس علم الاجتماع الحديث بإسمه في كل العراق...

يقول الدكتور علي الوردي: لو لم يمت اللص ومات جدي السيد هاشم ابن ابي الورد لتكملة العدد الذي كتبه ملك الموت على باب بيته، لما كنت الان بينكم، حيث ان والدي هو من سلالة جدي الذي ولد بعد الطاعون، اذن فالصدفة والقدر هي من اتت بي الى حياتكم هذه.

هذه القدرية سوف ترافقنا في هذا الكتاب، وسوف تشكل اللبنة الاولى لأعتقاد الوردي بالصدفة وان كانت قضية اللص هذه مصنوعة بإجادة بواسطة الدكتور علي الوردي، لكنها بمجملها تمثل ما يؤمن به الوردي!

اسمه، نسبه وولادته بالتحديد

هو علي بن حسين بن محسن بن هاشم (ابي الورد) بن جواد البغدادي ويصل نسبه الى الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام، ولد (٢٣/١٠/١٩١٣وتوفي١٣/٠٧/١٩٩٥ميلادية)، الموافق(١٠/١٢/١٣٣١ وتوفي ١٦/٢/١٤١٦) للهجرة، وقد سجل والده يوم ولادته بالاشهر الهجرية على الصفحة الاولى من نسخة للقرآن الكريم واطلق عليه اسم (علي) تيمنا بالمولود الذي جاء يوم عيد الاضحى المبارك، وقد عاش رحمه الله تعالى٨٢ عاما ميلاديا وحوالي ٨٦ عاما هجريا، كما كان يحسبها هو لأختلاف الاشهر الهجرية القمرية عن الميلادية الشمسية.

والدته من آل الورد ايضا فهي ابنة عم ابيه، هو المولود الرابع والوحيد لأبويه وقد توفى اخوته جميعهم، اطلق على الاسرة لقب الورد بسبب امتهان جد الاسرة السيد هاشم وبعض من ابنائه حرفة تقطير ماء الورد كما يقول العلامة الدكتور حسين علي محفوظ رحمه الله، اما لقب (الوردي) فقد اخبرني الدكتور عبدالامير الورد، بان الدكتور علي الوردي كان اول من اضاف ياء النسبة على لقبه، ويحتمل الدكتور الورد انه اخذها عن استاذه اللغوي الدكتور مصطفى جواد.

اكثر ما يثير الانتباه في طفولة الوردي هو شخصية والده السيد حسين الورد تلك الشخصية الصارمة التي عركتها الحياة مبكرا، واخذت منه الاقدار والامراض جميع فلذات كبده، ولم يتبق لديه من حطام الدنيا من الاولاد الا ولد واحد هو(علي)، كان السيد حسين ينتظر من ابنه البكر الوقوف معه في الشدائد والحفاظ على موروثهم الوحيد وهو (محل العطارة) ليكون له من بعده، لكونه ولده الاوحد، ولذلك كان يتوقع منه ان يحل محله ويعاونه في ادارة الحياة العصيبة آنذاك، الا ان عليا الصغير شعر ومنذ نعومة اظفاره بأنه لم يخلق لكي يدير محلا للعطارة، فشاكس والده كثيرا، وقد شكلت هذه الابوة الصارمة الحادة ازمة نفسية لشخصية علي الوردي الطفل، حيث ولد عكس اخوته الذين ماتوا متمردا على واقعه، وبقيت معه هذه الحالة (التمرد) حتى بعد ان حاز على درجة الدكتوراة من الولايات المتحدة الامريكية.

كانت طفولة الوردي المبكرة قد بدأت مثل اقرانه الاخرين، حيث اُلحق ب(الملا) او ما يسمى في مصر وبلاد الشام الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم والقراءة والكتابة وهو ابن خمس سنوات، وكان ذلك في مسجد يقع بالقرب من محل سكناهم ليتسنى للوالد مراقبة ابنه في ذهابه وعودته، ولأن الاسرة الوردية تنتسب للآل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد اجبر الوردي على اعتمار عمامة خضراء.

قدره علم الاجتماع

كان علم الاجتماع قدر الوردي، حيث انه صادف المتناقضات والمتخالفات منذ ان فتح عينه على الدنيا، فقد قدر له الله سبحانه وتعالى ان يعيش دون اخوانه واخواته، الذين اخذتهم الامراض واحدا تلو الآخر، وكأن الاقدار تريد ان تحمله مسؤولية الجميع، مع والد صارم شديد في التربية،

مثله مثل معظم اباء ذلك الوقت، الذين يعتبرون الشدة مع اولادهم تربية اخلاقية لهم، حيث ركز شدته باتجاه ابنه الوحيد لعدم وجود بديل يتحمل وزر تخفيف ضغوط الحياة سواه، كما كان يقول الوردي.

ومن الاقدار التي كانت تريد للوردي ان يصبح عالما اجتماعيا، ولادته في بيت تطل كل جهة منه على طريقة حياة واسلوب عيش، حيث باب البيت يفتح على محلة الشيوخ وشبابيكه على محلة الانباريين، اي ان الوردي كان في بيت يعيش حدود عالمين، حيث ان محلة الانباريين سميت بهذا الاسم لأن من يسكن فيها قبائل عربية جاءت مهاجرة من مدينة الانبار في غربي العراق حيث اصيبت مناطقهم بالطاعون فهربوا ناحية بغداد من جهة الحلة واستقروا في الكاظمية، وكونوا مجتمعهم المنفتح نسبيا عن مجتمع المدن الدينية المنغلق، ولكنهم سرعان ما اندمجوا مع مجتمع المدينة، رغم التحفظات عليهم في ذلك الوقت، الا ان ما كان يسميه الوردي طبيعة الاشياء انطبقت عليهم، حيث يجب ان يلتقي الجيران ويتقاربوا وربما يتحابوا ويتناسبوا، وهذه اللقاءات وقبول الآخر هو ما يعطي الحياة ديمومتها.

اما المحلة الاخرى والتي تنفتح عليها شبابيك بيت الوردي فكانت محلة الشيوخ التي تقول الروايات التاريخية انها سميت الشيوخ نسبة الى شيوخ عشائر قبيلة طي العربية التـــــي استوطنت الكاظمية في العصر العثماني وتولت حكم البلدة في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وقد تميزت هذه بكثرة رجال الدين فيها، ويندر ان تظهر المرأة للمجتمع في هذه المحلة في تلك الفترة التي عاشها الوردي، حيث تفتخر البنات انهن ولدن في بيت آبائهن ثم ذهبنا الى بيت ازواجهن ومن هناك سوف ينتقلن الى المقبرة، حيث الدلالة على الخلق الرفيع.

ترعرع الوردي مع اطفال المحلتين، وعاش طفولته على اعراف وتقاليد

متابينة، يقول الوردي في هذا الشأن ان النساء في محلة الشيوخ كن يلبسن اكثر من عباءة رأس بالاضافة الى غطاء الوجه، ولايسمح لهن بالتسوق، وهي التقاليد التي التزمتها المدن الدينية، ولكن محلة الانباريين لم تكن بنفس هذا التشدد، حيث كانت بعض النساء مكشوفات الوجه ويذهبن الى السوق، وربما كانت بعض الاعمال التي يقوم بها رجال هذه المحلة لا تناسب المحلة الاخرى والعكس صحيح.

مرحلة الطفولة والشباب

بعد الولادة المفردة دون غيره من اخوانه الذين فارقوا الحياة، وتحمله صعوبة العيش مع والده الصارم، جاء موضع البيت ليري الوردي صورة من مجتمعين، سرعان ما اكتملت معالم الصورة حين فرض عليه اعتمار العمة وهو ابن الخمس سنوات لأنه (سيد)، وما ان فك اسار الملا او الكتاتيب ودخل المدرسة حتى صادف قضية عويصة اخرى، فالمجتمع ما زال ينظر النظرة العثمانية الى الحضارة الجديدة، فهم ينظرون بعين الريبة والشك لطلبة المدارس ويزدرون الطلبة الذين يدرسون في (المكتب) كما كانوا يطلقون على المدارس آنذاك، فالمجتمع يعارض الذين يذهبون الى (المكتب) ويتركون حفظ القرآن في المسجد.

انتقل الوردي بعدها الى المدارس الحكومية التي كانت قد افتتحت بعد مجيء الحكم الوطني للعراق عام ١٩٢١، ولكنه لم يستطع الاستمرار في المدارس الحكومية بسبب الوضع الاقتصادي العالمي المتردي في تلك الفترة والذي اصاب العراق ايضا، فأُخرج الوردي من المدرسة عام ١٩٢٧ وهو في الصف الاخير من دراسته، قال هو عن نفسه في كتاب الاستاذ حميد المطبعي دروس من حياتي، والذي نقل قول الوردي: وزج به في دكان احد أقربائه

ليتعلم عنده (فن العطارة) من بيع وشراء، لقاء أجر شهري قوامه خمس ربيات فقط.

الضغط المستمر من السيد حسين الورد على ولده الصغير، ليجبر الوردي في العمل في محل عطارة يملكه احد اقربائهم، وطلب الوالد من صاحب المحل ان يعلم ولده اصول المهنة، وكيفية استمالة الزبائن، وكان هذا اول عمل اجباري قام به الوردي مضطرا تحت ضغط الوالد الصارم، لكن حياته مع والده كانت قد علمته وضع بدائل لكل مشكلة يتعرض لها، وكان لهذه العطارية كما يطلق عليها عند الفتى الصغير حلا سحريا، اذ سرعان ما ادخل علي الوردي الكتب الى محل العطار، وعاش مستأنسا بها، بعيدا عن عين صاحب المحل، ولكن صاحب المحل اكتشف جريمة الوردي النكراء في قراءة الكتب بدلا عن العمل، فرفض وجود الكتب والمجلات في المحل، معنفا الوردي ومحذرا إياه في الوقت نفسه من مغبة التقاعس في العمل، نحو قراءة لا تغني ولا تسمن، متوعداً أياه بالطرد من العمل إذا استمر في نهجه هذا... وصبر صاحب المحل لأنه ابن عم الوردي، ولكنه اوصل الامر بصورة شكوى الى السيد حسين والد الفتى علي، الذي قام بدوره بتعنيف الوردي الصغير طالبا منه ضرورة الاهتمام بأصول المهنة لكي يتقن مهنة تفيده في مستقبل ايامه....

اخبرني الوردي رحمة الله عليه انه وصل في اواخر ايامه في المحل في نصح الزبائن بعدم الشراء من المحل، لأن هناك بضاعة مغشوشة في المحل، وكذلك قال الوردي عن نفسه بانه اذا ما اندمج في قراءة كتاب وجاءه زبون كان يقول له ليس لدينا شيء للبيع!... طبعا الحال لم يستمر هكذا طويلا، وبدأ صاحب المحل يشعر بثقل وجود الوردي في محله، مع ترك الزبائن للمحل بسبب اشاعة البضاعة المغشوشة، وكثرت الشكاوى من الزبائن على

الوردي، حتى ضاق (صاحب المحل) ذرعا بالوردي وقرر الاستغناء عن خدماته، فتنفس الوردي الصعداء لحرية طال انتظارها ما يقارب الخمس سنوات.

اطلق الوردي على فترة البيع في محل العطارة على انها اكثر مراحل حياته مرارة، خاصة وانها اخذت اجمل ايام المراهقة والشباب وقد قال في لقاء صحفي عن هذه الفترة من حياته: (لقد أمضيت في مهنة العطارة نحو خمس سنوات، كانت تلك أبشع حقبة في حياتي ... وكنت في تلك الفترة اجتاز مرحلة المراهقة والبلوغ، وهي مرحلة ذات أهمية بالغة في نمو شخصية الانسان، ولعلني لا أغالي اذا قلت بأن شخصيتي نمت على أساس من المرارة لا حد لها)، الوردي كررها اكثر من مرة بإنه ترك مهنة العطارة الى غير رجعة.

علم علي الوردي بافتتاح مدرسة ابتدائية مسائية في الكاظمية، فذهب دون اذن والده وسجل فيها، وحين اعترض والده على المدرسة معللا سبب الاعتراض بسوء الظروف الاقتصادية، اخبره الوردي إنه قد جمع مبلغا من عمله في محل العطارة، وسوف يصرف من هذا المبلغ على دراسته، ويعتبر ان هذا الوقت هو أسعد وقت مر به في حياته، وكان ذلك في العام١٩٣١ عندما انتقل من مهنة العطارة إلى المدرسة، وكان الوردي لأواخر ايامه يعتقد بإن الانتقال الى المدرسة المسائية لأتمام الدراسة كان من اكبر نقاط التحول في حياته، ويسرد دائما ما يسميها بالمصادفات الغريبة التي جاءت احداها تردف الاخرى ليتفوق الوردي في الدراسة وينتقل من ابتدائية الكاظمية المسائية الى متوسطة الكرخ.

اطلق الوردي على مرحلتي الدراسة المتوسطة والاعدادية مرحلة التحدي، حيث كان عليه ان يتحدى الوالد المتربص المتوقع والمتمني لفشل

ابنه في الدراسة ليتفرغ الى العمل النافع الذي يدر عليه المال ويحفظ لهم مكانتهم الاجتماعية، وكذلك ان يتحدى نفسه بالتفوق في الدراسة بالرغم مما كان يشكو منه من ضعف في البصر، وتلف نسبي في احدى عينيه.

تركت مرحلة دراسته في المتوسطة والانتقال الى الكرخ، تغييراً كبيراً اثر في تكوينه الشخصي، ليس أقله الانتقال من زي (الملائية) الى البنطال والسترة والسدارة زي (الافندية)، انتقال حمل في طياته معنى ومعنى، فهو ليس تغيير ملابس فحسب كما عدها الوردي نفسه، بل تغيير رؤى وافكار، كانت تصطدم مع واقع متخلف، تمسك وسط حيوي من ناسه بكل ما هو قديم تقليدي رافض لكل مظهر من مظاهر التغيير والتجديد ...فلا مراء اذ نجد الوردي في ذهابه وايابه الى المدرسة، قد سلك مساراً عبر الازقة والطرقات الضيقة في الكاظمية، تجنباً لما كانت ترمقه بعض اعين العامة من نظرات امتعاض واستهجان لارتدائه زي الافندية غير المقبول في وسطها، بل ان بعضهم عدّ ارتداءه بيع (الدين بالدنيا)، ومفسدة للسلوك القويم وابتعاداً عن الاخلاق الحميدة.

لم تقف كل هذه المعوقات امام تحدي الوردي بل ازداد عزما واصرارا على تحقيق اهدافه، فكانت نهاية كل عام دراسي تعلن عن اسم علي الوردي في المركز الاول بين اقرانه الطلبة، الى ان وصلت مراكب الوردي الى شواطيء امتحانات (البكالوريا)، وهو ما يطلق في العراق على امتحانات السنة النهائية في الثانوية، فكان ان شهدت له هذه الامتحانات بالتفوق وتوجته بالمركز الاول ليس على مستوى المدرسة او مدينة بغداد فحسب وانما على مستوى المملكة العراقية، بإحرازه المرتبة الأولى على عموم العراق في صيف عام ١٩٣٥.

مدير متوسطة الكرخ الذي وجد مدرسته قد تفوقت على عموم المملكة

العراقية، باحراز الوردي للمركز الاول قدم توصية الى وزارة المعارف آنذاك، لمنح الطالب المتفوق اعانة مالية شهرية تعينه على استكمال دراسته، فوافقت الوزارة على منحه دينارا ونصف الدينار شهريا، هذا المبلغ كان كافيا لتخفيف ضغط والده عليه واعانته في تكملة المشوار العلمي.

يقول الوردي عن هذه الاعانة في سيرته الذاتية انها سرعان ما انقطعت وحولت الى طالب آخر بسبب المحسوبية والمنسوبية، كما كان يقول الوردي، وقد اخبرني انه تابع حركة الطالب المستفيد من هذه المنحة ليرى اين ستوصله منحة مادية لم يستفد منها، ويؤكد الوردي ان ذلك الشاب الذي اخذ منحته لم يستمر في الدراسة، بل انتقال الى الاعمال التي كانت تمارسها اسرته، وضاعت المنحة!

تدرج الوردي في فصول المرحلة الاعدادية حتى تخرج منها في عام ١٩٣٧، والحق يقال ان الوردي لم يكتف بالدراسة المنهجية بل كان مرتبطا بالثقافة العامة من خلال القراءات والمتابعات والمناقشات التي كانت تدور في العراق آنذاك، وبدأت ملامح الصورة العلمية للوردي تتضح بين الطبقة المثقفة في مدينته، فقد شارك بقصيدة شعرية في الحضرة الكاظمية بمناسبة مولد الامام موسى بن جعفر عليه السلام، نشر مقطفات منها السيد محسن الامين العاملي في الجزء الاول من الطبعة الاولى من اعيان الشيعة، كما اخبرني الوردي بذلك، ولسوء الحظ لم يتسن لي الحصول على الطبعة الاولى لأعيان الشيعة.

الدراسة والتدريس

يقول الوردي ذهبت الى وزارة المعارف لكي اتعين بعد تخرجي، وكنت رافضا تماما ان ابحث لي عن واسطة كبيرة تعينني في ايجاد فرصة عمل

مناسبة لي في ذلك الوقت، فصدر لسوء الحظ امر تعيني معلما بمدرسة الشطرة الابتدائية، وقد استخرخ الدكتوران الرهيمي والحلي اول وثيقة تعيين للوردي وكانت بتاريخ ١٦ كانون الثاني عام ١٩٣٧، وذهب الوردي في اول عام تدريسي له الى الشطرة، حيث انتقل بالباص من بغداد الى الناصرية، وركب البغال والحمير كما كان يقول الى الشطرة، ليتفاجأ هناك بمدرسة قد بنيت من الطين دون سياج، وطلبة يفترشون الارض ويحتاجون الى من يعلمهم مباديء القراءة والكتابة، ولم تكن العودة الى بغداد ممكنة في ذلك الوقت لوعورة الطريق ولألتزام الوردي باول عمل رسمي تدريسي سوف يدر عليه مالا، وهو ما خططت له للخروج من هيمنة الاب الصارم في مرحلة لاحقة اخرى كما كان الوردي يقول ويفكر في ذلك الوقت.

عاش الوردي المعاناة الحقيقية ايام الشطرة، حيث لم يكن قد اعتاد العيش في مجتمع عشائري مغلق، قاطع اغلبه الوردي، لأنه كان في منتصف العشرينات من عمره وهو غير متزوج، فالعزب في المجتمع الريفي العراقي منبوذ، حيث ان الشباب يتزوجون في الغالب بعد بلوغهم الثامنة عشر من العمر في المجتمع العشائري العراقي، وقد اتم الوردي عامه الدراسي الاول الطويل والممل على مضض، وجاءت العطلة الصيفية، لينتقل الوردي الى بغداد يبحث عن شخص متنفذ يتوسط له في وزارة المعارف لنقله من الشطرة، وكان ان قضى الصيف كله على ابواب الوزارة، يقول الوردي وتناخى له ابناء المحلة والحي ليذهبوا الى (ابن محلتهم) الذي يعمل في الوزارة لمساعدة الوردي، وكان له ما اراد حيث نقلته وزارة المعارف الى مدرسة الشالجية الابتدائية في الاول من تشرين الاول عام ١٩٣٨.

وعرف الوردي باب الواسطة لتنقل وزارة المعارف خدماته الى الإعدادية المركزية مدرساً لدرس الاقتصاد، حيث وجد الوردي نفسه في

المجتمع البغدادي بعيدا عن مجتمع الكاظمية الديني المنغلق وابعد كثيرا عن مجتمع الشطرة العشائري، فقد كانت الاعدادية المركزية الانعطافة الكبرى الثانية في حياته، وتكونت لديه علاقات مع بعض الوجوه الثقافية البغدادية، وبات بصفته استاذا في مدارس بغداد يحضر المجالس الادبية في مدينته الكاظمية، وبدأ المجتمع الثقافي البغدادي يتعرف على شخصية الاستاذ علي الوردي.

الوردي يصادف قدره... فيعترض!

وحدث الحادث الاهم في الاعدادية المركزية، حيث رشحته وزارة المعارف لتدريس مادة دراسية جديدة أضيفت على المنهج الدراسي في المدرسة نفسها، عنونت المادة المراد تدريسها من قبل الوردي (باحوال العراق الاجتماعية)، واختصت موضوعاتها بدراسة الواقع الاجتماعي للبلاد، والعوامل المؤثرة فيه مع التعريج على ابرز سمات المجتمع العراقي وخصائصه.

اعترض الوردي على قدره، وقدم احتجاجا مكتوبا للوزارة على فرض هذا الدرس (الاجتماعي) عليه وهو ليس من صلب تخصصه، لم تنفع اعتراضات علي الوردي على قرار وزارة المعارف ورفضه تدريس درسٍ ليس ضمن تخصصه الدقيق كما كان يقدم في اعتراضه الوجيه الى الوزارة، الا ان الوزارة اصرت مهددة اياه بنقل خدماته الى مدرسة اخرى في حال عدم الاستجابة لمطالبها في ضرورة تدريسه للمادة الجديدة، تلك المادة التي ستكون فيما بعد شخصية الوردي العلمية والاجتماعية، وهو أمر اضطره الى الرضوخ لأوامرها والقبول بتدريس مادة احوال العراق الاجتماعية.

كان للوردي موعدا مع القدر في هذا الكتاب، فانكب على القراءة

والاستقصاء عن المنهج الذي يجب ان يتبعه، لاسيما ان الدرس افتقد الى كتاب منهجي مقرر من وزارة المعارف، خلافاً لبرامجها الدراسية المقرة لمختلف الدروس، اذ كانت مطبوعة بصورة كتب للمراحل الدراسية الاولية كافة، جمع الوردي المادة المتخصصة فيه، وبحث ايام وليالي في مكتبات الكاظمية وبغداد لكي يؤلف منهجا لكتابه الدراسي ... وكانت البداية... تلك الصدفة التي يصفها الوردي باستغراب، حيث يقول ان القدر يطرق الباب ويلح عليك، وربما خالفته واضعت الفرصة وربما فرض عليك ولكنه في النهاية قدرك الذي جاء بمصادفة غريبة!.

اسرت الدراسة الاجتماعية عقل الوردي وفكره، وتحول الخوف من الدرس الى شغف في البحث العلمي، تلتها متابعات لواقع استقراء المجتمع العراقي والتدقيق في التناقضات التي يحملها، دخل الوردي الى بوابة علم الاجتماع من حيث لم يرد، وعشق الدرس الاجتماعي من حيث رفضه وكانت تلك الثنائية تمثل الخطوات الاولى لما مثل فيما بعد الاساس النظري لمقدمة ابن خلدون في الدكتوراة.

اخبرني العلامة الدكتور حسين علي محفوظ رحمة الله عليه، انه شاهد الوردي يوما يمعن النظر في خارطة كبيرة ترسم الكرة الارضية مصغرة، فسأله عن سر اهتمامه وتدقيقه في الخارطة، فاشار الوردي الى صحراء الصين والصحراء العربية، قائلا بان هذه المناطق ترتبط فيها البداوة بالحضارة، حيث تلتقي الصحراء بالنهر، لذلك خرجت الحروب والغزوات من اهل الصحراء كما هو في منغوليا او جزيرة العرب كما هي مناطقنا العربية باتجاه الوادي الاخضر حيث الاكل والمرعى والمياه، يقول العلامة حسين علي محفوظ، لم يكن يومها الوردي قد سافر الى الولايات المتحدة، وقد شعرت فيما بعد بان نظريته في البداوة والحضارة كانت في طور التكوين، فقد اعد نفسه لدراسة طويلة الامد.

نشر الدكتور علاء حسين الرهيمي والاستاذ علي طاهر الحلي بعنوان بحثاً في مجلة جامعة الكوفة بعنوان: (علي الوردي بيئته ونشأته وجهوده التربوية... دراسة تاريخية)، وقد نقلا فيه اضبارة الدكتور علي الوردي من خلال الوثائق المتوفرة في وزارة التربية والتعليم العراقية، والتي كانت تسمى (وزارة المعارف)، وهما يشكران على هذا العمل الرائع، وانقل اضبارة الوردي من بحثهما المميز، تأكيدا على الجانب الاكاديمي حين النقل في اشارة الى المصدر، واذكرهما لأنهما صاحبا الفضل، وارجو من خلالهما ان يلتزم كل من ينقل نصا فيما يكتب الى مصدره.

الأوامر الإدارية الخاصة بتعيين علي الوردي في مهامه الوظيفية ١٩٣٧ – ١٩٧٠

مكان الوظيفة	تاريخ التعيين	تاريخ الانفصال
معلم في مدرسة الشطرة الابتدائية	١٩٣٧/١/١٦	١٩٣٧/١١/١
معلم في مدرسة الشطرة الابتدائية	١٩٣٨/٣/١٧	١٩٣٨/١٠/١
معلم في مدرسة الشالجية	١٩٣٨/١٠/١	١٩٣٩/١٠/٢٥
مدرس في الاعدادية المركزية	١٩٤٣/٩/١٥	1943/١٢/١
مدرس في ثانوية التجارة	١٩٤٤/١٢/١	١٩٤٥/١/١٢
مدرس في ثانوية التجارة	١٩٤٥/١/١٣	١٩٤٥/١/١٥
مدرس في ثانوية التجارة	١٩٤٥/١/١٦	١٩٤٥/١٠/١
مدرس في كلية الاداب والعلوم	١٩٥٠/١٠/٣٠	١٩٧٠/٥/٢٥

الى بيروت لدراسة البكالوريوس

وحصل الوردي على مبتغاه حين اعلنت وزارة المعارف العراقية في عام ١٩٣٩ عن وجود بعثات دراسية في الجامعة الأمريكية في بيروت، فقدم اوراق ترشيحه الى الوزارة، ولأن درس اختصاصه الاول، الذي لم يكن يتنازل عنه كان الاقتصاد، فقد اعلنت نتائج الترشيحات، كان الوردي من بين الفائزين باحدى مقاعدها المخصصة لدراسة التجارة والاقتصاد، ووافق على مضض ايضا وان كان الدرس الاقتصادي لم يلق هوى في نفسه، بيد انه لم يجد بداً الا في القبول، خشية ان يفقد مقعد البعثة العلمية، حيث الحصول عليه يعتبر الخطوة الاولى في صعود سلم المجد العلمي، فكان ان قدم على اجازة دراسية من وزارة المعارف لاستكمال دراسته الجامعية مدة اربع سنوات.

يبدو ان الافاق الثقافية والعلمية انفتحت امام علي الوردي حينما انتقل الى المجتمع المدرسي، فلم يعد طموحه يتوقف عند تدريس الطلاب في هذه المرحلة فقد شعر بالظمأ للعلم وبالحاجة الى التطور، وكان لابد من ابواب علمية اخرى يطرقها وكانت البعثة الدراسية لنيل البكالوريوس في بيروت.

واجه الوردي اعتراض والده السيد حسين على سفره الى خارج العراق انذاك، والسفر الى بيروت حيث الشهرة التي تمتلكها المدينة آنذاك بالانفتاح على الغرب، والوردي الشاب العزب الذي لم يتزوج كما بقية اقرانه يريد السفر الى هذه الارض المحفوفة بالخطر، فطلب منه الزواج شرطا لموافقته للسفر، الا ان الوردي الشاب وعد والده بالزواج بعد البعثة، واصر على موقفه، وامام الاصرار والارادة لتحقيق الذات وافق الاب الصارم، فاتخذت سفينة الوردي مسيرها الى بيروت.

يقول الوردي كانت الرحلة الى بيروت مضنية ومحفوفة بالمخاطر،

فسيارات الاجرة تنقلك من بغداد الى الشام واغلب الطريق واطوله صحراء ثم تنتقل من الشام (دمشق) بسيارات اخرى الى بيروت، لتجد العالم الاخر المطل الى البحر الابيض المتوسط حيث تلتقي حضارات الشرق والغرب، ويتأمل الوردي لأول مرة البحر والجبل حيث تتشكل بيروت عاصمة الكتاب العربي والفكر الديمقراطي الحر!

دخل الوردي الى بيروت وقد اذنت الدول الكبرى بالحرب العالمية الثانية في سبتمبر ايلول من عام ١٩٣٩ للميلاد، حيث سجل الوردي في الجامعة الامريكية في بيروت (الجامعة الأمريكية في بيروت تعتبر أقدم الجامعات الامريكية في الوطن العربي أسست تحت أسم الكلية السورية الإنجيلية على يد القس دانيال بلس عام ١٨٦٦ في بيروت، تضم الان ثماني كليات)، ليواجه خيارات ثقافية وسياسية واجتماعية جديدة لم يألفها ولم يعهد لها مثيلا في العراق، تمثلت هذه الخيارات بالحركة الطلابية في الجامعة وتأثيرها الواضح والجلي في المجتمع، والخيار الثاني كان متعلقا بكل لبنان البلد والدولة، التي استغلت فترة الحرب لتتحرر من الاستعمار الفرنسي، فشهد الوردي بأم عينه تكون الدولة الحديثة.

ويشارك الوردي الطلاب احتجاجاتهم، وسرعان ما يندمج في المجتمع الطلابي، يروي هاني الهندي وعبدالإله النصراوي في كتابهما حركة القوميين العرب – نشأتها وتطورها عبر وثائقها وفي الصفحة ٣٥ منه عن تلك الفترة في جامعة بيروت العربية النص التالي: (حيث نشطت مجموعة من الطلاب القوميين العرب تخرجوا من الجامعة فيما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٢ أتوا من لبنان وفلسطين وسوريا وقد شارك بعضهم وغيرهم في التحركات الطلابية الواسعة عند اندلاغ الحرب العراقية-البريطانية في أيار١٩٤١(ما تسمى بالعراق بحركة مايس)، بل وذهب بعضهم متطوعاً بقصد المشاركة في الحرب مع المتطوعين العرب الذين هبوا لنصرة (العراق) بلد الوردي.

وقد افادني كتاب الهندي والنصراوي في معرفة بعض من زملاء الوردي من القوميين العرب في تلك الفترة الدراسية العصيبة حيث وجدت اسماء بعض المشاهير من امثال حيدر عبد الشافي خريج طب عام ١٩٤٣ محمد يوسف نجم ومعتوق الأسمر وجورج حبش وتوفيق شخشير وأحمد اليشرطي وعصمت ألصفدي (فلسطين) وعلي منكو (الأردن) وياسين مغبر ونجم الدين ألرفاعي وإدمون إلباوي وناجي ضلي وهاني الهندي (سورية) وعاصم الشيخ وسامي جبر(لبنان) وعبد الجبار هداوي وطارق الخضري وأحمد الملاح وهادي الصراف (العراق) وأحمد الخطيب (الكويت) وعمر السقاف وزياد الشواف (السعودية).

جاءت هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية على يد القوات الالمانية وتشكيل حكومة فرنسية موالية للالمان اول الغيث الذي بشر باستقلال سوريا ولبنان من الاحتلال الفرنسي، الوردي شهد هذه الولادة بعينه، وتابعها متابعة متربص للفهم والادراك، حيث رفض الشعب السوري واللبناني التعامل مع حكومة فيتشي الفرنسية التي ارسلت مندوبا ساميا الى لبنان، وسرعان ما عادت الامور الى قوات فرنسا الحرة التي كان يتزعمها الجنرال ديجول، الذي اعلن فور انتهاء الحرب ودخول القوات البريطانية الفرنسية الى بلاد الشام، بيانا وعد فيه اللبنانين والسوريين بالاستقلال، وبرغم الابطاء الفرنسي بمنح الاستقلال، اضطرت فرنسا الى اعلان استقلال لبنان وسوريا في ٢٢ نوفمبر تشرين الثاني من عام ١٩٤٣، ليشهد الوردي بعينه استقلال دولة وانتخابات حرة وتفاهمات بين المسلمين والمسيحين وصياغة دستور جديد لأحترام الاقليات، واختيار علم جديد، غير ان الواقع على الارض اللبنانية لم يكن مطمئنا في ظل الدستور الفرنسي المقترح، شاهد الوردي كل هذه الاحداث واقفل عائدا الى بلاده.

الطالب العراقي المميز علي بن حسين بن محسن الوردي كان من الطلبة المتميزين في الجامعة الامريكية، وقد سجل حضورا علميا واجتماعيا مميزا في فترة بقاءه في بيروت، جامعة بيروت الامريكية وعلى موقعها باللغة الانكليزية تضع لائحة شرف باسماء الطلبة الذين تخرجوا منها ثم اصبحوا مشاهير في مجتمعاتهم في مجال تخصصهم، وعندما نصل الى العراق نلاحظ اسم علي الوردي عالم الاجتماع والمؤرخ ضمن اسماء عراقية كثيرة وكبيرة.

تخرج الوردي من جامعة بيروت الامريكية سنة ١٩٤٣، وعاد الى بغداد والحرب العالمية الثانية تكاد ان تقفل ابوابها بانتصار دول التحالف على دول المحور، ولم يكن بالامكان بعد ان تخرج من الجامعة وعاد الى بغداد ان يخرج منها اثناء الحرب وكان يجب التواصل مع الاسرة والاستسلام لأرادة الوالد، وتنفيذ الوعد الذي كان قد قطعه قبل السفر، اقحم الوردي العائد من بيروت المتحررة في زواج كلاسيكي تراثي، حيث اختارت والدته الزوجة المنتظرة، دون ان يؤخذ رأي الوردي فيها او يتعرف عليها قبل الزواج، ليزف الوردي الى عروسه في غفلة من الزمن، وكانت تلك الزوجة من المصادفات السعيدة في حياة الوردي، فاولدت له ولداً بكرا وكان ذلك فأل حسن، حيث ولد (حسان)عام ١٩٤٤ ثم رزق الله الوردي بولد ثان اسماه (جعفر)عام ١٩٤٥ ، وقد تعلق الوردي بولده الثاني كثيرا واطلق عليه اسم حماد تحببا.

عينت وزارة المعارف العراقية موظفها العائد من بيروت بشهادة تحمل مرتبة الشرف الاول على دورته، عينته مدرساً في الاعدادية المركزية في ١٥ سبتمبر ايلول من عام ١٩٤٣ ، ثم نقل الوردي بعد عام ونصف العام الى ثانوية التجارة وذلك في الاول من ديسمبر كانون الاول عام ١٩٤٤، وانيطت به مهمة تدريس مادتي الاقتصاد واحوال العراق الاجتماعية.

وبدا ان الوردي قد استقر في بغداد، حيث البيت والعائلة والاولاد والوظيفة، والمجتمع الثقافي الذي تعرف عليه والصداقات التي عقدها مع وجوه المجتمع البغدادي، وكأنه قد حصل على كل ما يريد من الحياة، الا ان روحه المتمردة كانت تبحث عن المجد في مكان آخر، حيث رشحته وزارة المعارف لبعثة دراسية الى الولايات المتحدة الامريكية امدها اربع سنوات، فتقدم لها، واجتاز الامتحان، وقدم في الاول من اكتوبر تشرين الاول من عام ١٩٤٥ على اجازة دراسية لأستكمال الدراسات العليا في جامعة تكساس بالولايات المتحدة الامريكية.

كان الوردي امام معضلتين، اولى: الحصول على موافقة والده للسفر، وذلك لأنتقال زوجته واطفاله للعيش مع والده، والثانية: تعلم اللغة الانكليزية، حيث الدراسة في الجامعة تكون باللغة الانكليزية التي لا يتقنها الوردي كثيرا، دخل الوردي قبل السفر الى الولايات المتحدة في مدرسة الالسن(مدرسة اللغات) ببغداد ونال درجة عالية في اللغة الانكليزية، وقد قال لي العلامة محفوظ يوما: بان الوردي كان من الأمثلة الصحيحة الصادقة لطلب العلم في سن متقدمة، حيث لم يتحرج لفارق السن بينه وبين زملاءه، بل كان واضعا هدفه امام عينيه، وهذا الهدف لن يتحقق دون ان تتوفر له عوامل النجاح، ومن هذه العوامل تعلم اللغة الانكليزية.

المنعطف الامريكي في حياة الوردي كان مبهرا ومليئا بالمفارقات والعجائب بالنسبة له من كل النواحي بدءا بركوب الطيارة الجامبو، والتي كان يقارنها دوما مع السفر على ظهور الحمير، وادرك الوردي الطفرة الاجتماعية التي سوف تواجهه وهو يخوض عباب الحضارة الحديثة التي كانت بالنسبة اليها ضرب من الخيال، بعد ان عاش في طفولته في فترة انعزال وانحطاط

حضاري، كما ذكر هو في احدى مقابلاته الصحفية.

للوردي وهو في الولايات المتحدة، رسائل متبادلة مع بعض اصدقاءه واقاربه يتحدث فيها عن الفارق العلمي والتقني بين الولايات المتحدة والعراق آنذاك، وهي لا تخلو من التهكم المر تجاه مجتمعه المتخلف، وقد جمعها سلام الشماع الصحفي لينشرها في احد كتبه عن الوردي.

الوردي كان متحفظا على ذكر الفترة الامريكية من حياته حينما تعرفت عليه، بسبب الخلاف الامريكي العراقي السياسي الذي بدأت بوادره تظهر بعد انتهاء الحرب العراقية الايرانية، ثم سرعان ما تحول هذا الخلاف السياسي الى حرب دموية بعد احتلال القوات العراقية للكويت، ولم يمهل القدر الوردي ليرى سقوط بغداد بيد القوات الامريكية.

كان الوردي منبهرا بالحضارة والتقدم في الولايات المتحدة الامريكية، خاصة وانه دخلها وما زالت صدى الانتصارات في الحرب العالمية الثانية تغطي على كل شيء، وبدأت الولايات المتحدة الامريكية تمسك بزمام العالم الغربي بصفتها الرائد والقائد والملهم لهذا المجتمع، وقد موّلت الدول الاوربية بمشروع مارشال الذي نهض باوربا من كبوتها في الحرب الكونية الثانية، تمنى الوردي كما قال لي اكثر من مرة ان يرى العراق في وضع متشابه مع الوضع الامريكي.

كان الوردي يكرر دائما على مسامعنا بان اوجه الاشتراك بين الولايات المتحدة الامريكية والعراق كثيرة وخاصة من حيث الموارد الاقتصادية، فالدولتان يملكان النفط والطاقة والانهر الكبيرة للزراعة، والدولتان لهما من الموارد البشرية المبدعة ما يجعلهما يستغنون عن الغير، والدولتان مراكز حضارية وصل اليهما الناس من كثير من بقاع الارض ليتخذوهما وطنا... يقول الوردي اذن ما المانع ان تكون العراق مثل الولايات المتحدة!.

الولايات المتحدة الامريكية فتحت آفاقا علمية وثقافية وفكرية امام الوردي، هناك ادرك الوردي معنى المنهج العلمي تطبيقا وتحليلا، ودرس الوردي المجتمع الامريكي عن كثب، مستخدما نفس الادوات الغربية في الدراسة، كما درس المجتمع العراقي بما يملك من ادوات كان قد اعد لها منذ ان انيطت به مهمة تدريس مادة احوال المجتمع العراقي في منتصف الثلاثينات.

لحسن حظ الوردي ان التقديرات الالهية وما يسميها هو الصدفة، (حتى اواخر ايامه) ادخلته الى احدى اعرق واشهر الجامعات الامريكية وهي جامعة اوستن في تكساس والتي تعتبر: (واحدة من اضخم الجامعات الامريكية وأغناها أسست عام ١٨٨٣ في مدينة أوستن عاصمة ولاية تكساس وتحتل الان حرما ضخما يتسع لأكثر من (٥٥)ألف طالب، وهي من اقوى الجامعات في التخصصات الانسانية والعلمية البحتة والتطبيقية).

جاءت الانتقالة الاهم والاكبر بالنسبة للدكتور علي الوردي حينما وجد نفسه مع كبار علماء الاجتماع في العالم، حيث احتاج ان يبذل جهدا خرافيا للوصول الى هدفه كما قال، فالولايات المتحدة الامريكية ليست لبنان البلد العربي القريب من العراق، والتحضير للماجستير يختلف تماما عما كان درسه في البكالوريوس في جامعة بيروت الامريكية، وبرغم صعوبات الايام الاولى والتأقلم والجدية في الدروس اثبت الوردي بإنه الوعاء المناسب لأستقبال علوم الغرب المعرفية وهضمها ومن ثم نقلها الى مجتمعه فيما بعد.

خلال عامين من الجهد العلمي المضني وصل الوردي الى اول نقطة في بحر طموحه المشروع وهي شهادة الماجستير، وقد مارس الوردي البحث العلمي الاستقرائي والاستقصائي على الطبيعة، حيث التطبيق العملي لكل ما تحمله الكتب من مواد علمية، واظهر نبوغا خاصا في التحليل ميزه كما يبدو عن بقية اقرانه.

كانت السابقة الوردية في البحث لأجل معرفة درس الاجتماع الذي فرض عليه تدريسه في العراق، هي القاعدة التي استند عليها الوردي في التميز، وان كانت ادوات بحثه في العراق لا ترقى الى مثيلاتها في الولايات المتحدة، تلك التطبيقات التي تعلم منها قول الحقيقة المرة عن الامراض الاجتماعية حتى وان خالفت هوى نفسك، فمهمة علم الاجتماع التأشير على الآفات والامراض الاجتماعية ضمن دراسته.

شهادته الجامعية، تاريخها، موضوعها، الاساتذة الذين ناقشوه

في الثامن والعشرين من اغسطس آب عام ١٩٤٨ نال الدكتور علي الوردي درجة الماجستير وبتفوق عام، وستجد صورة من افادة جامعة اوستن تكساس مرفقة في وثائق على هذا الكتاب، وكان للتفوق مكافأته، حيث منحته الجامعة فرصة اتمام دراسته على الدكتوراه لعامين قد يمتد امدهما اذا شاء الى اربعة اعوام.

من اغرب ما سمعت من الوردي عن هذه الفترة هو: انه لم يعد الى بغداد في العطلة الصيفية، خشية من غضب والده عليه، بسبب اعباء الاطفال والزوجة الذين تركوهم في بيته!، قال خططت ان انتمي الى المدارس الصيفية لتعليم اللغة الانكليزية في بريطانيا، وكانت العطلة في بريطانيا درسا آخر من دروس الوردي الاجتماعية.

انتقل الى بريطانيا وهي التي خرجت منتصرة من حربها مع هتلر باكبر الخسائر اذا ما قورنت مع حليفاتها، وهي التي وقفت لأكثر من عشرين سنة سدا منيعا إمام المد الشيوعي دفاعا عما يسمى القيم الغربية في الديمقراطية والحرية، شاهد بريطانيا تلملم جراحها وتبيع ممتلكاتها الممتدة من استراليا الى الهند الى الدولة العظمى الجديدة في العالم وهي الولايات المتحدة

الامريكية، في لندن حيث اتخذ الوردي غرفة في بيت سيدة بريطانية عجوز، تعرف الوردي لأول مرة على الآداب البريطانية الي تختلف كليا مع النهج الامريكي، هناك كان الوردي يخرج لمدرسة اللغة صباحا او لمقابلة اصدقاءه مساء ليرفع قبعته تحية لعجائز الحي اللندني القديم.

وفي هذه المملكة العتيدة انتهرته العجوز التي يسكن عندها لأنه يرفع قبعته بالتحية الى العجوز التي تسكن في اول الحي، مما اثار استغراب الوردي واستفساره منها، لماذا لا ارفع لها القبعة؟، اليس ذلك من الخلق البريطاني المحبب لديكن؟ ونساء الحي كلهن يرددن التحية علي بايماءة من رؤسهن!، قالت نعم انما اعترض على السيدة التي تسكن في آخر الحي، وليس كل النساء، فهذه ليست شريفة!!، ابتسم الوردي ابتسامة الشرقي حين يفهم المغزى من النصيحة!، لكن العجوز بحسها النسوي قد ادركت كما يبدو سر ابتسامة الوردي، فاردفت قائلة: هل تصدق ان هذه العجوز الشمطاء لم تكن تطفيء شمعة بيتها حين تغار علينا الطائرات النازية في الحرب، لقد اثبتت للحي كله انها ليست شريفة!!.

واسقط في يد الوردي، ولكنه ادرك اختلاف مقياس الشرف بين بريطانيا والعراق، وكان حتى اواخر ايامه يردد هذه القصة على مسامعنا ليعطينا درسا عن كيفية فهم الآخر، وكان دائما ما يقول ويردد، يجب عليك ان تفهم ماذا يريد هو (الآخر) منك لتعرف كيف تناقشه، ولا تفترض فهمه لأفكارك.

قال لي الوردي حينما زرت بريطانيا لم تزل بعد اعلانات الحروب تملأ الشوارع، فرأيت اعلانا يضع صورة لرجل غير معلوم الهوية وهو يشير باصبعه باتجاه الناظر الى الصورة، وقد كتب تحت الصورة بخط كبير انت، اثارت هذه الصورة استغرابي فسألت عن مغزاها، قيل لي انها تخاطب كل بريطاني

بانك المسؤول عن الدفاع عن وطنك، (انت) you، قال لي ذلك ثم ضحك بتهكم، قال: يقول البريطانيون ان هذه الصورة وهذه الدعوة الى الدفاع عن الوطن حققت اكبر النجاحات، ثم اردف قائلا: (وكانت طبول الحرب تضرب بعد احتلال العراق للكويت)، وانظر الاخ كل يوم عنده اغنية وطنية والشباب يهربون من المعركة!!.

رأيت هذا الاستطراد مهما نظرا لتأثير الثقافة البريطانية العتيدة على فكر الوردي، وان كان العلم الذي استقاه مصدره الولايات المتحدة الا ان ما تعلمه تطبيقا على ارض الواقع كان من بريطانيا، وخاصة ان القدر او الصدفة كما كان يسميها قد خدمته الى حد بعيد لتلقف العلم والثقافة ينابيعها الاصلية.

عاد الوردي الى الولايات المتحدة والى جامعته الام في تكساس، لتقديم بحثه في الدكتوراه، وقد اتخذ من المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي (ابن خلدون٧٣٢-٨٠٨ هـجرية، الموافق ١٣٣٢-١٤٠٦ميلادية وآرائه في علم الاجتماع موضوعاً لدراسته، يعتبر ابن خلدون من اعلام عصره في الادارة والسياسة والقضاء والادب والعلوم، ولد في تونس وتقلد مناصب عدة في مراكش ومصر، وهو صاحب كتاب المقدمة الشهير)، وسوف يأتي ذكر ابن خلدون في الفصل الثالث من هذا الكتاب باسهاب، باعتباره من الشخصيات التي تأثر بها الدكتور علي الوردي.

قدم اطروحة عن موضوعه بعد عامين من الجهد العلمي المتواصل، سبقها باكثر من بحث واستقراء للجامعة متوجا ذلك كله بتاريخ ٠٨/٠٥/١٩٥٠ على شكل رسالة جامعية متكاملة، نالت اعجاب وتقدير اساتذته المناقشين، والمثير ان لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه ضمت ثمانية مناقشين بالاضافة الى المشرف، وسوف تجد صورة لرسالة الدكتور علي الوردي مرفقة بهذا الكتاب وفيها تواقيع اعضاء اللجنة الثمانية والمشرف.

قررت اللجنة منح علي حسين الوردي شهادة الدكتوراه بتقدير امتياز، وحصل على شهادته رسميا بتاريخ ١٩٥٠/٠٧/٢٧، وقد احتفت به الجامعة واوصت بطباعة رسالته الجامعية، وقد وجدت النص التالي في بحث الدكتورين الحلي والرهيمي، انقله كما هو، حيث لم اسمع شخصيا من الوردي رحمة الله عليه، وهو(منحته الجامعة دكتوراه فخرية اضافية لما حصل عليه من درجة دكتوراه بصورة رسمية، ولم يقف التكريم عند هذا الحد، بل منحه حاكم ولاية تكساس وسام التفوق في الولاية، وهو وسام لا يمنح الا لمن قدم من الباحثين انجازاً علمياً مرموقاً، ومنحته الجامعة شهادة تقديرية ومذكرة معنونة الى وزارة المعارف العراقية يومئذ، اكدت فيها، على ما حصل عليه من نتيجة مذهلة متفوقة، بل ان اطروحته تعادل ثلاث اطاريح متميزة للدكتوراه في حقل تخصصه، ولم تكتف بذلك حسب، بل شددت على انها كانت إضافة حقيقية في علم الاجتماع)، يستطيع الباحث والمتابع ان يجد نص رسالة الوردي المطبوع واسم المشرف من خلال الرقم الموحد، وصورتها موجودة ضمن وثائق هذا الكتاب، ولأجل التسهيل على الباحثين انقل صفحة العنوان كاملة من الرسالة:

Sociologoical Analysis of Ibn Khaldun Theory

Study in the sociology of knowledge

No. 00663962

Prof.Harry Moore

Of the Sociolgy Department . Unversity of Taxas

Pof. Warner Gettys

The Chairman of the Sociolgy Department

Prof. Carl Rosonquist

Prof. Walter Fires

At 08/05/1950

27/07/1950

عودته الى العراق

وقفل الوردي عائدا الى العراق بشهادته العلمية الثمينة والتوصيات المهمة التي احضرها معه من الولايات المتحدة، اربعة سنوات طويلة تلك التي غابها الوردي عن بغداد، وعائلته واولاده الذين كبروا في بيت جدهم، وترقب اللقاء بالوالد الغاضب على طول مدة السفر، يقول الوردي: لم يكن اللقاء الاول بعد الغياب مع والدي ودياً، وانما كان لقاء عاصفا اتهمني فيه باللامبالاة وعدم تقدير مسؤولية الاسرة والاطفال، واراه الان على حق!، نعم هكذا قال الوردي بعد اربعين عاما من الحدث، لأنه قد درسه بعين اب مسؤول...

تجاوز الوردي الحدث المقابلة التي بقيت راسخة في ذهنه، لكن التحديات ما زالت امامه طويلة، قدم اوراقه لجامعة بغداد وحصل على التعيين في كلية الآداب والعلوم بتاريخ٣٠/١٠/١٩٥٠ وبلقب علمي (مدرس)، وكان (علم النفس الاجتماعي) اول كتاب درسي يحاضر فيه الوردي في كلية الاداب والعلوم.

وشهدت اروقة الكلية همهمات ثم همسات ثم اصوات تتحدث عن القادم الجديد وافكاره العلمية المثيرة، وبدا ان الجميع يبحثون عن الدكتور الوردي الذي يحمل شهادة امتياز من الولايات المتحدة ويشرح في المجتمع

العراقي وشخصية الفرد العراقي ويحللها نفسيا واجتماعيا، حتى اصبحت محاضراته مادة جماهيرية يتكالب عليها الطلاب من كل الكليات والاقسام في الجامعة.

تأسيس قسم الاجتماع ضمن كلية الاداب بجامعة بغداد

يقول الدكتور علي الوردي ان الدكتور محمد فاضل الجمالي (سياسي عراقي١٩٠٣- ١٩٩٧ حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم التربية من جامعة كولومبيا في نيويورك عام ١٩٣٢، كان مديرا عاما للمعارف ورئيسا للتفتيش العام وعضوا في المجمع العلمي العراقي، ووزيرا للخارجية لأكثر من وزارة، تولى رئاسة الوزارة العراقيه مرتين، الاولى في عام ١٩٥٣ والثانية في ١٩٥٤)، هذا السياسي العراقي كان قد استدعى الوردي الى مكتبه مقترحا عليه تأسيس قسم علم الاجتماع في جامعة بغداد، وقد تناقشا بحضور بعض المتخصصين في هذا الامر، ووعده الوردي باعداد دراسة في هذا الخصوص.

وضع الوردي دراسته من واقع هذا العلم الذي يقوم على الظاهرة الاجتماعية ومن ثم يضع نظرية استقرأية لهذا الواقع، محاولا من خلالها تطبيق ما يحتمل ان يقع في المستقبل، لذلك يجب ان يكون صاحب الدراسة مختصا في هذا المجتمع ومشاكله والمتغيرات التي تحدث فيه، يقول الوردي انه وضع خلاصة ما اكتسبه في الولايات المتحدة من مناهج في هذا القسم، وكذلك فقد اضاف البحث الميداني على الدراسة النظرية، وان كان تطبيق البحث الميداني في العراق آنذاك يواجه مشكلة كبيرة.

ولأجل حل هذه المعضلة، وتنويع وتشكيل التخصصات فقد اقترح ان يتكون قسم الاجتماع الى ثلاثة فروع، لم تكتمل حينها، لكنها تكاملت فيما

بعد، وهي قسم علم الاجتماع وقسم الخدمة الاجتماعية وقسم الانثروبولوجيا الاجتماعية، وان اضافة القسمين الآخرين كانت لأجل وضع نواة الخدمة الفردية وخدمة المجتمع وتنظيم المجتمع، اما الانثروبولوجيا فقد اقترحها لأجل الاهتمام بالدراسات الميدانية للمجتمعات المحلية الريفية والحضرية مع البحث لأيجاد حلول لمعالجة المشكلات.

وما ان بدأ العام الدراسي ١٩٥٤-١٩٥٥ حتى اعلن عن تأسيس قسم علم الاجتماع في جامعة بغداد، ضمن كلية الاداب والعلوم وتعين الوردي رئيسا بالوكالة لهذا القسم المولود حديثا، نال علي الوردي لقب (استاذ مساعد) بتاريخ التاسع من شباط عام ١٩٥٣ عن تأليفه لكراس (شخصية الفرد العراقي) وكتاب (خوارق اللاشعور)، وقد توالت المهام الادارية على الوردي، فقد شغل منصب رئيس قسم الاجتماع وكالة لمرتين، تخللهما اشغاله لمنصب عمادة كلية الاداب بتاريخ ١٩٦٠/٠٦/١٦، ولمدة قصيرة لم تتجاوز الاسبوع الواحد، حصل على لقب (الاستاذية) بتاريخ ١٩٦٢/٠٨/٠٦ ثم اسندت له مهمة رئاسة قسم الاجتماع اصالة في الرابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٦٣

احالته للتقاعد ومنحه لقب استاذ متمرس وسحبه منه

ومنح لقب (استاذ متمرس) من جامعة بغداد بتاريخ ١٩٧٠/٠٩/٢٧ وهو العام الذي احيل فيه على التقاعد في كلية الاداب، (ارقام السنوات نقلا عن بحث الرهيمي والحلي، وقد سبق ذكره)، وقد سحب منه اللقب العلمي بعد ذلك وسوف نذكر قصة سحب اللقب العلمي في سياق هذا الكتاب ان شاء الله.

أعداد الطلبة الخريجين من قسم الاجتماع في كلية الآداب (١٩٥٩-١٩٧٠)

العام الدراسي	عدد الطلبة
١٩٥٩-١٩٦٠	٣٢
١٩٦٠-١٩٦١	٢٥
١٩٦١-١٩٦٢	٢٢
١٩٦٢-١٩٦٣	٤١
١٩٦٣-١٩٦٤	٣٦
١٩٦٤-١٩٦٥	٢٨
١٩٦٥-١٩٦٦	٣٠
١٩٦٦-١٩٦٧	٣٦
١٩٦٧-١٩٦٨	٣٤
١٩٦٨-١٩٦٩	٣٧
١٩٦٩-١٩٧٠	٣٢

رزق الله الوردي بعد حسان وجعفر اللذان ولدا قبل السفر الى الولايات المتحدة، ابنته الوحيدة سيناء وهي ام وزوجة حاليا وتعمل صيدلانية ومن مواليد ١٩٥٢ كما صرح بذلك شقيقها جعفر في مقابلة صحفية مع الاعتذار

منها، وولد آخر واخير هو فيصل من مواليد ١٩٥٥، والتواريخ كلها على ذمة شقيقهما جعفر!.

قبل احالته للتقاعد كان الوردي قد تألق في مجال الاعلام، حيث شارك في برنامج الندوة الثقافية الذي كان يعده في بداية تأسيسه الدكتور حسين امين منذ عام ١٩٥٩ ثم انتقل منذ العام ١٩٦٠ الى الباحث الاستاذ سالم الالوسي، ومما اثار المجتمع العراقي آنذاك ان الوردي اتى بطالبة من طالبته، تقول بأنها تشعر بعدم التقارب الجنسي مع الرجال وانما هي تهوى النساء، وبرر الوردي ذلك من حيث العلم، وان ما يحدث لهذه المرأة ليس بسبب ذنب ارتكبته، بل ان تركيبتها الخلقية جاءت مقلوبة!.

نشاطاته العلمية... استاذ زائر في جامعة وارشو

ولم يتوقف الوردي عن المتابعة العلمية، بدأ القاء محاضرته كأستاذ متفرغ في المعهد العربي للدراسات العليا، ويخبرنا ملف الوردي في كلية الآداب على انه القى سلسة محاضرات عن شخصية الفرد العراقي وطبيعة المجتمع العراقي، وكذلك مدخل الى علم الاجتماع.(رسالة جامعة بولندا الى الدكتور الوردي والطلب منه ان يكون استاذا محاضرا منذ بداية عام ١٩٧٩ ويخيره عميد معهد الدراسات الشرقية في جامعة بولندا ان يأتي الى بولندا في اي وقت شاء وهو حر في اختيار محاضراته.... وانهم في انتظار رده الكريم على طلبهم، تجدها ضمن وثائق هذا الكتاب)

دعي الدكتور علي الوردي الى القاء المحاضرات في اكثر من جامعة ومركز دراسات في انحاء العالم، وهذا الجرد من اضبارة الوردي يحدد مكان المحاضرة وعنوانها وتاريخها:

مشاركات الدكتور علي الوردي العلمية خارج العراق ١٩٥٣ الى ١٩٨٨

ت	البلد المستضيف	مكان المحاضرة	تاريخها	عنوانها
١	لبنان	مؤسسة روكفلز	١٩٥٣/٣/٢٨	طبيعة المجتمع العربي
٢	سوريا، لبنان، ايران، تركيا	جامعات مختلفة	١٩٥٧/٨/٣١	محاضرات متنوعة في علم الاجتماع
٣	الصين	جامعة بكين	آب/ ١٩٥٨	الصين في التراث العربي
٤	ايران	جامعة طهران	١٩٦٠/٦/١٧	محاضرات حول علم الاجتماع
٥	مصر	المركز القومي للبحوث الاجتماعية (القاهرة)	١٩٦١/١١/٢٥	محاضرة حول ابن خلدون
٦	مصر	معهد الدراسات العربية العالية (القاهرة)	١٩٦٢	محاضرة حول منطق ابن خلدون

٧	سويسرا	جامعة جنيف	١٩٦٦/١٢/٢٦	محاضرة عامة حول علم الاجتماع
٨	مصر	جامعة القاهرة	١٩٦٧	علم النفس المهني
٩	الكويت	جامعة الكويت	١٩٦٨/٤/١٨	محاضرة عامة حول علم الاجتماع
١٠	بولونيا	جامعة وارشو (قسم الدراسات الاسلامية)	١٩٨٤/٣/١	حول نظرية ابن خلدون في علم الاجتماع
١١	بولونيا	جامعة وارشو	تشرين اول ١٩٨٤	الاسلام والبداوة
	بولونيا	جامعة وارشو	١٩٨٥/٤/١٢	الحضارة العربية والمجتمع العربي
	بولونيا	جامعة وارشو	١٩٨٧	محاضرة عامة حول علو الاجتماع
	بولونيا .	معهد الدراسات الشرقية	١٩٨٨	محاضرة عامة حول علم الاجتماع

الا انه وبعد عام ١٩٨٨ قد منع الوردي من السفر، حتى عام ١٩٩٢ حيث سمح له النظام بالسفر، وكانت صحته آنذاك لا تساعده على السفر ولم

يكن يعد بامكانه السفر الى اي مكان، الى ان جاءت الرحلة الاخيرة في عام ١٩٩٥ الى عمان الاردن للعلاج. (سوف نأتي على قصة المنع من السفر ورفع المنع وكذلك رحلة العلاج ونشرحها جميعا بين صفحات هذا الكتاب ان شاء الله).

نلاحظ ان سفرات الدكتور علي الوردي العلمية ومنذ عام ١٩٨٤ قد اقتصرت على القسم العربي في جامعة وارشو (بولندا)، ولحسن الحظ اني رافقته الى سفارة بولندا في بغداد لأخذ تأشيرة الذهاب الى وارشو، ورأيت ان القنصل البولندي حين علم بوجوده في الاستعلامات خرج لأستقباله وادخلنا الى مكتبه، حتى الانتهاء من الاجراءات، حينها علمت ان الدكتور علي الوردي استاذ محاضر زائر في كل صيف في جامعة وارشو، وانه كلما ذهب احتفت به المراكز العلمية البولندية، وقد سألته الصحافة العراقية يوما عن سر سفره الدائم الى بولندا فاجاب بما يلي: (الواقع إنَّ العلاقة بيني وبين جامعة (وارشو) قديمة تعود إلي عام ١٩٦٢، حينَ حضرْتُ مؤتمر (ابن خلدون) الذي عُقِدَ في القاهرة، فقد كان من بين المشاركينَ في ذلك المؤتمر البروفيسور (بيلوفيسكي) رئيس القسم العربي في جامعة (وارشو)؛ وقد تعرَّفْتُ عليه في أثناء المؤتمر، وتوطَّدَتْ الصداقة بيني وبينه منذ ذلك الحين، وأذكر أنَّه زار العراق عام ١٩٧٥م، بناءً علي دعوةٍ من وزارة الإعلام العراقية، وكنتُ مرافقاً له في بعض جولاته في العراق، واستطعْتُ أنْ أدخِله إلى داخل الحضرة المقدَّسة في الكاظمية، وكان هو قادراً علي التكلم بالعربية وسمَّيته الشيخ يوسف، فلم يتعرَّض به أحد، وهو مازال يذكر تلك الحادثة ويتندَّر بها، ومن الجدير بالذكر أنَّه قام بترجمة القرآن إلي اللغة البولونية، وسوف تصدر الترجمة قريبا، إنَّه الآن يرأس القسم العربي في جامعة (وارشو)، وذلك لكبر سنِّه، حيث جعلوه رئيساً فخريا، وحلَّ محلَّه

في رئاسة القسم أحد تلاميذه، وهـو: البروفيسور (دانيتسكي)، وقد زار هـذا الرئيس الجديد العراق أيضا، ورافـقـته في بـعـض جـولاتِـه، وأدخـلـته الحـضـرة الكـاظـمـية كـذلـك، إنَّ (دانيتسكي) يتقن العربية كأحد أبنائها، وهو محبٌّ للعرب مولع بالثقافة العربية.

وعلى أيَّة حال فإنَّ القسم العربى فى جامعة وارشو كان فى عهد رئيسه القديم، وما زال فى عهد رئيسه الجديد متعاطفاً معى، وكثيراً ما يدعونى ويشركنى فى بعض أعماله الأكاديمية، ولا سِيَّما لجان الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه التى تكتبُ بالعربية، وقد دعانى فى هذه السنة وكان مكوثى هناك فى هذه السنة أطول منه فى السنوات الماضية، وذلك بسبب مشكلة حدثتْ لأحد الطلاب العرب، وهو من القطر المصري الشقيق، فقد كتب هذا الطالب أطروحة أراد بها نيل شهادة الدكتوراه، وكنتُ عضواً فى لجنة الإشراف على الأطروحة، وكان لى رأيٌ معيَّنٌ فيها يختلف عن رأيِ الآخرينَ من أعضاء اللجنة، ثمَّ تعقـدَّتْ المشكلة ممَّا لا مجال لشرحه فى هذا المجال، وأحمد الله أنـِّى استطعْتُ أنْ أخرج من تلك المشكلة بهدوء، ورجعْتُ إلي الوطن وأنا مرتاح الضمير).

زودني الشيخ سليم الجبوري بوثيقة من وثائق الامن العامة التي حصل عليها تؤكد انه تم توجيه الوردي الى ضرورة الحذر في القاء محاضراته، وهي بكامل تفاصيلها كالآتي: (من وزارة الداخلية - مديرية الامن العامة- العدد ٤٥ س /٦٦٤٣٦ بتاريخ ١٩٧٩/٤/٣٠ وتحت بند (سري)، موجهة من مديرية البحوث والتطوير... يذكر فيها انه: يرجى توجيه الدكتور علي حسين محسن الوردي الى ضرورة الحذر في القاء محاضراته وتجنب ذكر ما يمكن ان يستفاد منه الاخرون ويشكل تهديد لأمنا الداخلي (خلال سفره الى بولونيا) لطفا... التوقيع مدير ٤٥ . (صورة الوثيقة ضمن وثائق هذا الكتاب).

ولا ادري كيف تم توجيه التحذير الى الدكتور علي الوردي، هل تم باستدعاءه الى مبنى الامن لخطورة الموضوع وتعلقه بتشكيل خطر تهديد (لأمننا الداخلي)، ام انه استقبل التوجيه بالحذر في القاء محاضراته في البيت او الجامعة، ولم يطلعني الشيخ سليم الجبوري على مستندات امنية اخرى لأستطيع من خلالها استشفاف كيفية تحذير الوردي.

وعودٌ على بدأ، حيث توقفنا من احالة الدكتور علي الوردي على التقاعد عام ١٩٧٠، فقد تذكرته جامعة بغداد عام ١٩٨٩ مرة اخرى، ولكنها هذه المرة سحبت منه لقب الاستاذ المتمرس، وكذلك فقد منعت كتبه من التداول في السوق بيعا او شراء، وسوف يرى القاريء العزيز في الفصل الرابع من هذا الكتاب الاسباب السياسية التي ادت الى هذا المنع المتدرج، بعد ان تبين للقيادة السياسية العراقية ان للسيد الرئيس (القائد) آراء في علم الاجتماع تتقاطع مع آراء الوردي!!.

واستند هنا الى مقابلة اجرتها الكاتبة باهرة الشيخلي في صحيفة الكترونية مع الاستاذ سلام الشماع الصحفي الذي رافق الوردي ونشر له في صحيفة الجمهورية ومن ثم مجلة الف باء اكثر من مقال، والتي اجاب فيها على سؤال حول اضطهاد الوردي في ظل نظام البعث، فاجاب سلام الشماع بما يلي: (تصوّري أنهم رفعوا في كلية الآداب قسم الاجتماع حتى المنضدة الخاصة به، إذ هناك تقليد في جامعة بغداد في أن يكون هناك امتياز لمن هو بدرجة (أستاذ متمرس) وهو أن لا ترفع منضدته من القسم الذي كان يدّرس فيه ولا يشغلها أحد بعد تقاعده، فهي متروكة له يستطيع أن يستخدمها متى أراد كنوع من التكريم والتقدير لخدماته العلمية. كما لم تتم دعوة الوردي إلى أي ندوة أو اجتماع يُدعى إليه غيره من الأساتذة المتمرسين. ولو قرأت الرسالة التي وجهها الوردي إلى رئيس جامعة بغداد آنذاك (الدكتور طه تايه

النعيمي) في ١٩٨٩/٩/١٤ والتي نشرتُ نصها مكتوباً بخط يد الوردي نفسه في كتابي لقطّع قلبك الأسلوب وطريقة عرض الشكوى وبصفة خاصة في خاتمتها: "سيّدي رئيس الجامعة.. إني لا يهمني أن أكون أستاذاً متمرساً أو متقاعداً، فهما سيّان في نظر من هو مثلي يعيش في أيامه الأخيرة. ولكن الذي يهمني هو أن أعرف الحقيقة في هذا الصدد. فإني قد كتبت على غلاف كتبي التي صدرت بعد عام ١٩٧٠ وهو عام إحالته إلى التقاعد من الجامعة بناء على طلبه - بأني أستاذ متمرس، وربما صدرت لي كتب أخرى في أواخر أيامي. فالرجاء منك تبيان الحقيقة لي لكي أعلن ذلك للقراء فلا يبقوا مخدوعين بي. والله الساتر على كل حال).

هذا هو التكريم الذي حظى به من الجامعة الام في بغداد، ولم يجب النعيمي رئيس الجامعة على رسالة الوردي، لأنه ادرك ان الوردي يكتب للتاريخ لا الحاضر المعاش وقتها، وطالما كنت اتوقع ان سلام الشماع سوف يفضح العلاقة المتوترة بين الوردي والنظام.

انتقاله الى ساحة المجالس الادبية

منذ ان كانت بغداد، كانت المجالس البغدادية الادبية تعقد فيها، وهي ميزة لا توجد في غيرها من العواصم والحواضر، فقد ذكر ابو حيان التوحيدي المجالس في الامتاع والمؤانسة وبن قتيبة في عيون الاخبار عن هذه المجالس وما يجري فيها من مطارحات ومسامرات ادبية ثقافية اغنت المشهد الثقافي العربي بمادة لا يستغنى عنها، وقد تحدثت كتب الاغاني لأبي فرج الاصفهاني والعقد الفريد لأبن قتيبة الاندلسي عن المجالس البغدادية في عهدها الزاهر، اما في العهد العثماني فقد اخذت هذه المجالس اسماً جديدا وهو (القبولات) ومفردها القبول باللهجة المحلية المتأثرة باللغة التركية

العثمانية آنذاك، بما يعني الاستقبال، وقد اختفت هذه المفردة من اللهجة المحلية الان تقريبا.

وقد تميزت بعض العوائل الثرية او البيوتات الادبية في بغداد، كل حسب اتجاهه، لفتح مجلسها حيث يلتقي فيه الادباء والكتاب وربما السياسيون ايضا حسب المصلحة التي يرونها، وعادة ما كانت تناقش في هذه المجالس القضايا الادبية والاجتماعية وربما السياسية حسب الظرف الاجتماعي المتاح في حينها.

كان الدكتور علي الوردي تربية هذه المجالس وذكرياتها العائلية، حيث كان بيت عائلة الوردي مجلسا ادبيا مرموقاً في اواخر الحكم العثماني واوائل الحكم الوطني في العراق، فقد كان جده السيد محسن الصائغ يعقد مجلسين صباحي في دكانه ومسائي في بيته، ومن اشهر الشخصيات التي كانت تحضر مجلسه السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ جابر الكاظمي والشاعر عبدالباقي العمري والسيد باقر الهندي والشيخ محمد جواد الشبيبي، والحاج علي محفوظ(والد العلامة الدكتور حسين علي محفوظ).

في مدينته الكاظمية وفي ريعان شبابه حضر الدكتور علي الوردي مجلس العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني المصلح والسياسي العراقي المعروف، وقد تأثر الوردي بآرائه وافكاره في اول عهده وكتب عن ذلك، وكذلك فقد اخذه استاذه الدكتور الموسوعي مصطفى جواد الى عدة مجالس كانت تعقد في بغداد في ثلاثينات القرن الماضي.

اختار الوردي بعد ان اشتد عوده وقويت عريكته، اختار هذه المجالس الادبية مادة بحث اجتماعي، اذ كان حضوره يضفي عليها رونقا ونشاطا، بسبب الاسئلة التي يوجهها للحضور والمختصين منهم على وجه الخصوص، وكانت المناقشات والمناوشات التي تجري وتحدث مع الوردي تسيطر على

الاذهان والافكار وربما تداولها المجتمع الثقافي البغدادي والعراقي لفترة طويلة، خاصة تلك المناقشات التي حدثت قبل ان يفتتح مسرح الحياة العراقي على الحروب التي لم تنته، فشتت اذهان الناس الى التفكير في انهيار مجتمع قائم، فكان من الطبيعي ان ينشط عالم الاجتماع الوردي، لينّظر للناس ما يراه يتوافق مع العلم ويناسب المرحلة، كما كان يردد، وقد سدد فاتورة ذلك التنظير من استقراره النفسي والصحي، في مقابل سلطة لم تكن تقتنع بالرأي الآخر.

كان مجلس المرحوم مكي السيد جاسم (١٩٠٥-٢٠٠١ من مواليد مدينة الشطرة محقق ثبت، حقق خلاصة الذهب المسبوك للاربلي وديوان الحيص بيص وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي وكتب اخرى)، كان مجلسه المفضل عند الوردي، حيث يحضره ثلة من المثقفين يستوعبون ما يقوله الوردي وثلة اخرى تخالفه بقوة، وكان يعقد صباحات جمعة من كل الاسبوع في منطقة المنصور ببغداد، اما المجلس الذي كان يواظب الدكتور علي الوردي فيه ولا يغيب عنه الا لسفر او مرض فكان مجلس الدكتور عبدالحميد الهلالي في منطقة الوزيرية ببغداد، حيث يفصل شارع عريض بين المنطقة التي يعيش فيها الوردي وهي الاعظمية ومنطقة الوزيرية، فلا يحتاج الوردي الى الوصول اليه الى مركبة وانما يأخذ الطريق صباح الجمعة مشياً على الاقدام للتريض اولا ومقابلة الاصدقاء والحديث في الشؤون والشجون الادبية والسياسية ثانيا، حيث حضار المجلس اغلبهم من صنف صاحب المجلس، كانت السياسة همهم الاكبر ومن اشهر الشخصيات التي يلتقيها الوردي هناك، الدكتور علي الصافي الوزير السابق والدكتور راجي التكريتي واللواء جاسم مخلص (وقد اعدما فيما اطلق عليه مؤامرة عام ١٩٩٦)، فاغلق المجلس ابوابه وتوفي صاحبه في اواخر التسعينات.

اما المجالس البغدادية الاخرى فقد احبها الوردي وحضر فيها وحاضر، ومنها مجلس آل الشعرباف (المجلس الاكثر عراقة بين المجالس البغدادية) ومجلس الدكتور عبدالرزاق محي الدين ومجلس منتدى ابي حنيفة النعمان حين كان يديره الدكتور رشيد العبيدي، ومجلس السيد هبة الدين الشهرستاني في الكاظمية، ومن ثم مجلس ولده المرحوم السيد جواد الشهرستاني الذي كان يعقده في مكتبة الجوادين بالحضرة الكاظمية، ومجلس الاستاذ محمد جواد الغبان ومنتدى بغداد في الكاظمية ومجالس اخرى اعتذر ان فاتني تعدادها.

تأسيسه لمجلس الخاقاني الثقافي

بدأت قصة تأسيس الوردي لمجلس الخاقاني الثقافي حينما اخبرني ابن عمي بهاء الدين الخاقاني بانه رافق والده الشاعر والباحث الاستاذ ضياء الدين الخاقاني الى مجلس بغدادي يحضره الدكتور الوردي والعلامة حسين علي محفوظ، وان صاحب المجلس الاستاذ محمد جواد الغبان قد سأل عن والدي الشيخ عيسى الخاقاني، كان ذلك في نهايات عام ١٩٨٨، شاء الله سبحانه ان يأتي والدي الشيخ الى العراق ويزور بيتنا العلامة محفوظ مهنئاً بسلامة قدوم الوالد الذي عادة لا يمكث طويلا في العراق، ولأنني كنت متشوقاً لحضور المجلس الذي اخبرني عنه ابن عمي بهاء الدين، فقد استفسرت بحضور العلامة محفوظ عن صاحب المجلس الذي يعرف والدي، عند ذاك عرفت ان الاستاذ محمد جواد الغبان كان قد درّس والدي في مدرسة النجف الابتدائية في سنوات عمره الاولى، وتحمس الوالد لزيارة استاذ اللغة العربية في مدرسة النجف الابتدائية، وذهبنا الى مجلس الاستاذ محمد جواد الغبان ورأيت الدكتور علي الوردي وجه لوجه لأول مرة، وكنت قد قرأته كتبا تاريخية ادبية اجتماعية وبارسايكولوجية، قبل ان ينتهي المجلس

وجه الوالد الشيخ الدعوة للحضور لتناول الغداء عندنا في البيت، وقد اعد هو شخصيا اغلب الاكل الذي سوف يقدمه للضيوف.

تكررت زيارات العلامة محفوظ والدكتور الوردي وسلام الشماع الى البيت بدعوات متعددة كانت شبه يومية من الشيخ تأخذ شكل غداء اوعشاء او عصرية او سهرة على اكواب الشاي، وكان المجلس يشتعل نقاشاً علميا ثقافيا دينيا رائقا، ولحسن الحظ ان دوري كان محوريا في هذه الدعوات من حيث الاعداد للعزومة، وايصال الضيوف بسيارتي الى بيتنا والعودة بهم الى بيوتهم، وكنت اتعمد ان ابقي على الدكتور الوردي في سيارتي وان يكون آخر من اوصله الى بيته اذا استطعت لذلك سبيلا، لأتحدث معه على انفراد في مضامين كتبه، وذلك هو ما يخطر في بال وفكر شاب يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، لكسب ود عالم ينظر الى بوابة النهاية اكثر مما ينظر الى المستقبل المشرق الذي يتوقعه الشاب، واعتقد الان انني لاقيت قبولا عند استاذي الوردي، وبدأت اتلقى منه العلم والثقافة تدريجيا.

بعدما سافر الوالد الشيخ استمرت اللقاءات اليومية مع الوردي، وكان سلام الشماع سببا رئيسيا فيها، حيث يحصل بعد دوامه وتطوافه على المجالس يحصل على سيارة (سيارتي) توصله الى بيته، وبدأت اللقاءات تأخذ شكلا روتينيا، حيث يأتي الوردي مشياً على الاقدام من الاعظمية الى الكاظمية ويستريح قليلا في محل السيد صفاء الوردي او في محل الاخ باسل الخزرجي في باب الدروازه ثم يدخل الى الحضرة الكاظمية المقدسة ويشترك في مجلس كليدار الحضرة الكاظمية الشيخ عباس الشيبي او مجلس المحامي السيد جواد. الشهرستاني الذي يعقد كل خميس في مكتبة الجوادين التي اسسها والده السيد هبة الدين الشهرستاني، ثم نذهب سوية الى بيت العلامة محفوظ ونأخذه ونذهب الى بيتنا لتتمة السهرة العلمية الثقافية مع الوردي

ويشاركنا المجلس الاستاذ زهير العامري والسيد صفاء الوردي والنحات عبدالمطلب مهدي عبود والاستاذ باسل الخزرجي والاخ عباس جبار الكاظمي والاخ نزار طارق الهماوندي والمهندس الذي كان طالبا في كلية الهندسة حينها عيسى حسين الصغير وربما حضر عبدالحميد الصغير كذلك، وعند انتهاء المجلس كنت ارجع الدكتورين محفوظ والوردي وكذلك سلام الشماع الى منازلهم بعد انتصاف الليل.

بعد ان استمرت هذه اللقاءات لأكثر من شهر، امر الوردي بايقافها بفرمان قاطع لا رجعة فيه، ووافق عليه العلامة محفوظ، حيث ان اللقاءات اليومية تبدو مرهقة ليس لصاحب البيت فحسب وانما للجميع، فاقترح الدكتور علي الوردي تأسيس مجلس ثقافي ادبي في بيت الخاقاني، نجتمع فيه اسبوعيا، لتخفيف الضغط على الجميع، وكنت سعيداً جداً لهذا المقترح، الا ان الواجب يحتم عليّ اخذ موافقة العلامة الوالد الشيخ عيسى الخاقاني والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ، اتصلت بالشيخ الوالد وكان سعيداً لسماع هذا الخبر وباركه وباركني بدعاءه، لا حرمني الله من دعاه، اما العلامة محفوظ فقد وضع ثلاثة شروط لقيام المجلس، واوجب علينا الموافقة عليها وهي ان لا يشتمل المجلس على اي حديث فيما يفرق الناس وهي اولاً: منع الحديث الطائفي ثانيا: منع الحديث في التنابز والتفاخر وطرح الاختلافات السياسية ثالثا: منع الحديث في الجنس وما شابه مما يخفف من ثقل المجلس واحترامه، ووافق الوردي على الشروط، بل امتدحها حيث المرحلة التي نعيشها لا تحتمل الخوض في مثل هذه المواضيع.

كانت الايام التي نجتمع فيها مع العلامة محفوظ والدكتور علي الوردي قبل تأسيس المجلس وبعده باشهر، تعتبر من تلك الايام النوادر التي لم يشهدها العراق في عقوده السياسية المتفجرة الاخيرة، فقد كانت الحرب

العراقية الايرانية والتي دامت ثمان سنوات قد انتهت لتوها في ١٩٨٨/٠٨/٠٨ وحرب الكويت العاصفة التي جاءت بعدها، لم تبدأ بعد حينها، مما ترك فسحة من الحرية لاينساها اي عراقي عاش هذه الفترة في بغداد.

وكان الموعد الاول للتأسيس بتاريخ ٠٥/ ٠٣/ ١٩٨٩ للاعلان عن مجلس الخاقاني الثقافي في مدينة الكاظمية ببغداد، وقد اعلن بعد ذلك عن تأسيس مجلس الخاقاني الثقافي، في ندوات المجالس البغدادية ولكن لم يحضر احدا منهم، بل ان الاستاذ الغبان لم يوافق على قيام المجلس وادارته بواسطة شاب لم يبلغ الثلاثين عاما بعد، وقد احبطني صغر سني بين الشيوخ، لكن الوردي امرني بالتحدي والاستمرار، وحلا لهذا الاشكال فقد امر العلامة محفوظ الاستاذ سلام الشماع بادارة المجلس، ثم ظهر من سلام ما كدر منه بعض الاخوان، فقام العلامة محفوظ شخصيا بادارة المجلس.

وبدأ المجلس يكبر تدريجيا بمجيء الاستاذ محمد حسن الصغير الى المجلس ومعه الصحفي القدير سجاد الغازي ثم حضر معه نقيب الصحفيين العراقيين الثاني بعد الاستاذ محمد مهدي الجواهري وهو الكاتب الصحفي فيصل حسون وحضر معهم الوجيه الاستاذ حافظ ابو كلل ايضا.

كان الوردي نجم المجلس الاول كما كان العلامة حسين علي محفوظ صمام الامان، وكلما اغلق مجلس ادبي او ضعف مجلس آخر كلما ازداد الحضور الى مجلس الخاقاني، وقد استحوذ المجلس على وجوه المجاس الادبية من امثال الدكتور عبود البلداوي والدكتور خالد العزي والاستاذ عبدالغفار الحبوبي والدكتور احمد ثامر والاستاذ يحيى المانع والاستاذ عبدالغني الحبوبي والدكتور محسن الشيخ راضي والمحامي غالب الحاج فليح والاستاذ الشاعر علي الحيدري، وبعض من هذه الاسماء، كانوا قد

قاطعوا احد المجالس بسبب موقف غير مقبول من صاحب المجلس واتخذوا موقفا واحدا بمقاطعة ذلك المجلس وصاحب المجلس الذي كانوا يرتادونه وحضروا بصفة دائمة الى مجلس الخاقاني.

بعد سنة من التأسيس امرني الوردي ان استلم زمام الادارة، واكد العلامة محفوظ ان الامر تم بالتوافق بينه وبين الوردي، فجلست على دكة الادارة منذ عام ١٩٩٠ الى ٢٠٠٣، ولم اتركها الا حين سفري الى الاستاذين الكبيرين راضي مهدي السعيد وشامل الشمري او الى الاستاذ رفعت مرهون الصفار فيما بعد، وقد ذاع صيت المجلس بين المجالس البغدادية وعبر الحدود والآفاق، والفضل الاول يعود الى العلامة محفوظ في وضع الخطط المستقبلية واقتراح المناسبات للمجلس والثاني لوجود الوردي فيه واثارته لمواضيع لا تثار في مجلس آخر، والثالث والاهم هو وجود اشخاص حضروا بعد التأسيس بعام او عامين لكن تأثيرهم كان كبيرا في الاعوام التي تلت ذلك، من امثال الشاعر الكبير راضي مهدي السعيد والكاتب الحاج عباس علي المندلاوي والسيد حيدر السيد اسماعيل الصدر والسيد عبدالمطلب الاعرجي والاستاذ يحيى المانع والدكتور احمد ثامر والاستاذ احسان الدباغ والاستاذ عبدالهادي بليبل والاستاذ رياض هادي العودة والاستاذ هادي شنه والدكتور يحيى البكاء والسيد رؤوف كمونة والسيد عبدالحسين الرفيعي يعتبرون بالاضافة الى الاستاذ شامل الشمري والدكتور نعمة العزاوي والاستاذ محمد رضا القاموسي والاستاذ رفعت مرهون الصفار والدكتور حميد مجيد هدو والاستاذ كاظم نادى علي الطائي والدكتور سلمان القيسي والاستاذ عبدالامير البلداوي والاستاذ رؤوف الصفار والدكتور صالح مهدي هاشم والدكتور عبدالله السوداني والنحات عبدالمطلب مهدي عبود والاستاذ سلام الشماع والدكتور عيسى العيسى والدكتور محمد علي حمزه

والدكتور عبدالامير الورد والشاعر الكبير علي جليل الوردي والاستاذ داوود الرحماني والشاعر الشعبي كاظم السلامي والشاعر عامر الانباري والاستاذ رشاد الابراهيمي والاستاذ منذر ثامر والصيدلي ناصر ثامر والاستاذ عدنان البلداوي، والاستاذ محمد امين الاسدي والاستاذ عباس الشديدي، والاستاذ هاتف (استاذ اللغة الانكليزية الذي كان يكتب يوميات للمجلس، اتمنى ان يكون قد حفظها) والاستاذ جواد الشيباني والاستاذ علي الكناني والاستاذ عبدالكريم الدباغ الشاعر الشعبي هاتف العتبي من اركان المجلس، ولم يكن للمجلس ان ينجح لولا وقفة الرجولة التي وقفها اصدقائي واغلبهم كانوا طلابا في الجامعة، ولكنهم افردوا وقتا طويلا لترتيب المجلس وتجهيزه للضيوف واتذكر منهم الان الاخوة: عبدالعال حاتم البغلاني، سيد مهدي سيد صادق الموسوي، عيسى حسين الصغير، عباس جبار الكاظمي، نزار الهماوندي، ناصر صالح الاسدي، حاتم الكعبي، طالب الزيدي، ماجد كنعان، سيد صادق الجزائري، مكي مجيد رشيد، المرحوم سامي (من ديالى) والدكتور سامي علي الامارة، الاستاذ احمد هاتف... رعاهم الله اينما كانوا وحلوا وجزاهم عني الف خير ان شاء الله.

يبقى الامر الاهم الذي يجب ان يذكر في استدامة المجلس ونجاحه هو ذلك الدعم الكبير الذي لقيه المجلس من البيوتات الكاظمية الكبيرة ومن الوجهاء والشخصيات التي اعتبرت المجلس مجلسها، حتى وصل الحال بالمجلس ان تعقد فيه جلسات خاصة في غير يومه الرسمي، للبت قضايا اجتماعية كثيرة، والتي تهم المجتمع والناس وايجاد حلول لها، ولولا وقفة هؤلاء الاخبة جميعا دون استثناء، خاصة اثناء الاستدعائي لأكثر من مرة الى مديرية امن الكاظمية، والتحقيق معي بشأن المجلس، وكذلك في هذا الخصوص لا انسى وقفة الاستاذ الدكتور عبدالستار الراوي حينما دافع بنفسه

عن المجلس وعني امام مدير امن بغداد عندما اراد اغلاق المجلس، في كتاب اعده حاليا عن مجلس الخاقاني سوف اجمع ما تسعفني ذاكرتي به من قضايا مرت على المجلس، بالاضافة الى اسماء السادة الاكارم الذين شرفوني وكانوا لي سنداً، وخاصة اهالي الكاظمية ووجوها وعلى رأسهم العلامة محفوظ والسيد حسين السيد اسماعيل الصدر، رحم الله المتوفين منهم واطال الله في عمر الاحياء، لنشر اهم الاحداث التي مرت عليه.

مرضه الاخير

كانت نهايات عام ١٩٩٤ حزينة جدا على جميع حضار المجلس، حيث الم المرض بالوردي الكبير، وبات لا يقوى على الحضور، سألنا ولده الدكتور حسان عن حاله فقال لقد تم تشخيص اصابته بسرطان المرارة، حاول الدكتور حسان والكادر الطبي في العراق معالجة الوردي الكبير بما يتوفر من علاج في العراق، الا انه ومع ما للحصار من تأثير على صحة وعلاج كل المجتمع عراقي، حيث لا توجد ادوية للامراض الخطيرة، وبعد ان اصبحت الامراض المزمنة مقننة بكتيب يحمله المريض معه للتزود بالدواء دوريا في المشافي، وكل ذلك بأمر الامم المتحدة، وكان عمر الوردي حينها قد تجاوز الثمانين، حيث تضعف المناعة عند من في مثل عمره، واصابته بسرطان المرارة، بدا اننا بانتظار خبر مؤسف.

علاج متاخر في الاردن

في الشهر الثاني من عام ١٩٩٥ كنت في الاردن في طريق عودتي الى العراق، والتقيت هناك باخي الدكتور السيد يحيى البكاء وبالاستاذ الدكتور طاهر البكاء، والذي تربطني بهما وبعائلة البكاء عامة علائق محبة، شكلنا

مجلسنا الادبي في شقتي بعمان وتحدثنا في كل الشؤون التي كانت ضمن اهتماماتنا في ذلك الوقت، وقد كان مرض الدكتور الوردي قلق يؤرقني شخصيا ولا شك ان جميع الاحبة يشتركون معي في هذا القلق كذلك، طرحت مقترحا على الدكتور طاهر البكاء ان اكتب رسالة الى الملك حسين بن طلال ملك الاردن اطلب فيها منه تكفل معالجة الوردي! ، ولكني في هذه القضية، اعاني من امرين: الاول كيفية كتابتها حيث مخاطبة الملوك تحتاج الى اسلوب خاص، والثاني كيفية ايصالها، فتكفل الدكتور طاهر بالامرين معاً وبمساعدة من الدكتور يحيى البكاء رتبنا ورقة رسمية طبعها الدكتور يحيى البكاء في مكتب الاستاذ شوقي نقل، احد وجهاء الاردن، ووضع لها مجلس الخاقاني عنوانا بارزا، وكان يجب ان اكون انا الذي يوقع على الورقة بصفتي صاحب ورئيس مجلس الخاقاني الثقافي، وكذلك كان يجب على الدكتور طاهر ان يصوغ الرسالة، فصاغها مشكورا ووقعت عليها، واوصلها الدكتور يحيى البكاء الى الاستاذ سليمان الحنيطي، وكان شقيقه يعمل في الديوان الملكي الاردني، الذي قام بواجب ايصالها الى الملك حسين، وقد وضعنا عنوان مكتب الاستاذ شوقي نقل عنوانا ثابتاً لنا، لغرض استقبال الاجابة ان جاءت، وابلغنا ان الرسالة وصلت الى الديوان الملكي، لنغادر عمان عائدين ادراجنا الى بغداد.

في بغداد لم اخبر الوردي عن الرسالة، فقد خشيت ان تهمل من الديوان الملكي، وكذلك ان يؤمل عليها الوردي، اتفقت مع الاصدقاء على اننا يجب ان لا نترك الوردي وحيدا مع اوجاعه، ذهبنا الى دار الوردي واحضرناه الى المجلس الذي اسسه، لكنه حالته الصحية لم تكن على ما يرام، لم يفقد حواسه وكان مسيطرا على نفسه، ولكنه لم يكن مرتاحا في جلسته، تشعر ان الالم يرافقه، شاهدت العلامة محفوظ ينظر اليه والدموع تسيل على وجنتيه، فقلت له يا دكتور: لا تبكينا، وانا اقاوم دموعي، قال:انا

ابكي هذا التاريخ العظيم الذي اراه يتناثر امامي كحبات الرمل!، لم تكن الحكومة العراقية في ذلك الوقت مهتمة بالوردي، حتى وان ناشدها الاستاذ سلام الشماع من خلال الصحف الرسمية التي كان يعمل فيها.

حتى جاء اليوم الموعود اذ وصل الى المجلس قادما من عمان الاستاذ رجائي الور وهو يحمل معه امر الملك حسين الى مستشفى الحسين الطبي بمعالجة الدكتور علي الوردي على حساب الديوان الملكي الاردني، لم تسعني الفرحة، فاتصلت بالوردي واخبرته ان ضيوفاً قدموا من الاردن ويرغبون ان يروه، وعليه ان يستعد خلال ربع ساعة، لكي اصل بسيارتي اليه وآتي به الى المجلس.

كان الوردي سعيدا بمقابلتهم، وقد اخبرته انهم اتوا بامر الملك حسين بن طلال ملك الاردن لمعالجته مجانا في مستشفى الحسين الطبي في عمان، قال الوردي: ومن اخبر الملك حسين باني مريض، فقلت له: انا، فقال وهل قابلت الملك ولم تخبرني بذلك، قلت لا لم اقابله، بل بعثت له رسالة، واخبرته انك مريض وتحتاج الى علاج، وها هو ذا يوافق ويبعث الاستاذ رجائي الور بالرد والموافقة، قرأ كتاب الديوان، ثم طلب مني ان احضر نسخة من الرسالة التي بعثتها الى الملك حسين، خرجت باتجاه غرفة المكتبة التي احفظ فيها نسخة من الرسالة، ولكني لم احضرها للوردي، بل شطبت بالقلم على جملة واحدة من نص الرسالة وهي: (وهو مصاب بسرطان المرارة) كي لا يراها الوردي ويتأثر، وجئت بها اليه.

نظر الوردي في الرسالة نظرة سريعة وقال لي: كيف تبعث رسالة الى الملك وفيها خط اسود ومسح وشطب، هذا الكلام لا يجوز مع الملوك، فقبلته على جبينه، وقلت له دكتوري العزيز: هذه مسودة الرسالة لذلك هي عندي، اما الرسالة الاصلية وقد نظمتها دون اخطاء وخطوط سوداء وبعثتها

لجلالة الملك، شكر الوردي الاستاذ الور على ايصاله الرسالة، وقبل ان يغادر الاستاذ الور تبادل كلمات المجاملة مع الدكتور الوردي وخرج، وقد اخبرني بانه انبهر بالوردي خلقاً وعلماً.

قلت للدكتور الوردي يجب ان نستعجل في نقلك الى عمان، فرفض، وقال ان المسافة بين عمان وبغداد اكثر من اثني عشر ساعة، وانا لا استطيع ان اجلس ساعة كاملة، فكيف سأذهب في هذا الطريق الطويل، فقلت له يا دكتور سوف نؤجر سيارة كبيرة تحمل اثنى عشر رجلاً ونفرغ الكراسي الخلفية كلها ونضع لك فيها فراشا وثيرا لتنام عليه اذا ما تعبت، ويكون احد اولادك في السفر معك اذا احتجت لأي شي، وسوف نختار لك سائقا يعرفه الاخوان في المجلس ويعرف قدرك وقيمتك، ومتى ما شعرت بالاجهاد او التعب اطلب منه التوقف!!.

اسقط فى يد الوردي وهو يعانى، فنظر الى وجوهنا وخاصة الى وجه العلامة محفوظ، وقرأ ترقبنا الرد بالايجاب، فاومأ برأسه، وتلقفت الموافقة وقلت له دكتور سوف اتصل الان بالدكتور حسان ولدك، وسوف ابعث احد الاخوة لأحضار سيارة، ولم تمر نصف ساعة حتى كان السائق بيننا، قلنا له كم يكلفك ايصال الوردي الى عمان، فقال ٤٠ الف دينار عراقى (٢٠) دولار امريكى تقريباً، صعق الوردي من الرقم، وقال للسائق مستهجناً: لقد اشتريت بيت رئيس وزراء العراق فى العهد الملكى نور الدين محمود(الفريق الركن نور الدين محمود رئيس وزراء العراق من ١٩٥٢/١٠/٢٣ ولغاية ١٩٥٣/١/٢٩، كان رئيسا لأركان الجيش، اشتهر بولائه للعائلة الهاشمية، نفذ خطة الوصى عبدالاله فى إعلان الإحكام العرفية وإنزال الجيش إلى الشارع)، اشتريت بيته فى قلب الاعظمية ب ١٢ الف دينار عراقى وتريدنى ان اسافر الى عمان باربعين الف، هذا مستحيل، رد السائق سيدنا الدكتور: انا

اخذت سعر تأشيرتي للسفر منك، اما السفر فهو مجانا لك انت، فانا اتشرف بالدكتور علي الوردي، (كان على اي شخص عراقي يريد السفر الى خارج العراق ان يدفع شيكاً مصرفياً باسم مديرية الامن العامة بمبلغ ٤٠ الف دينار، حتى يسمح له بالسفر، هذا اذا لم يكن مطلوبا لقضية، وقد تصاعد مبلغ التأشيرة كما كان يسمى حتى وصل فى آخر ايام النظام الى ٢٠٠ الف دينار للشخص الواحد).

تحدد يوم السفر وتحدد كذلك المرافق وهو الاستاذ جعفر بن الدكتور علي الوردي وتحركت القافلة وبعد يومين تبعهم الدكتور حسان والاستاذ فيصل اولاد الوردي للاطمئنان على والدهم الدكتور الوردي، وتنفسنا جميعا الصعداء، ويؤسفني ان كاتبا ضعيف النفس نشر موضوعا في احدى الجرائد العراقية، يلوم فيه الوردي لأنه ترك العراق وذهب يتعالج في الاردن وعلى حساب ملك الاردن، وكان الاشرف له ان يموت في العراق، ولم يكن بمقدور احد منا ان يرد عليه، لأن الراد عليه راد على السلطان والراد على السلطان في ذلك الوقت يكون كمن يستقبل عزرائيل في بيته، صمتنا عن الرد وقتها، وحفظنا اسم الكاتب، وهو الان اطال الله في عمره يتجول في بغداد، ويتحول من حبل سياسي الى آخر، مما يتوجب بناء على ما تقدم عدم ذكر اسمه لكي لا يقرن هذا القزم يوما بالوردي الكبير!.

لم تمض فترة طويلة زمنيا حتى عاد الوردي، منهكا متعبا، سألت الدكتور حسان عن وضع والده الصحي، فقال وصلنا متأخرين جداً الى عمان، كان يجب ان يكون الوالد قبلها باشهر في المستشفى، حيث دخلنا والمرارة تنزف دماً، وقد حاول الاطباء في عمان معه، ولكن جسمه لم يستجب للعلاج، واجروا له عملية جراحية لم تتكلل بالنجاح مع الاسف الشديد، ويؤسفني ان هناك في عمان وفي المستشفى من ساوم على طباعة كتب الوردي ومن اخذ منه موافقة نشر... ارجو من اولاده الاعزاء ان ينشروا

تفاصيل هذه القصص كما اخبروني بها، لا لفضح احد وانما للتاريخ الذي كان يحبه الوردي موثقا!

تكريمه من قبل اتحاد الكتاب

ابلغنا الاخوان في المجلس بوضع الدكتور الوردي الصحي الحرج وطلبنا منهم ان يدعون له الله بالشفاء، وكان الاستاذ مؤيد عبدالقادر معنا في المجلس، فانتفض وقرر باسم الاتحاد العام للكتاب والمؤلفين العراقيين تكريم الوردي، واعلم بان الاستاذ مؤيد بذل جهدا خرافيا لأستحصال الموافقات الرسمية.

واجتمعنا في قاعة كبيرة نستذكر الوردي وعلمه وكنت انا احد المتحدثين، وما ان انتهينا حتى اقترح الاستاذ مؤيد عبدالقادر تشكيل وفد من الحضور لزيارة الوردي في بيته وتكريمه باسم الاتحاد، اتصلت بالوردي لكي لا يتفاجأ وذهبنا جميعا، ودخلنا صالة بيت الوردي وحففنا به من كل جهة وتحدث من تحدث، وقال الاستاذ مؤيد عبدالقادر باننا جئنا لتكريم الوردي وعدد مآثره وكتبه، وبعد ان انتهى من خطابه، رد الوردي قائلا: وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل!، مرفقة مع هذا الكتاب صورنا في بيت الوردي وهي للشهر الاخير من حياته.

وفاته، مظاهرة جماهيرية في تشييع جنازته

في الثالث عشر من تموز يوليو، وفي صباح يوم حار وجاف من عام ١٩٩٥ اتصل الناعي ليبلغنا بموت الدكتور علي الوردي العظيم ويطلب منا الحضور الى منزله، تجمعنا امام بيت الوردي في الاعظمية وكلنا كان يترقب هذا الحدث الجلل ولكننا لم نكن نصدقه، قام المرحوم الاستاذ شامل

الشمري بقطع ثمرة رارنج من احدى اشجار بيوت الجيران وقطعها الى نصفين ومسح بهما بقوة على اسم علي الوردي المنقوش على قطعة فلزية في الجهة اليسرى من باب البيت، حتى اصبحت القطعة تلمع باسمه، ثم بكى الشمري وقال: كان الوردي يلمع طول حياته.

حملوا جثمان الوردي من البيت الى مغتسل الكاظمية بالسيارات، وهناك كان الخبر قد انتشر بين الناس، دخلت مع الوردي الى المغتسل، لم يكن الموت او المرض قد غير من معالمه كثيرا...ثم بعد المغتسل تم تشيع الوردي الى الحضرة الكاظمية ليصلى عليه.

في هذه البرهة الزمنية البسيطة حيث كانت الاستعدادت تجري لحمل النعش على السيارات، قررت قرارا شخصيا وطلبت من الاحبة تنفيذه وهو ان نحمل الوردي على اكتافنا الى الحضرة الكاظمية ليصلى عليه، وكان لي ما اردت، دخلنا بجنازة الوردي الى سوق الكاظمية الكبير، وكان فوزي الخطاط قد انتهى من تجهيز قطعة القماش التي تحمل اسم الراحل العظيم، وقد اثار الاسم الناس فترك اغلبهم اعمالهم وشاركنا التشييع، كانت مظاهرة جماهيرية صامتة في زمن يمنع فيه التجمع لأكثر من شخص، لكننا كنا نردد لا اله الا الله محمد رسول الله، والوردي محمول على عرشه فوق الرؤوس.

دخلنا الحضرة الكاظمية المقدسة، ووقف المرحوم السيد حسني الحيدري الذي توفاه الله تعالى عام ٢٠١٣ وقف مصليا على جثمان الوردي، كانت الاجواء في خارج الحضرة، قد تشنجت جراء مظاهرتنا الغير مرخصة من قبل الامن، والتي كانت اقرب ما تكون الى التحدي منها الى تشييع جنازة، وما ان انتهت الصلاة حتى حملنا الوردي على اكتافنا وتوجهنا به الى جامع براثا لنواريه الثرى، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، حيث امرني العلامة حسين علي محفوظ باحضار السيارات وحمل النعش عليها، وهي

يدري ان امره هذا لا يمكن ان يرد، ونفذنا الامر بعد ان سرنا بالجنازة الى اول شارع المفيد قرب مبنى المدرسة الايرانية القديمة حيث تقف السيارات.

دفنه في مقابر قريش

وتم دفن الوردي فى مقبرة كانت تضم وضمت عظماء من عصره، والدفن كان دون اذن من الدولة، حيث لم يكن يسمح بالدفن الا فى الاماكن المخصصة لذلك، اما فى مقبرتى بغداد او الى النجف وكربلاء، ولكن الوردي العظيم استقر فى مقبرة اجداده العظام، فقد كانت هذه المقبرة مخصصة لأطفال بنى هاشم فى العصور الاسلامية الزاهرة وتسمى مقبرة الاطفال، وقد قال العلامة محفوظ عن هذه المقبرة بانها مقبرة العظماء، حيث حوت جثامين عظماء العراق، يقول محفوظ رحمة الله عليه: (ان المقبرة التى دفن فيها الوردي أسميتها بمقبرة العلماء... وتلك المقبرة تقع فى جامع براثا، وكان يدفن فيها الأطفال...، نعم هى الان مقبرة الكبار جواد على، طه باقر، على جواد الطاهر، على الوردي وعباس على، ومستشرق تشيكى درست عنده اللغة الألمانية، وقد أسلم واستبصر ومات ودفن فى براثا، كذلك دفن فيها الاستاذ محمد على آل ياسين وشخص بغدادي قديم قرأت اسمه فى كتاب عن بغداد كتبه رجل بغدادي عن احد اصحابه يقول ان الأول من دفن فى براثا ايضا، وبهذا يصبح عددهم ثمانية ولهذا سمّيتها مقبرة العلماء وكتبت فى وقتها مقالة طالبت فيها بعمل نصب تذكاري لهم ومكتبة.. من المؤسف اننا لا نمتلك هكذا ثقافة فى العراق)، ومن المؤسف تحولت هذه الساحة العلمائية التراثية الآن الى قاعة يداس عليها من قبل المحتفلين.!

لقد تم العبث فى المقبرة التى دفن فيها الوردي رحمة الله عليه، ويقينى ان من حول المقبرة الى قاعة للمناسبات لا يدرك التأثير السلبي لعمله، وكم

اتمنى وامر جامع براثا قد حال الى ابن عمنا الشيخ جلال الدين بن الشيخ على الصغير، ان يأمر سماحته بهدم القاعة المشوهة واعادة المقبرة مع تذكارات باسماء العلماء العظماء المدفونين فيها، خاصة وان اغلبهم كان على تواصل مع والده الشيخ علي الصغير رحمة الله عليه.

اقيمت الفاتحة لثلاثة ايام على روح المرحوم الدكتور على الوردي فى حسينية آل الصدر ويطلق عليها حسينية الامام الكاظم عليه السلام، وتقع فى شارع باب المراد بمدينة الكاظمية المقدسة، ولم تبعث القيادة العراقية مبعوثا منها للفاتحة، وانما شارك طارق عزيز وحامد يوسف حمادي وبعض اعضاء السلطة السياسية بصفاتهم الشخصية، لأن الدكتور على الوردي كان قد درسهم في الجامعة.

اقام اتحاد الادباء والكتاب العراقيين اربعينية للدكتور على الوردي، تحدث فيها الدكتور بدر خان السندي والدكتور الحارث عبدالحميد حسن والاستاذ مؤيد عبدالقادر والقى الشاعر الكبير على جليل الوردي قصيدة، والقى محمد الخاقانى كلمة مجلس الخاقانى الذي اسسه الوردي. (صور الاربعينية مرفقة مع هذا الكتاب).

سنوية علمية

كان الدكتور على الوردي لا يحب ان يحتفى به، وان تذكر خصاله فيمدح وتذكر مواقفه فيشكر، وقد احتفلنا يوما بعيد مولده وهو قد بلغ الثمانين حينها، لكنه وان شاركنا مرغما الاحتفال، الا انه حين شكرنا على احتفاء به وبمولده، قال اشكر المداحين، فضحك العلامة محفوظ قائلا لقد شتمنا الوردي فهو يستند على حديث الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله

وسلم حيث قال: (احثوا فى وجوه المداحين التراب)، والوردي يقول اشكر المداحين!!.

بعد اجتماع مع اركان المجلس قررنا ان نحتفل بالوردي فى سنويته الاولى احتفالا يرضى عنه هو رحمة الله عليه، ويليق بعلمه وفكره، وقد توصلنا الى فكرة مفادها، الدعوة الى القاء بحوث فى كل التخصصات العلمية التي خاض بها بها الوردي، واتفقنا على التالي:

اولا : يتحدث العلامة محفوظ في الجانب الادبي من كتب الوردي

ثانيا : يتناول الحاج عباس علي المندلاوي الجانب الفكري

ثالثا : يتناول الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف الجانب التاريخي

رابعا : يتناول الدكتور عبدالستار الراوي الجانب الفلسفي

خامسا : يتناول الدكتور الحارث عبدالحميد حسن الجانب الباراسايكولوجي

سادسا : يتناول الدكتور بدر خان السندي الجانب النفساني

سابعا : يشارك الشاعران الكبيران على جليل الوردي وراضى مهدي السعيد بقصيدتين

ثامنا : تدار الامسية بواسطة محمد الخاقانى الذي يلقى كلمة مجلس الخاقاني

وقد بعثنا رسائل للاساتذة الكرام الذين وقع عليهم الاختيار قبل ثلاثة اشهر، ليتسنى لهم اعداد بحوثهم العلمية، وطلبنا منهم فى الرسالة موافتنا بموافقتهم على المشاركة قبل شهر من المناسبة، لوضع بديل لهم فى حين لم تسنح الفرصة لأحد منهم بالمشاركة، واحمد الله اننا لم نتلق اي اعتذار من اي واحد منهم.

كانت امسية علمية نادرة لا تنسى، رفرفت فيها روح الوردي على الحضور، ولم تسمح لى غربتى فى بريطانيا ان احصل على هذه الكلمات التى ارجو العلى القدير ان اجمعها يوما فى كتاب نظراً لدسامتها العلمية، ومن الله التوفيق.

الفصل الثاني:علي الوردي كما عرفته

سينما بغداد...سيرة حياة الوردي

سوف ادخلك التاريخ

الوردي اسلاميا

الوردي عروبيا

الوردي:لا تغلقوا مبغى بغداد

مرصد للمقاييس المقلوبة

الوردي والشنفرى في شارع المتنبي

يعبر الشارع في راس الحواش ويصلي في الحضرة الكاظمية

يتألق في كنيسة الارمن الارثوذكس

الوردي في حلقة ذكر التكية الكسنزانية

الوردي يلعب سياسة في وزارة النفط

دولة قطر تمنع محاضرة الوردي

رعب يعتريني في قاعة امانة بغداد

احذر المبالغة السياسية امام الوردي

ثلاث فواتح لمسؤولين

اتفاق هدنة في مجلس الخاقاني بين الوردي وخصومه

اعتراض الوردي على فتوى الامام الخميني في الملكية الفكرية

مصطلحات علي الوردي

في عيد ميلاده: اشكر المداحين

حلية الرقص والنساء وشرب النبيذ في المذهب التلفيقي

مناكفات مجلسية للذكرى

الوردي كما عرفته

كنت اود ان اتجاوز على المنهج واترك هذا الفصل دون مقدمة تمهيدية له، فالمختارات التى قدمتها من الوردي كما عرفته ترسم صورة للوردي كما كان هو، تصرفاته، مواقفه، وآراءه، كيف يطرح الفكرة، وكيف يستقبل الجواب ولكن لا يجوز لى ان اتجاوز على المنهج الذي اتبعته، وانما سوف اناور ما استطعت الى ذلك سبيلا فى ان ابقى اجابات الالغاز ضمن مواضيع هذا الفصل وليس في مقدمة الفصل.

لذلك سوف تكون مقدمة هذا الفصل قصيرة لا توضح المواضيع المدرجة فى فهرسه الا بعد قراءتها، كانت سيرة حياة الوردي اشبه بعرض سينمائى شيق، لذلك اختار هو هذا العنوان لسيرة حياته، اما جملة سوف ادخلك التاريخ، تعتبر الجملة الاصعب التى يقولها الوردي اذا ما اراد ان يرد على شخص لا يرد عليه، اما كيف كان الوردي عروبياً واسلاميا، فانصحك بقراءة هذا الفصل لتتأكد من ذلك، لا تغلقوا مبغى بغداد، كتبت لتوضيح رأي الوردي فى هذه القضية، وحاولت ان تكون موثقة بتواريخها ورجالاتها، اما المقاييس المقلوبة فلها فى حياة الوردي قصة لا بل قصص، وعليها جعلها مقياسا للمجتمع وعاداته وتقاليده وربما تمسكه الاعمى بوعاظ السلاطين، وفيما يخص الشنفرى والوردي فى شارع المتنبى فتلك رواية من اغرب ما قد تسمعه عن الوردي.

كلنا عبرنا الشارع فى حياتنا ولمتكن لنا وجهة نظر اجتماعية فى الشارع، الناس والحكومة من خلال هذا العبور، وربما صادفنا الحظ الحسن واقمنا صلاتنا فى الحضرة الكاظمية، لكن كل هذه الامور الحياتية عند الوردي كانت دراسةاجتماعية، سوف يطلع عليها قاريء هذا الكتاب، كنت مرافقا للوردي فى اكثر من محاضرة القاها فى اماكن كثيرة من بغداد عامة وفى بعض المحافظات العراقية، وقد حدثت بعض القضايا خلال هذه المحاضرات احتاجت ان القى الضوء عليها لأسباب عديدة من اهمها: اولا: ان بعض من حضر هذه المحاضرات ما زال حياً، فربما قدر لأحد ان يضيف او يستدرك على ما كتبته وذلك لتعم الفائدة العلمية، ثانياً: قد شهدت مع الاسف ان البعض اثرت فيه عوامل التعرية الزمنية، فكتب عن محاضرات الوردي غير الذي جرى فيها واضاف ونقص وابرم ونقض، لهذا فان ما نقلته بامانة عن هذه المحاضرات ربما افادت من فاته شيء او نسى اشياء ان يستذكرها.

لقد كان بعض الاساتذة ممن يحملون في قلوبهم غيضاً على الوردي يترصدونه اينما ذهب، للتشويش على محاضراته او لأثارة الشبهات حوله، وكان الوردي يسعد بوجودهم، لأنهم يساعدون بطريقتهم التي يناقشونه فيها لتوصيل آرائه الى الناس، وذات يوم والوردي قد بلغ الثمانين فقد ضاق بهم ذرعا، فما كان من مجلس الخاقاني الا وعقد اتفاق هدنة بين الوردي وخصومه، ما اصطلح عليه تزوير كتب الوردي في ايران، وهو طبع الكتب دون اعطاء المؤلف حقوقه، اسندها الناشرون في ايران الى فتوى للامام الخميني، وقد قرأت عليه نص الفتوى التي استند عليها ناشروا بلاد فارس، فاعتراض الوردي على فتوى الامام الخميني في الملكية الفكرية، وقد قدمت لهذه الفتوى وما لها وما عليها، لتكون واضحة امام القراء.

كان للوردي مصطلحات خاصة لا يعرفه الا المقربون، ولكي لا تندثر هذه المصطلحات مع الزمن ذكرت بعض منها تحت عنوان مصطلحات علي الوردي، ذكرت اول وآخر عيد ميلاد للوردي في حياته وقد احتفل به مجلس الخاقاني، وقد رد على المحتفين بعيد ميلاده:اشكر المداحين، واخيرا قال الوردي: الاسلام اجاز الرقص والنساء وشرب النبيذ، ستجد حلية ذلك عند المذهب التلفيقي الذي كان الوردي ينسبه الى صديق له، لقد ادركت ونحن نقترب من عشرين عاما على وفاة الوردي ان بعض مناكفاته ومساجلاته في المجلس نسبت لغيره، فكانت بعض هذه المناكفات المجلسية للذكرى.

سينما بغداد... سيرة حياة الوردي

اختار الدكتور على الوردي اسم سينما بغداد على سيرة حياته، وقد كتبها بدقة واعطى رأيه الصريح فى كل ما شاهده من امور، وكذلك تحدث عن الشخصيات التى رافقها فى حياته وابدى وجهة نظره فيها، برر وجهة نظره والاسباب التى دعته الى ذلك، تراجع فيها عن بعض آراءه كما ذكر سابقا: (إنَّ ندمِي ناشِئٌ فى الحقيقة من كونى قد تغيَّرْتُ فى كثير من آرائى ونهجى الفكري، وهذا أمرٌ طبيعى فى البشر، لأنَّ الإنسان عند تقدُّمه فى السنِّ قد يتغيَّر كثيرٌ من أفكاره التى كان يتبنَّـاها فى شبابه ؛ قلتُ مراراً، وأعيدُ القول الآن:إنَّ الهزَّة الاجتماعية التى شهدها العراق فى ١٤/تموز/١٩٥٨م، قلبَتْ كثيراً من مفاهيمى ونظريَّتى إلى الحياة والمجتمع، فقد كنتُ قبل ذلك أنظر إلى الناس والمجتمع نظرة معيَّنة، ثمَّ شَهدْتُ الأحداث الصاخبة التى حدَثتْ فى تموز ١٩٥٨م، وما بعده، وأدركتُ عند ذاك أنِّـى مخطِئ فى نظريَّتى القديمة فى طبيعة البشر بوجهٍ عام وطبيعة المجتمع العراقى بوجه خاص).

ان هذه المخطوطة النادرة والتى اختفت عن الوجود الان، كتب الوردي رأيه فى السياسة وفى تاريخ العراق بصورة عامة، اعطى الوردي رأيه ووجهة نظر فى ساسة العراق جميعا، كما يراهم هو بعين عالم الاجتماع، لقد درس الوردي بعض الساسة فى العراق دراسة سايكولوجية، وتحدث عن اغرب المحطات التي شاهدها في تاريخ العراق المعاصر.

ذات يوم كنا انا والاستاذ سلام الشماع نرافق الوردي الى بيته مشيا على الاقدام، وكانت الارض تزلزل من تحتنا بين فترة واخرى، ولم تكن سماء العراق تتبع العراق، اذ ان الطائرات الامريكية تملكتها ملكاً صرفا، تفعل فيها ما تشاء، وتضرب اي مكان شاءت، ولا فرق بين ملجأ العامرية والاطفال وقيادات الجيش والدفاع والاستخبارات، كان ذلك شتاء عام ١٩٩١ حيث لم يذعن العراق لقرارات الامم المتحدة ولم يسحب جيشه من الكويت، فاغارت الطائرات الامريكية على العراق واطاحت بالبنية التحتية من جسور الى تصفية المياه الى محطات الكهرباء، وقتلت الحرث والنسل... وكان الوردي يدون يومياته في سينما بغداد عن هذه الاحداث جميعا.

قال لنا الوردي يوما: مساكين اجدادي يرددون المثل (عش رجبا ترى عجبا) دون ان يبحثوا يوما عن العجب الذي فى رجب، والحمدلله ان الله اطال فى عمري ورأيت رجب الذي يرون فيه العجب، وكان القصف الامريكى على العراق فى رجب، فقلت له هل تقصد القصف والحرب، قال لا القصف ليس عجبا، بل هو من مستلزمات الحرب، ولكن العجب ما سبق هذه الحرب من احداث بدءا بالغزو واسبابه مروراً بالمفاوضات واساليبها وانتهاء الى الحرب، انه فعلا رجب وفعلا سبقت اجدادي اذ رأيت فيه العجب، قلت يا دكتور وكيف اجد وجهة نظرك فى العجب ان لم تخبرنى بها الان، قال الوردي: ستجدها بعد موتى مدونة فى مذكراتى اي فى كتابه سينما بغداد!

هذه المخطوطة المهمة التى ربما تمثل احدى اهم المخطوطات التاريخية فى العراق، قد اختفت لسوء الحظ، ويؤسفنى ان اقول هنا بانى كنت قد شاهدتها فى مكتبة الوردي رحمة الله عليه، كما قلت فى الفصل الاول من هذا الكتاب، وقد سألت الدكتور حسان نجل الوردي الاكبر عن هذه المخطوطة، واخبرته اننى شاهدتها فى مكتبة والده المرحوم، وقد اكد لى الدكتور حسان بانه سمع عنها ايضا وكان يود لو رآها، ولكنه لسوء الحظ لم يرها، وقد بحث عنها فى المكتبة فلم يجد لها اثرا، ارجو العلى القدير ان يوفق عائلة المرحوم الوردي وان تجدها يوما لتتحف بها المكتبة العربية ان شاء الله.

اما لماذا اطلق الوردي على سيرة حياته سينما بغداد، فذلك يعود الى اول دار سينما بنيت فى العراق اوائل الحكم الوطنى، كانت بالنسبة للناس قضية مهمة ان تزور السينما، واذا ما زار احدهم سينما بغداد، فانه حين يعود منها لا يرجع بقصة الفيلم فحسب، بل هو يذكر رحلته الى السينما من البداية الى النهاية، خاصة وان اغلب رجال الدين قد اعلنوا حرمة السينما فى ذلك الوقت، فيحق لمن ذهب الى السينما ان يتحدث فى اي شيء من العجائب والغرائب التى شاهدها قبل الفيلم وبعده واثناء مشاهدته، لذا اشتهر عن الاشياء العجيبة والغريبة والتى لا يصدقها العقل بانها(سينما بغداد)، وهذا هو السبب الذي دعى الوردي بان يطلق على مذكراته التى اختفت هذا الاسم، ليكون اختفاءها بعد ان رأيناها انا والاستاذ سلام الشماع فى مكتبة الوردي رحمة الله تعالى عليه، مصداقا لتسمية الوردي، فقد استمرت السينما بالعرض وان لم يشاهدها احد، والله المستعان على كل حال.

سوف ادخلك التاريخ

مفردة شهيرة يطلقها الوردي على كل من يتناقش معه (سوف ادخلك التاريخ)، بعضهم يعتبر كلمة الوردي هذه قدحاً وبعضهم يعتبرها مدحاً، وتبقى الجملة تقبل الاحتمالين، وربما قبلت احتمالات اخرى، فهي مطاطة وليست ذات تعريف ومعنى دقيق ليستدل من خلالها على ما اراد الوردي ايصاله من خلالها.

سألت الوردي الكبير يوما عن معنى: سوف ادخلك التاريخ ورجوته ان يعطيني المعنى الصحيح لها، لأعرف ماذا يقصد؟ فقال شريطة ان لا تخبر احدا بالمعنى وانا على قيد الحياة، فوعدته بعد ان دعوت له بطول العمر، قابل الوردي دعوتي له بطول العمر، بان مز شفاهه الى اعلى باتجاه اليمين، وهي الحركة التي يفعلها الوردي، اذا ما طلبت له من الغيب شيئا، كما الدعاء له او مدحه ومدح فكره او الاشادة به، فان رده يكون بحركة الفم هذه، وهي اجابة افصح من كلام، اجابني الوردي بصدق ودون تهكم: بانه يقصد بادخال الشخص الى التاريخ هو اضافة اسمه الى سجل مذكراته سينما بغداد، وبانه هناك في سينما بغداد سوف يقول رأيه الصريح بهذا الشخص، وسوف يفضحه علميا واجتماعيا وربما سياسيا، وبذلك سوف يدخل الشخص المعني الى التاريخ من اوسع ابوابه.

سألت الوردي لماذا لا يقول رأيه بصراحة امام الشخص المعني بدل ادخاله التاريخ؟!، فاجاب: ليس امام كل شخص تستطيع ان تعطي رأيك بصراحة، فلربما قتلك احدهم لأنه لم يقتنع برأيك، وكذلك فانت لا تستطيع ان تناقش كل انسان باسلوب علمي وبالمصادر والمراجع في كل مكان وزمان، فلكل انسان طاقة وحدود يعمل ويتصرف ضمنها، ورب انسان لا يعرف حدوده فيظن بينه وبين نفسه انه اعلم من الطبيب في طبه واحسن من

المهندس في هندسته وادق من عالم الاجتماع في تحليلاته، قال كارينجي يجب علي ان اتجنب النقاش مع مثل هؤلاء.

واكمل الوردي وجهة نظره قائلا: المشكلة تكمن في ان البعض يريد ان يناقشك لمجرد ان يعلن انه ناقش الوردي و(افحمه) وهو يخرج من النقاش معك بعد ان صمت عنه ولم تجبه لجهله، يخرج منتصرا منتشيا وكأنه قد حقق انجازا، ومن ثم ربما صادف ان نشر ما يعتقده بين الناس، باي وسيلة نشر كانت سواء باللسان او بالكتاب او بالجريدة وكلها الان متاحة، لمثل هؤلاء السياسيون والشطار والمتحذلقون ولا اقول السفاسطائيون، ولذلك جهزت لهم سينما بغداد حيث استطيع بواسطة هذا الكتاب ادخالهم الى التاريخ، لذلك حينما اقول (سوف ادخلك الى التاريخ)، فاني اغير نبرتي الى نبرة تهديد ووعيد!!.

واكرر اتمنى ان ارى يوما الاسماء التي ادخلها الوردي الى التاريخ، وان طال بنا الزمن من بعد وفاته، الا ان سينما بغداد وطريقة ادخال الناس الى التاريخ سوف تكون وثيقة مهمة لا يستغني عنها الدارسون، واؤكد هنا على ما اكده الوردي ان ادخال التاريخ هذا لا يشمل العلماء الذين ناقشوه في شتى المسائل العلمية واختلفوا معه، واحتفظ كل منهم برأيه، فهؤلاء علماء متخصصين وقد شملت مناقشتهم للوردي الامور العلمية ذات الاختصاص المشترك، على سبيل المثال الدكتور عبدالرزاق محي الدين، الذي اشترك مع الوردي في كتاب اسطورة الادب الرفيع وتناقشا فيه بكل اريحية، اذن ما اختفى مما ذكره الوردي في سينما بغداد، وممن ادخلهم التاريخ، يشتمل على الذين يناقشون الوردي من السياسين والاثرياء والادعياء، يناقشونه بقوة سلطانهم وجاههم او ادعائهم.

حدثني الوردي يوما عن شخص وسيم طويل القامة ثري وسياسي

ناجح، يقول الوردي وقف هذا الرجل امامي مدعيا انه انسان عصامي وناجح، قال لي دكتور هل رايت انا صنعت نفسي بنفسي، فلي شهادتي العليا، ومركزي المرموق في الدولة وثروتي ووسامتي، وهذا دليل على ان ما قلته بان الانسان صنيع بيئته ومجتمعه واسرته ليس صحيحا، اجابه الوردي: نعم انت كسرت القاعدة، ولكل قاعدة شواذها، لكن الوردي اردف يكمل لي القصة، قائلا: هذا الرجل ينكر ان اباه كان طويل القامة وامه لم تكن قصيرة بين النساء، فجاء بالموروث الطبيعي طويلا، كذلك هو عبارة عن تزاوج حضارتين وكلاهما وسيم وجميل، لذلك صار هو وسيما، ولو افترضنا انه ولد من اب قصير وام قبيحة، فهل كان سيرث منهما الوسامة مثلا، اما الشهادة العليا فهي تدل على ثراء ابيه، اذ بعثه الى ارقى الجامعات وصرف عليه اعلى المبالغ، فلو لم يكن الاب ثريا، هل كان سيدخل الجامعة اصلا على ذكاءه المحدود، وهذا الامر ينطبق كذلك على الاموال والاراضي التي ورثها عن ابيه اذ صنعت منه ثريا، وربما بدد هذه الثروة يوما لقلة في فهمه.

قال الوردي: عرف عن هذا السياسي التافه بطشه بمنافسيه، وقلقه الدائم على مركزه، وعدم قبوله سماع اي رأي يخالف رأيه، لذلك اجبته بانه شواذ هذه القاعدة، وانه العظيم الذي كسر القاعدة، لكني في كتابي سينما بغداد اخرجته من بيت هيبوا وادخلته الى التاريخ من اوسع ابوابه.

الوردي اسلاميا

لم يكن الوردي يوما اسلاميا، ولم يقتنع بشعار الاسلام هو الحل، بل كان يعتقد بالبراغماتية السياسية تحت اي منهج سياسي واع لأدارة الامور السياسية، وسوف نذكر ذلك في وقته، لكن كيف كان الوردي اسلاميا، يقول

الوردي: حينما كنا ندرس في الولايات المتحدة الامريكية، دخل علينا احد الاساتذة وكان من طلاب عالم الاجتماع الاشهر دايل كارينجي، وكان درسه عن الآراء المتقابلة في الطبيعة وقناعة كل انسان بان ما يحمل من مباديء وآراء هي الافضل، ولذلك هو اعتقد بها ولا يمكن ان يقتنع بفكر آخر لمجرد ان تناقشه، بل عليك هدم اساس الفضيلة في آراءه لأدخال آراء اخرى الى منظومة عقله، وقال الاستاذ ان هذه النظرية الحديثة هي من مكتشفات دايل كارينجي المفكر الاجتماعي المعروف.

رفع الوردي يده للتعقيب على اساتذه على الدكتوراه، فقال الاستاذ دعنا نرى ماذا عند الوردي؟، قال الوردي: بان هذه النظرية ليست جديدة وانها مطروحة في التراث الاسلامي منذ اكثر من ١٣٠٠ عام، وقد ذكرها القرآن الكريم بوضوح وتحديد كما ذكرتها انت الان... اسقط في يد الاستاذ فطلب من الوردي ان يكتب على اللوحة(السبورة) ما قاله القرآن مع ترجمته الى اللغة الانكليزية، بشأن قناعة كل شخص بما يحمل من مباديء، لكي يناقشها معه، مع ادراك بقية الطلاب للموضوع من خلال الترجمة الانكليزية، فكتب الوردي الآية القرانية: (كل حزب بما لديهم فرحون)، وكتب ترجمتها نصاً، يقول الوردي: قرأ الاستاذ الترجمة ثم نظر لي وقال هل انت متأكد بان محمد قد قال هذا قبل ١٣٠٠عام، فقال الوردي نعتقد نحن ان الله ابلغها لرسوله وهو نقلها لنا، فقال الاستاذ انها قمة العبقرية من محمد ان يقول ذلك، فقال الوردي انها ليست عبقرية فيما نعتقد نحن، بل هي نبوة، فاجابه الدكتور المحاضر: انا شخصيا اعتبرها قمة العبقرية، وهي ملامسة للنبوة، لكني لا استطيع ان اقول هذه تدل على نبوة محمد، اذ سوف تضطرني للقبول به نبيا، وهذا يخالف قناعاتي حاليا، ولكني اراكم محقين في اعتباره نبياً، فمن يدري لو اني قرأته قبل ان اكون استاذا للعلم الاجتماع، لما كنت اقتنعت به.

يقول الوردي وبدأ استاذ علم الاجتماع يركز على الآية الشريفة ويشرحها لنا، ويسجل ما يراه فيها متقدما على العلم، منها قصرها، فهي ليست بالطويلة المشروحة ولا بالقصيرة التي لا تعطي المعنى كاملا، بل هي تناسب ما تقوله تماما، وهي في نفس الوقت تحدد نظرية علمية في علم الاجتماع كانت مادة بحثنا لهذا اليوم، وهي تدلل على سعادة وفرح كل شخص بما يملك من آراء وافكار، وهي تحدد للانسانية ان كل تجمع يشترك بفكرة واحدة حتى وان اطلق على نفسه اسماء متعددة الا انه (حزب)، ومفردة حزب هي ما اراده علم الاجتماع الحديث تماما، اكرر اكثر من مرة ان هذه الآية او الكلام الصادر عن محمد يدل على عبقريته!

يقول الوردي: عندها قلت للاستاذ ما زلت تنسب الكلام الى محمد وهو رسول قد اوصل لنا كلام الله، فقال الاستاذ: ربما يكون كلام الله، فلا يمكن لشخص ان يقوله قبل اكثر من مئة قرن، وسوف ابحث في طروحات الاسلام العلمية لأرى ماذا يقول، ومن ثم احدد موقفي، فلا تحرجني بهذه الاسئلة التي لن اجد لها جوابا، طالما اني اجهلها، فرد الوردي على اساتذه بصدق نظرية كارينجي الذي يقول: (ان قناعة كل انسان بان ما يحمل من مباديء وآراء هي الافضل، ولذلك هو اعتقد بها ولا يمكن ان يقتنع بفكر آخر لمجرد ان تناقشه، بل عليك هدم اساس الفضيلة في آراءه لأدخال آراء اخرى الى منظومة عقله)، عندها نظر الاستاذ الى الوردي نظرة ذات مغزى، وقال: نعم ايها الوردي.

لم يروي الوردي القصة امام الناس ولم يذكرها في كتبه، ولم يتبجح بها كما يفعل بعض المحسوبين على التيارات السياسية الاسلامية بقصصهم الوهمية هذه الايام، بل قالها يوما ما اضطرادا في موضوعه عن اختلاف الآراء بين الناس، وكان ذلك بحضور العلامة محفوظ الذي ابكته القصة والاستاذ

سلام الشماع والاستاذ باسل الخزرجي والاستاذ عبدالمطلب مهدي عبود وكنت انا معهم، واتم الوردي القصة بان تحدث عن الحزب الذي هو فرح بما لديه، والذي صدق ان الحق عنده وحده، وربما اخذ معه كل الجماعات الاخرى سواء آمنت به ام لم تؤمن الى مصيبة لا تحمد عقباها.

الوردي عروبيا

ربما لا يتصور احد ما ان الدكتور علي الوردي قومي عربي او عروبي الفكرة، وهذا صحيح فالوردي كان انسانياً في فكره تجاه الغير، ولا يفضل اي قوم على قوم آخر، ولم يكن يوما متعصبا لعرق اومذهب، انما كانت تعصبه ودفاعه كله عن العلم اينما وجد وعند اي كان.

كان الوردي يوما عروبيا اكثر من الدول العربية التي تؤمن بالقومية العربية، ظهر ذلك جلياً عندما احتد على موظف الجوازات الذي استفسر منه عنه اصله الذي ربما يكون فارسيا، والحديث هنا عن زمن دولة البعث (القومية) التي حكمت العراق في الفترة الزمنية من ١٩٦٨ الى ٢٠٠٣ ميلادية، وكانت ترى بان امة العرب امة واحدة وان رسالتها خالدة، ولحسن الحظ ان الاستاذ سلام الشماع قد رافق الوردي الى مبنى الجوازات وحضر مقابلة الوردي وضابط الجوازات ولنقرأ ما قال سلام الشماع في هذا الخصوص: (عشت مع الوردي حادثة مهمة ترتبط بهذه التهمة. ففي أثناء الحرب العراقية الإيرانية طلب منّي الوردي مرافقته إلى مديرية الجوازات لتجديد جواز سفره. وعندما دخلنا إلى غرفة الضابط المسؤول وجدنا عنده مجموعة من النساء فحاول هذا الضابط الاستخفاف بالوردي.. فأمسك بالجواز وبدأ يهزه ويقول:أنتم بيت الوردي ما هو أصلكم؟ هل أنتم تبعية لكي نسفّركم؟ من أين أنتم؟ فأجابه الوردي بهدوء قائلاً: والله نحن من الحجاز ولكن تورطنا وجئنا إلى العراق).!!

ولكن الاستاذ سلام الشماع يقول ان الوردي رد على شخص اتهمه بانه فارسي في كتاب من وحي الثمانين الذي كتبه سلام الشماع عن الوردي، وقد اورد (الشماع) النص التالي في مقابلة صحيفة اجريت معه: (نعم، لقد اتهم الوردي بأنه فارسي في حين أنه من عائلة حجازية عربية مؤصّلة. لقد قال عنه صاحب كتاب "في الأدب وما إليه":"وحسب اعتقادي ينتمي الوردي إلى جيل طازج من المهاجرين الفرس إلى العراق". وردّ الدكتور (الورد) على هذه التهمة وسفهها وفنّدها تماماً في مقدّمته لكتابي "من وحي الثمانين" في طبعته الثانية والثالثة).

وبعيداً عما عاناه الوردي في ظل النظام القومي من اتهامات كما اطلق عليها الاستاذ سلام الشماع، الا ان له موقف قومي في الدفاع عن قضايا الامة العربية، ربما لم تتخذه اكثر الدول، وهو ما جعلني اسمي هذا المقطع الوردي عروبيا.

موقف الوردي يتلخص بالتالي: حيث فشلت الثورة التونسية في عام ١٩٥١ في حركتها لأجل الاستقلال من فرنسا، فهرب الثوار الى ارجاء الوطن العربي خشية البطش الفرنسي، ووصل بعض الثوار الى بغداد، لكن الحكومة آنذاك كانت قد اقرت الميزانية، ولم تجد بنداً تصرف فيه على اللاجئين التونسيين، واضطرت الى اسكانهم في الاقسام الداخلية المخصصة لطلاب المحافظات العراقية في بغداد.

وصلت هذه القضية الى الوردي من خلال طلابه، وشعر بحسه القومي العالي وباخلاقه الراقية بان الثوار لن يجدوا مالاً يعتاشون به لفترة من الزمن حتى تجد لهم الدولة حلا، كان الوردي على موعد مع كراسته (في طبيعة الفرد العراقي) وهي كراسة لا تتجاوز الثمانين صفحة صدرت في عام ١٩٥١ ولكنها كانت النواة لكتابه المعروف بنفس الاسم، فاخذ الكراسة المطبوعة

ووضع عليها سعرا هو الاعلى في وقته خمسون فلسا للنسخة الواحدة، وطلب من طلابه المتمكنين ماديا ان يشتروا نسخا من الكراس، ومن بقية طلابه ان يسوقوا الكراس على الشخصيات والوجهاء، على ان يكون ريع الكتاب لصالح الثوار القادمون من تونس حتى تجد لهم الحكومة حلا.

الوردي كما كان اسلاميا، مدافعا عن النبي والقرآن امام اساتذته في الولايات المتحدة الامريكية، كذلك صار هنا عروبيا يدافع عن الثوار العرب الذين اخرجوا من بلادهم بعد فشل ثورتهم لنيل الاستقلال، لم يتبجح بعمله الانساني القومي هذا، ولم يخبر به احدا ولم ينشره في اي من كتبه، وانما روى لي هذه القصة بيني وبينه، وايضا اضطرادا وهو يتحدث عن بدايات ظهور كتاب في طبيعة الفرد العراقي، الكتاب الذي افخر بان الوردي اهداني نسخة منه بتوقيعه الكريم.!

الوردي: لا تغلقوا مبغى بغداد

يقول كتاب التاريخ ان القائد المغولي هولاكو قد اتخذ موضعا في بغداد يقطع فيه رؤوس مناوئيه، وقد سمي هذا الموضوع حسب اللهجة المغولية وهي فرع من اللغة التركية (الكلجية)، ومفردة الكله بالتركية والفارسية تعني الرأس، وبات هذا الموضع منحوساً عند الناس للدماء التي سالت فيه، فاتخذته العواهر مكاناً وملجأ يعيشون فيه، واستمر الحال حتى مجيء الحكومة الوطنية بقيادة الملك فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، وقررت الحكومة ان تخضع النساء العاملات في هذا المبغى الى فحص صحي دوري ومراقبة من وزارة الشؤون الاجتماعية.

احتج النواب منذ زمن فيصل الاول على المبغى وارادوا غلقه وازالته، لكن كل الحكومات التي جاءت لم تصدر قرارا بغلق المبغى، وبقي الموقف

على ما هو عليه حتى ترأس محمد فاضل الجمالي الحكومة في عام ١٩٥٣ وقرر غلق الكلجية والغاء البمغى فوراً ومنع البغاء الرسمي في العراق، وكان هذا القرار مورد تندر في المجتمع العراقي، فقد وصل خبر اغلاق الكلجية الى النجف، فارتجل الشيخ محمد علي اليعقوبي ابيات شعرية وبعثها الى بغداد لتنتشر بين الناس وهي:

وقال‌لوا ببغداد الجمالي قد محا   منازل قوم دنستها العواهر

لقد طهروا منها الديار ولم يكن   لتطهر من ابنائهن الدوائر

ولم يكن هناك من عامة الناس من لم يفرح لهذا الخبر، الا المتضررين والمتضررات، والدكتور علي الوردي، الذي لم يشتهر عنه معاقرة مثل هذه الاماكن، واما بالنسبة للمتضررين من الرجال والمتضررات من النساء، فانهم وانهن سوف يجدون امكان كثيرة تؤيهم، ولكن لماذا الوردي لم يوافق على اغلاق المبغى؟.

يقول الوردي: لقد كان المبغى يجمع النساء العاهرات في مكان واحد، وهو تحت اشراف وزارة الشؤون الاجتماعية من حيث المتابعة المعيشية، وتحت اشراف وزارة الصحة من حيث الفحص الدوري الذي تجريه الوزارة على النساء العاملات، كما كان يسميهن الوردي.

يقول الوردي: بعد اغلاق المبغى سيواجه المجتمع العراقي مشكلة استيعاب هؤلاء النسوة، وسوف ينتشرن على كل احياء بغداد، وربما اتخذن من جوار بيوت الشرفاء محل عمل لهن، وبذلك سوف يختلطن مع المجتمع ويتأثر بهن الاخريات، وربما تحولوا الى الخدمة في البيوت وكان تأثيرهن اكبر على صاحب البيت او زوجته او ابنته، وكذلك فهن حين يخرجن عن نقاط وزارة الشؤون الاجتماعية واشرافها فان الشارع سيكون في انتظارهن،

وسوف يكثر البغاء بدلاً من ان يقل ولكنه غير مقنن ولا مراقب، وسوف تكثر الجريمة، واخيرا: بعد المنع لن يكون هناك اشراف طبي على العاملات في هذا المجال ولن يكون هناك فحص دوري، وسوف تختلط هؤلاء النسوة بالمجتمع مع امراضهن الجنسية الغير معلن عنها، فيصاب المجتمع بالعدوى.

مرصد للمقاييس المقلوبة

دأب الدكتور علي الوردي على نقل بعض العادات والتقاليد التي تميزت بها المجتمعات الغربية ومقارنتها مع الواقع الذي تعيشه المجتمعات الشرقية، وكان يحاول من خلال تمثيل صورة هذه العادات والتقاليد في اطار قصة ذات عبرة وابتسامة تهكم، يرويها لنا ويشرح بعد ذلك الفرق الشاسع بين الغرب والشرق في التفكير والتطبيق من خلال هذه المقارنات.

روى الوردي عشرات القصص حفظها كل من سمع الوردي، وكان لحبكتها وطريقة تقديمها دور كبير في قبولها عند المجتمع العراقي الشرقي، ويؤسفني ومن خلال معايشتي للوردي وكل الذين احاطوا به ان اعلنها صراحة، بأني لم اجد تطبيقا واقعيا لنصائح الوردي المسبوكة على احسن وجه بين كل اصحابه، فقد اتخذوا منه بعد وفاته رحمه الله مادة يعلنون فيها عن انفسهم وتربيتهم وبيئتهم، ولم يظهر بيننا وانا منهم من طبق امثال الوردي على نفسه، وشخصيا اضطررت الى تطبيقها، ليس لأني كنت من طلبة الوردي الفالحين، بل لأني انتقلت الى العيش في بريطانيا التي لديها قوانينها ومقاساتها الخاصة، ولست من الذين يخالفون القانون، خاصة اذا كان هذا القانون يضمن لك الحقوق ويلزمك بالواجبات، وهو ما يختلف كليا مع قوانين بلادنا الاسلامية الشرقية اعاذنا واياكم الله من قوانينهم!.

هل سمعتم بكاءه، انه ينتحب، يكاد صوت انينه العالي ان يبكي الحجر، يجب علينا وعليكم انتم اصدقاؤه خاصة وضع حل لمشكلته، انا اتحرج ان اسأله، فهو يمارس بكاءه وانينه في الحمام، ويخرج منتشيا وسعيدا، انا اخشى ان اتحدث معه، فربما شعر ان احدا ما ينتهك خصوصيته، انتظر منكم ان تتحدثوا معه لأطمئن على هذا الرجل الطيب!.

هذا اقرب ما يكون الى نص الحديث السري الذي افضت به السيدة العجوز صاحبة البيت البريطانية الى اصحاب الوردي بشأن صديقهم الدكتور علي الوردي الذي جاء يقضي اجازته الصيفية الجامعية في بريطانيا، وعادة ما كان يسكن عند هذه العجوز التي تؤجر بيتها للمشاركة مع الطلبة الوافدين الى بريطانيا ومازالت هذه العادة مترسخة عند بعض اصحاب البيوت، كان الحدث في العطلة الصيفية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت اوربا تنتعش بمشروع مارشال الامريكي، والحرب قد وضعت اوزارها، فلماذا يبكي الوردي؟.

اصدقاء الوردي وهم قلة قلقوا على حاله، فالعجوز اشارت الى حالة نفسية مستعصية لشخص يبكي بصوت عال في الحمام، الا ان انفتاح الوردي الفكري تجاه كل الناس وحبه للاستماع اليهم، سهل عليهم مهمة سؤاله، فسالوه ماذا تفعل عند الاستحمام ؟

قال: استحم

قالوا: هل تفعل شيئا آخر؟

قال: لا

قالوا: لقد سمعتك صاحبة البيت تبكي وتإن، فهل كنت تشكو من

المشكلة، تقول ان البكاء والانين بصوت عال يرافقك كلما ذهبت الى الحمام.

قال الوردي: نعم في كل مرة ادخل فيها الحمام، اترنم مع نفسي ببعض الاغاني العراقية الجميلة!!

يقول الوردي حينما اعدت الاغنية على العجوز، قالت نعم، هذا ما كنت اسمعه في الحمام.

افهموا السيدة البريطانية انه الغناء العراقي، وان الوردي يغني، لا يبكي ويأن وينتحب كما تصورت، قالت ولماذا كل هذا الحزن والالم الممض في اغانيكم، الا تعلمون ان الغناء اخترع لكي يسعد الناس، فلماذا انتم تبكون في الغناء!.

كانت المفاهيم مقلوبة بين بريطانيا والعراق، فالغناء يمثل البيئة التي ينشأ فيها ويتحدث عن مفاهيمها الاجتماعية ويتأثر بقيم تلك البيئة، لذلك الغناء في بريطانيا يدعو الى الامل والمحبة والسعادة، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بكل مآسيها، فالمجتمع البريطاني يعتبر نفسه قد انتصر في الحرب ويريد النهوض من كبوة الاعوام الستة من قبل الحرب حتى بعد انتهائها.

والغناء العراقي هو الآخر يمثل بيئته، حيث التسلط العشائري، والتبرير الديني من رجال الدين لعمل شيخ العشيرة او الحاكم، ومنع الحب على الفتاة، واباحة كل شيء للرجل، خاصة اذا كان متنفذا، والزواج الاجباري، والزواج (كصه بكصه)، والذي يشترط فيه قبول خطبة الشاب من المرأة التي يريد في مقابل ان يزوج الخطيب، اخته لشقيق زوجة المستقبل، او امه الارملة لوالد زوجة المستقبل الارمل، او زواج (الفصل) والذي يكون بناء على امر شيوخ العشائر الذين فصلوا في مشكلة عشائرية، فكان على المدان

ان يسدد اخته او ابنته ضمن صفقة الصلح للمدين، او ان تولد البنت ويعين لها ابن عمها زوجا مستقبليا، وقد غنت مطربة عراقية وهي ترقص بسعادة مفرطة، اغنية تقول كلماتها: (اروح للملا علي ... واقوله يا ملا علي ... شايب وانا بنيه ... وانطوني فصلية...)، اي انها تشكو للملا وهو رجل الدين في القرية، اضطهاد العشيرة لها، حيث زوجوها، وهي شابة صغيرة (بنيه)، لشيخ كبير في السن(شايب)، وانها كذلك زوجت عن طريق الفصل العشائري (فصلية)!، فسعادة المطربة بالحدث الذي تغنيه ورقصها الرشيق يشبه الى حد كبير سعادة الوردي هو في الحمام!

ويضاف على كل هذه المصائب الاجتماعية اضطهاد الاقطاعي صاحب الاملاك والاطيان للفلاح الذي يعمل عنده، والطبقية والمحسوبية والاصل والفصل والعشيرة التي تكون النسبة الكبرى من المجتمع العراقي، وهو مجال دراسة الوردي...

من مثل هذه البيئة ظهر غناء الوردي في الحمام، واحزن وابكى العجوز البريطانية، وكادت ان تحوله الى طبيب نفساني، لكن المطرب المستحم يخرج منتعشا منتشيا سعيدا، فهو يحاكي واقعا ابتعد عنه من حيث المسافة الزمنية ولكنه يتعايش معه ذاتا وقلبا.

اخالني استمع للشاعر الكبير مظفر النواب وهو يردد في امنياته، ان لي امنية اخرى: بان يصبح اللحن عراقيا وان كان حزينا...

مقياس الشرف والامانة

وما زلت اتحدث عن المقاييس المقلوبة التي وجدها الوردي في الغرب واتى بها الى العراق، بصفته عالم الاجتماع لديه الوصفة السحرية، وقد رافقته في صباح يوم جمعة من احد الاسابيع النيسانية في بغداد، كانت الشوارع

تبدو شبه خالية من المارة بسبب العطلة، ذهبت برفقة الوردي بعد ان تركت سيارتي متوقفة امام باب بيته، واخذت اتمشى معه باتجاه بيت الدكتور عبدالحميد الهلالي حيث يعقد مجلسه الاسبوعي.

مررنا الوردي وانا في طريقنا الى مجلس الهلالي، وفي مسافة ليست بالبعيدة من بيت الوردي على روضة اطفال حكومية، وكانت مغلقة يوم الجمعة كغيرها من المراكز، وقد لفت انتباهي ان احد جيران مبنى الروضة قد مد توصيلة ماء وتسمى في العراق(صونده وفي دول الخليج هوز وفي بلاد الشام بربيش)، من الروضة الى بيته، ليسحب الماء من الروضة الى البيت، وبذلك سوف يربح ملء خزانات البيت بالمياه المجانية، طالما ان روضة الاطفال في العطلة الاسبوعية.

اخبرت الوردي بالقصة وطلبت منه ان يدقق النظر، فقال الوردي بنبرة مذيع الاخبار حين يذيع البيانات العسكرية: نعم هذه الروح الوطنية التي غرستها فينا الحكومة!، ثم اخذ يحكي قصة مقاييس الشرف المقلوبة في لندن، حيث اتخذ الوردي غرفة في بيت سيدة بريطانية عجوز، وقد انتهرته العجوز التي يسكن عندها لأنه يرفع قبعته بالتحية الى العجوز التي تسكن في اول الحي، مما اثار استغراب الوردي واستفساره منها، لماذا لا ارفع لها القبعة؟، اليس ذلك من الخلق البريطاني المحبب لديكن؟ ونساء الحي كلهن يرددن التحية علي بايماءة من رؤسهن!، قالت نعم انما اعترض على السيدة التي تسكن في آخر الحي، وليس كل النساء، فهذه ليست شريفة!!، ابتسم الوردي ابتسامة الشرقي حين يفهم المغزى من النصيحة!، لكن العجوز بحسها النسوي قد ادركت كما يبدو سر ابتسامة الوردي، فاردفت قائلة: هل تصدق ان هذه العجوز الشمطاء لم تكن تطفيء شمعة بيتها حين تغار علينا الطائرات النازية في الحرب العالمية الثانية، لقد اثبتت للحي كله انها ليست شريفة!!.

واسقط في يد الوردي، ولكنه ادرك ان مقاييس الشرف بين بريطانيا والعراق مقلوبة، قال لي لا ادري لماذا تذكرت هذه السيدة البريطانية وانا ارى هذا الرجل الشريف وهو يسرق الماء من روضة الاطفال، تذكر الوردي هذه السيدة التي تركت بيتها للصباغ كي يصبغه، فاستغرب الوردي، وسألها كيف تترك بيتها لرجل غريب ربما سولت له نفسه فسرق البيت؟، ولماذا لا تقف على عمله لترى ما يفعل، فربما لم يتقن العمل؟ ضحكت السيدة العجوز واخبرت الوردي ان الرجل يعمل في شركة، واذا ما اشتكى احد عن فقدان شيء من بيته، فان الشركة تغرم ويفصل ويسجن العامل اذا ثبت انه سارق، اما انه لا يتقن العمل، فذاك مستحيل لأنه سوف يخسر زبائنه ولن يجد من يطلبه ويفلس!!.

الوردي والشنفرى في شارع المتنبي

ذهبت يوما بمعية الوردي الى شارع المتنبي هو اشهر شوارع بيع الكتب في بغداد، وكنت معتادا ان ازور الشارع ايام الجمع ان سنحت الفرصة، للأطلاع على آخر ما يصل الى المرحوم نعيم الشطري الشهير، صاحب مزاد الكتب المعروف، حيث هناك المزايدة على الكتب، سألني الوردي يوما عن وجهتي يوم الجمعة قلت انها للمتنبي، فقال تعال وخذني معاك.

كان جل تركيزي وانا امشي مع الوردي ان احصل على كتاب مفقود او ممنوع وقد طرح في المزاد او على الارض للبيع، وكان كل تركيز الوردي ينحصر على الجدران، استقبلنا نعيم الشطري بعد الانتهاء من المزاد واحضر كرسيين في باب محله لنجلس عليهما، فقلت للوردي باني لم احصل على الكتب التي كنت اتوقع الحصول عليها، فقال الوردي لكننا حصلنا على العبث وعلى هدر الاموال وعلى النزق، وكان عصبيا حقا، فتلاطفت معه، قائلا كيف يا دكتور؟

قال: هل تنظر الى جدران شارع المتنبي وقد غلفت بالآجر المنقوش، فقلت نعم لقد ظهر منظر الشارع تراثيا وجميلا، فقال الوردي وهل هذا وقته؟ فقلت وقت من؟ قال ان العراق يشكو من ازمة سكن، واكثر شبابه يسكنون الان مع اهليهم اذا ما ارادوا ان يتزوجوا، وهذا السكن المشترك يسبب مشاكل اجتماعية كثيرة قد تفضي الى الطلاق، والدولة تهدر الطابوق الكثير الذي قد يبني بيوتاً للشباب لحل ازمة السكن وعنوسة الفتيات وتزويج الشباب، تهدرها لتزيين الشوارع وتجميلها لكي تبدو تراثية.

قال هل فكرت يوما كم من الآجر والطابوق والاسمنت قد استخدم في شارع المتنبي والشوارع المحاذية بالاضافة الى شارع الرشيد لتجميلها وجعلها تراثية، وهل التراث يظهر بالآجر الجديد، وجيل الشباب يشكو العوز،(كان ذلك في فترة اشتداد الحصار الامريكي على العراق)، ولا يجد مكانا يعيش فيه، انا اعرف ان هناك بيوتا صغيرة في مدينة الثورة تسكنها عوائل عدة، فهل رأيت نزقاً كنزق الحكومة او اهدار للمال العام كما يجري في العراق.

قال والشنفرى مشكلة اخرى(الشنفرى شاعر جاهلي من الصعاليك، اسمه الحقيقي عمرو بن مالك الازدي، واطلق عليه الشنفرى بمعنى غليظ الشفاه، ظفر به اعداؤه وقتلوه سنة ٧٠ للهجرة حوالي ٥٢٥ ميلادية)، وما به الشنفرى وما دخله بشارع المتنبي يا دكتور؟.

قال الوردي ان الدولة وهي تمر بهذا الحصار المدمر، حيث منعت حتى اقلام الرصاص عن الاطفال والادوية عن المرضى، وهي تقف عاجزة عن حل هذه الازمة التي سوف تودي بحياة الكثيرين، تصرف الاموال على طباعة نسخة فاخرة من ديوان الشنفرى لتوزعه مجانا في مهرجان المربد الشعري، ارى ان مثل الدولة تستحق ان يحجر عليها لسفاهتها في صرف الاموال وهدرها بطريقة غير معقولة واخشى ان تكون متعمدة!

هذه رحلة مع علي الوردي الى شارع المتنبي غضب فيها على الشارع وهدر المال الذي فيه، وغضب على كتب شارع المتنبي وخاصة الشنفرى، حيث لا يجد الوردي امر طباعة كتابه من الضروريات التي يحتاجها المجتمع في ظروف الحصار الجائر على العراق وقتها.

قال لي الوردي ونحن في طريق عودتنا الى بيته، ان الحكومة السياسية الواعية لا توقع نفسها في مطبات مع المجتمع الدولي ومن ثم تقع تحت طائلة الحصار، ولكن اذا ما وقعت، فانه يجب عليها ان تستقيل، واذا ارادت ان تدير ازمة الحصار ولا تستقيل فعليها ان تضع اولويات على مبدأ الاهم فالمهم، وتنفذ سياسيتها على هذا الاساس لتكسب ثقة شعبها الذي تستمد منه شرعيتها، وليس بهذه الطريقة العبثية في بناء قصور للحاكم ووضع مكياج باهض الثمن على شوارع شاخت وهرمت!

يعبر الشارع في راس الحواش ويصلي في الحضرة الكاظمية

يسمي اهل بغداد القديمة يسمون البيت (حوش) وهي تسمية ما زالت مستعملة في دول الخليج، وقد سميت منطقة راس الحواش في الاعظمية ببغداد بهذا الاسم (راس الحواش) لأن البيوت تنتهي عندها، ولكن بعد توسع بغداد لم تعد راس الحواش آخر البيوت بل اصبحت في المنتصف، وفي اواخر العهد الملكي افتتح الملك فيصل الثاني (جسر الائمة) والذي يقع في نهاية شارع راس الحواش، ليربط بين الاعظمية والكاظمية، الكاظمية مسقط رأس الوردي والاعظمية التي اختارها مكانا لسكناه، حيث يقع بيت الدكتور علي الوردي بعد منطقة رأس الحواش مباشرة في شارع الحريري بالاعظمية.

تطورت منطقة راس الحواش التي تجاور مرقد الامام الاعظم ابو حنيفة

النعمان، وكثرت فيها المحلات التجارية المتنوعة، مما جعلها من الاسواق التي يفد اليها الناس من كل مناطق بغداد، واشتهرت بعمرانها وازدحامها الدائم ليل نهار، حيث مثلت بالاضافة الى سوقها العامر، منطقة اتصال بين الكرخ والرصافة.

ارتأت الحكومة ان الاعظمية تكثر فيها حوادث السيارات، فارادت ان تتخذ اجراءات للحد من الحوادث، ومن هذه الاجرءات وضع سلاسل حديدية على طول جميع الارصفة الضيقة، فيما عدا فتحات قليلة جعلت للعبور من خلال اشارات المرور، ومع ضيق المساحة وكثرة الناس والمتسوقين، وكذلك ارتفاع السلاسل الذي يكون موازيا لركبة الانسان متوسط الطول، فقد كثرت حوادث سقوط الناس الى الشارع جراء ازدحام الرصيف، وربما تسبب سقوطهم في خطر اكبر مما ارادت الحكومة ان تقلل منه.

كان الوردي مضطرا للذهاب الى راس الحواش حيث تنقله سيارات النقل العام ان كان مرهقا الى الكاظمية، او انه يأخذ طريق راس الحواش الى جسر الاعظمية مشيا على الاقدام في اغلب الاوقات، وهو يشاهد معاناة الناس في الارصفة الضيقة المحاطة بالسلاسل.

بعد هذه المقدمة الطويلة نسبيا والضرورية لمعرفة غضب الوردي من تصرفات الحكومة، نصل ان الوردي جاء الى الكاظمية من الاعظمية مشيا على الاقدام وهو مرهق من الرصيف الضيق الذي ينتهي بالجسر حيث الفضاء المفتوح، الا ان المتجه من الاعظمية الى الكاظمية يمنع من عبور الجسر من الجهة اليمنى، لأنها سوف تنتهي به الى مبنى الاستخبارات العسكرية الذي يتخذ ارضا كبيرة في الكاظمية مقرا له، وعليه ان ينتقل الى الجهة اليسرى اذا ما اراد الاستمرار في المشي، اما اذا خالف التعليمات المكتوبة فانه سيواجه

جنديا غليظ الخلق ينقله بالاجبار الى الجهة الاخرى.

قال الوردي بان شارع راس الحواش بالاضافة الى كونه غير قابل للاستخدام بالنسبة لكبار السن وخطر جداً على الشباب والمراهقين لتسرعهم في العبور حسب طبيعة سنهم، ومسيء جداً بالنسبة للسيدات اذا ما سقطن على السلاسل، فان فيه هدرا كبيرا للاموال ايضا، حيث كل هذه السلاسل ورباطاتها وكمية الحديد المستخدم فيها، ذهبت لضرر المواطن وليس نفعه، وربما كان لو استخدمت هذه الكمية من الحديد والقواطع الاسمنتية التي تتصل بها في مكانها الصحيح ومجالها الذي يجب ان تستخدم فيه لكانت اكثر نفعا وفائدة من هذا الفخ المسمى شارع، واردف الوردي: والمصيبة عندما تنتهي الى فضاء الجسر الرحيب، وتشعر بانك خرجت من جحيم السلاسل، يصرخ بك شرطي عصبي ان اعبر من بين السيارات القادمة والراجعة بين الكاظمية والاعظمية الى الجهة الاخرى من الجسر، وتزداد عصبية الوردي فيقول: اذا كنت قد وضعت هذه السلاسل لحماية الناس من الحوادث، فكيف تضع شرطيا يطلب من نفس الناس الذين اردت حمايتهم، ان يقطعوا الجسر، وهم لا يرون السيارة القادمة من الاعلى بسرعتها العالية وهي تهبط عليهم كتابوت من حديد!!.

هدأنا الوردي، ودخلنا الى الحضرة الكاظمية المقدسة، حيث يدفن الامامان موسى بن جعفر الكاظم(وسميت البلدة باسمه) وحفيده الامام محمد بن علي الجواد عليهما السلام، دخلنا وقد حان اذان المغرب، فقال الوردي هيا للننقرها، وهي كناية عن سرعة الصلاة، حسب الحديث الوارد عن الرسول الاكرم بانه نهى عن الصلاة (كنقر الديك)، اي بسرعة ودون خشوع، بعد الصلاة ذهب الوردي الى حجرة الكليدار الشيخ فاضل الشيبي، و(الكليدار) كلمة فارسية تركية تعني صاحب المفتاح ويطلق عليه في النجف

القيم، اي الشخص المسؤول عن الحضرة، وجدنا المرحوم عبدالله فاضل السامرائي وكان حينها وزيرا للاوقاف، يجلس في حجرة الكليدار، رحب الرجل بالوردي، ولكن الوردي اعترض عليه وناقشه وخالفه باسلوب جميل مميز، سوف اتركه الى الفصل الثالث من هذا الكتاب الذي يختص ببعض الذين ناقشهم الوردي بحضوري!.

يتألق في كنيسة الارمن الارثوذكس

كنيسة غريغور للارمن الارثوذكس تقع في الباب الشرقي ببغداد، تتميز بالمظهر الجميل قبل ان تحاط بها البنايات العالية، وكذلك فان لها نشاطات مميزة، وقد وجهت اللجنة الثقافية في هذه الكنيسة الدعوة للدكتور علي الوردي للالقاء محاضرة فيها، وتمت دعوة العلامة الدكتور حسين علي محفوظ والاستاذ سلام الشماع والشيخ جلال الحنفي وكنت انا معهم لحضور هذه المحاضرة.

وصلنا الى مبنى الكنيسة بسيارتي، وكان (الاب) في استقبالنا ورحب بنا اجمل ترحيب، وادخلنا الى مكتبه وحدثنا عن نشاطات الكنيسة الخيرية والثقافية، ومن ثم جاء من يدعونا الى القاعة، حينما دخلنا الى القاعة وجدناها مكتظة بالحضور، وقد خصصوا لنا الصف الاول من الكراسي، نحن الاربعة والشيخ جلال الحنفي رحمة الله عليه والاب واثنان من القساوسة احدهم مسؤول الثقافة في الكنيسة، وحين التفتنا كما هي عادة اغلب الجالسين الى اطراف القاعة والى خلفنا لنرى من هم بقية الحضور، فاذا بالاغلبية المطلقة منهم سيدات، بل فتيات في عمر الزهور.

صعد الوردي على المنصة، ليواجه هذا الكم النسائي بمحاضرة عن البغاء، فقال ان المرأة البغي مظلومة، لأننا نحاسبها على ما وصلت اليه من

الحال، ولا نسأل انفسنا لماذا وصلت الى هذه الحال، كيف تربت في اي بيئة نشأت، ماذا صادفت في حياتها من فقر وحاجة وعوز كي تصل الى هذه الحال.

شاهد الوردي القبول على الوجوه من كلامه واحس بالابتسامات الخفية عن موضوع يكاد لا يقال عند النساء، ولكنه اختار الوقت والمكان المناسبين ليتعمق اكثر في الحديث، قال كان في بغداد مبغى معروف في منطقة الميدان يسمى الكلجية، وكان يخضع العاهرات اللواتي يعملن فيه الى فحص طبي دوري والى متابعة من وزارة الشؤون الاجتماعية، وهذا الامر مهم جداً، ولكن الحكومة آنذاك بدل ان تعين مشرف اجتماعي يبحث في مشاكل هؤلاء النسوة، قامت بغلق المبغى، وهذا اكبر خطر على المجتمع.

ثم التفت الوردي الى الحضور موجهاً كلامه الى الشيخ جلال الحنفي، شيخنا انت كنت تسكن قريبا من الميدان اليس كذلك، الا تؤيد كلامي ان اغلاق المبغى كان عمل خاطئا، تفاجأ الشيخ جلال الحنفي رحمة الله عليه بسؤال الوردي الذي رافقه صوت ضحكات خفيفة على اسلوب الطرح، فقال في الرد على الوردي، كان للحكومة آنذاك اسبابها الوجيهة، تدارك الوردي ما احدثه من خطأ بسؤاله الشيخ بطريقة لا تنم عن لياقة، فاعتذر على الفور، قائلا شيخنا الاعز، انا اعتذر عن طرح السؤال بهذه الطريقة!، فقال له الشيخ جلال رحمة الله عليه وهو يضحك، انت ما بقيت شي!!، اي انك لم تبق شيئا.

واستمر الوردي في تألقه في المحاضرة محاولا ان يبحث عن اول مهنة في التاريخ وهي البغاء، وكيف نشأ، وما هي الحاجة اليه، وكيف يجب ان يكافح، وما هو السبيل غير النصح والارشاد والخطب في المسجد والكنسية عن الاخلاق في مكافحة البغاء، مؤكدا انه كلما منع الشيء من قبل الكنيسة

او المسجد كلما حاول الناس معرفته والتقرب اليه واستكشافه، وعلينا كمحتصين في الاجتماع ان ندرس هذه الحالات المستعصية.

اكد الوردي ان اغلب الحكومات التي تعاقبت على العراق لم تكن تعطي العلم حقه، بل ان بعضها لا تدرك بان الشخص الذي درس واتعب نفسه وصرفت عليه الحكومة، يجب ان يساهم بعلمه في الرقي بالمجتمع.

كانت محاضرة رائعة، جودها الوردي ولمعها بامثلة تلامس قلوب الحاضرين عن بعض القصص، ومنها على سبيل المثال: انه ذهب لدراسة البغاء في بعض الدول ومن ضمنها ايران، التي كانت تخصص مبغاً عاما في طهران في منطقة (دروازه قزوين) وتخضعه الى رقابة الصحة والشؤون الاجتماعية كما كان في العراق في اواخر العهد الملكي، يقول الوردي حين خرجت من المبغى وجدت بعض العراقيين هناك، وحين عدت الى العراق، دخلت ذات مرة إلى المقهى فأراد أحد الأشخاص النهوض لتحيتي فسحبه صاحبه ومنعه من القيام قائلاً: "هذا فاسد.. شاهدته في دروازه قزوين في طهران، فقال له صاحبه: انه دكتور بالجامعة ويجوز أنه ذهب للدراسة، فردّ عليه الأول غاضباً: أقول لك لقد رأيته بالكلّجية وتقول لي إنه يدرس بالكلّية، و(الكلجية) هي منطقة البغاء في بغداد حتى اواخر العهد الملكي.

الوردي في حلقة ذكر التكية الكسنزانية

تعرف بعض الاصدقاء واتذكر منهم الان السيد صفاء الوردي وصديقه المرحوم ابو ياسر على التكية الكسنزانية، وهي حلقة ذكر صوفية شهيرة في بغداد، وتعني مفردة (الكسنزانية) باللغة الكردية (اللاادرية) في اللغة العربية، وكانت فرقة اللا ادريه من الفرق الصوفية الاسلامية المشهورة، ذكرها ابو العلا عفيفي في كتابه(التصوف الاسلامي) بشرح كامل.

وقد تفضل الشيخ محمد بن الشيخ عبدالكريم الكسنزاني بدعوتنا لحضور حلقة الذكر هذه من خلال السيد صفاء الوردي، وقد رحب الدكتور الوردي بالدعوة، لأنها تنفع دراساته باتجاهين، الاول: دراسة باراسايكولوجية، لحالة الوجد التي يصل بها الصوفي ويفقد حواسه، فيضرب بالسكين او يغرس خنجر في رأسه ولا يشعر بالالم ولا يتأذى، وربما ذهب بعضهم الى ان يضرب بالرصاص ولا يخترق جسمه، والثاني: دراسة اجتماعية تخص الطبيعة البشرية، حيث يلتجيء الناس في الازمات دائما الى قوة مياتفيزيقية لحل مشاكلهم، خاصة اذا عجزت الدولة عن ذلك.

وصلنا الى مقر الشيخ محمد الكسنزاني في منطقة الخضراء ببغداد، واستقبلنا احسن استقبال ثم ذهبنا الى غرفة المجلس المخصصة لضيوف الشيخ، كان في انتظارنا او قد جاء قبلنا اكثر من استاذ متخصص من اساتذة الجامعات العراقية واكثرهم من الكرد، وقد افتتح الدكتور علي الوردي الاسئلة حول فلسفة الكسنزانية، فاشار الشيخ محمد الكسنزاني الى احد الاساتذة للاجابة عن السؤال، وقد شرح الدكتور المختص كما يبدو بالتصوف، بعض الفرق الصوفية ومنها الكسنزانية، قائلا: انها امتداد لفرقة اللاادريه، ولكن وجودها في كردستان اوجب عليها تغيير اسمها الذي لو ترجم (كس بمعنى شخص) و(نه زانى) بمعنى لا يدري، وحرفيا يمكن ان تترجم الى شخص لا يدري، وستكون هي نفسها اللاادريه العربية.

وتشعب النقاش، ولكن الوردي حاول ان يعرف كيف ان الشخص يضرب بطنه بالسكين ولايخرج منها دما ولا يتأثر، فاشار الشيخ محمد الكسنزاني الى احد الاساتذة ليرد، فكان رده ان العلم لم يصل الى تفسير هذه الظاهرة، وانهم في التكية الكسنزانية اخضعوا احد الاشخاص والذي ادخل سكينا في بطنه الى التصوير الاشعاعي، حيث اظهرت الاشعة صورة السكين

وهي مخترقة لأحشاءه، ولكنه بعد ذلك اخرج السكين بكل هدوء، ولم يصب بإي اذى... استمرت النقاشات لأكثر من ساعة، توجهت لنا الدعوة بعد ذلك لحضور جلسة ذكر كاملة لرؤية الحدث بام اعيننا، وانتهت الامسية بان اهدى الشيخ محمد الكسنزاني عباءة للدكتور علي الوردي واعتبره بمرتبة (خليفة) في الحلقة، وهو ما اسعد الوردي كثيرا، وكان يتندر دائما بانه خليفة ويجب على الجميع احترامه.

وجاء اليوم الموعود فذهبنا بسيارة الاخ المرحوم محمد حسن الصغير الى حلقة الذكر الكسنزانية، وقد رافقنا في رحلتنا الشاعر الاردني الضرير ماجد المجالي، حيث كان قد حل عليّ ضيفا من الاردن، فدعوته لمرافقتنا فوافق، وقد كان الجو ربيعيا يكسر هواءه في الليل الى برودة جميلة، وهي من الايام القليلة المعتدلة التي ينعم الله فيها على العراق في اواخر تشرين الاول اكتوبر واوائل نيسان ابريل.

اوقف المرحوم محمد حسن الصغير السيارة قرب صبية كانوا قد اشعلوا نارا ووضعوا عليها صواني نحاسية، وخرج الوردي متحفزا لرؤية الحلقة، فقال له الاستاذ محمد حسن الصغير، هل اعطيك العباءة فربما برد الجو، خاصة وان الحلقة ستكون في ساحة مكشوفة، فرفض الوردي التدثر بالعباءة، ودخلنا الى الساحة المخصصة للذكر.

كان المنشدون ينشدون اشعار الذكر بالعربية والكردية ويتخذ الشيخ محمد الكسنزاني منبرا متوسط الطول في صدر المجلس، ويجلس الآخرون حسب رتبهم على يمين المنبر ويساره، بعد ان رحبوا بنا اجلسونا بالقرب من الشيخ محمد الكسنزاني وعلى يسار منبره، وكنت انا اشرح للشاعر ماجد المجالي ما ارى لكي يكون معنا بالصورة، لم يمر على جلستنا اكثر من عشر دقائق حتى قال الوردي اشعر بالبرد، ليتني اخذت بنصيحة محمد حسن الصغير وغطيت نفسي بالعباءة.

لم يكن هناك من بد ان آخذ مفتاح السيارة من صاحبها واذهب لجلب العباءة للوردي، خرجت الى السيارة، فشاهدت الشباب الذين يحاوطون النار وقد وضعوا صواني من نحاس فيها، ينظرون الى تلك الصواني باعجاب وقد احمر لونها من شدة النار، جلبت عباءة الوردي، لكن المنظر الغريب الذي لم يفارق عيني، هو الصواني الحمراء من شدة النار قرب سيارة المرحوم محمد حسن الصغير.

مضى وقت الذكر سريعا والوردي متدثر بعباءته وانا اشرح للشاعر الضرير ما يجري، فدخل رجل الى وسط الساحة مستأذنا من الشيخ محمد ان يبدأ، فأومأ الشيخ برأسه موافقاً، شرع الرجل بأكل الزجاج امام اعيننا، وما ان انتهى من اكل الزجاج حتى دخل شخص آخر وهو يحمل صينية النحاس المحمرة (والتي كنت شاهدتها خارجا حين كانت في النار) شاهدناه جميعا وهو يحملها بفمه ويتحرك بها يمينا وشمالا، حتى انه اقترب منا ولسعتنا حرارتها، لم يصدق الشاعر الضرير ماجد المجالي ما يحدث رغم حرارة الصينية التي اقتربت من وجهه.

عندها اتوا برجل واجلسوه في منتصف الساحة واخرجوا خنجرا وقام احدهم بضرب الخنجر بقوة وبواسطة (الشاكوش) ليدخله الى ام رأسه، ولأجل ان نتأكد ان ما جرى ليس فيه سحر او قراءة على عيوننا، احضروا الرجل الى الشاعر الضرير ماجد المجالي، وطلبوا منه ان يتحسس بيده موقع الخنجر ونزوله في رأس الرجل، وما ان نزلت يد ماجد المجالي الى رأس الرجل ولامست شعره حتى ارتجف وكاد يقفز، فقلت ما بك يا ماجد ماذا رأيت، قال لقد ارعبني ان الخنجر يدخل في رأسه تماما...

بعد جلسة الذكر عدنا الى بيوتنا وكانت اسئلتنا الحائرة الى الوردي قائمة، كيف تفسر هذا علميا، فقال راجعوا كتابي خوارق اللاشعور،

ستجدون انني سجلت حالات عديدة من مثل هذه الحالة لم يجد لها العلم تفسيرا، وقد قابلت بعض من الشخصيات التي تمتلك قوة خارقية، وعائنية (وهو مصطلح اخترعه الوردي للاشخاص الذين يصبون الناس بالحسد).

حدثنا عن شخص لبناني كان اذا نظر الى اي شيء باعجاب يكسره، وقد كسر امام عين الوردي مزهرية كانت على الطاولة، وكذلك عن شخص في الناصرية بالعراق يستطيع ان يغرق المركب وهو في الماء!!، قال الوردي هذه الامور الميتافيزقية لا يمكن تفسيرها بظواهر الطبيعة كما تفسر العلوم الاخرى.

الوردي يلعب سياسة في وزارة النفط

دعت وزارة النفط العراقية الدكتور علي الوردي لألقاء محاضرة في شخصية الفرد العراقي، وقد طلب مني او لنقل امرني كما كنت افضل ان اقول له ردا على كل طلب (انت تأمر دكتور) لنذهب الى وزارة النفط سوية، كان مبنى وزارة النفط مبنا ضخما وكبيرا قبل ان تنتقل الى مبناها الاخير قرب جسر محمد القاسم، وقد دخلت مع الوردي بسيارتي الى المبنى ووقفت حيث يقف الوزير بسيارته، وكان في استقبالنا وكيل الوزير الذي كان قد وجه الدعوة للدكتور الوردي.

قبل ان يترجل الوردي من السيارة لمصافحة مستقبليه، طلب مني ان لا ارافقه الى استقبال وزير النفط، بل اذهب الى القاعة المخصصة للمحاضرة وارى الاستعدادات، فاجبته: حاضر، ملاحظة لا احب ان اضعها بين قوسين، وهي انني ما شاهدت طيلة عشر سنوات من عمري مع الوردي، ما شاهدت له كلمة او حركة او فعل عبثي او انه قال شيئا او فعل ما ليس له معنى، بل كانت كل اقواله وافعاله مقصودة في وقتها وزمانها، وليس كما

كتب عنه بعض الاصدقاء بقياس افعال الوردي على افعالهم، فهم لم يستوعبوا ماذا كان يريد الوردي من الحركة التي اتى بها، فغربوا وشرقوا.

امتثلت لأمر الوردي واوقفت سيارتي في المرآب الكبير للوزارة وترجلت باتجاه القاعة، كان احد المستقبلين ينتظرني كي يأخذني مع الوردي الى مكتب الوزير لكني اعتذرت بسؤالي عن القاعة حيث انتظر الوردي هناك، فدلني على القاعة ورافقني اليها.

القاعة كانت ممتلئة بالناس ولنقل غاصة بالناس بالرغم من حجمها الكبير، فهي مسرح معد لفعاليات كبرى، لم اجد كرسيا واحدا لأجلس عليه فوقفت مع الذين يتكدسون امام الباب، كانت لافتات الترحيب والاضاءة تدل على الاستعداد الجيد للمناسبة، ويكاد الزحام يقطع الانفاس، والوقت يمر، والجميع بانتظار الوردي... ومرت اكثر من ربع ساعة والوردي لم يصل الى القاعة... شاع بين الناس ان الوردي لم يصل بعد، ولكني كنت ايضا اشيع امام الناس انني من اوصلت الوردي الى وزارة النفط، حتى تضاربت الآراء وكثرت همهمات الناس!!.

اين اختفى الوردي، فلو شك كل الناس بإن الوردي لم يأت، فهذا من حقهم، ولكن كيف اصدق انا انه لم يأت وقبل نصف ساعة من الان كان يجلس قربي في سيارتي وقد ترجل منها واستقبله وكيل الوزير، وقطع الهمهمات والهمسات صوت في المايكروفون يدعونا الى الاستماع اليه، فساد الصمت القاعة بانتظار خبر عن الدكتور الوردي كان قد اقلقني ان اسمعه، قال المتحدث: نعتذر عن محاضرة الدكتور علي الوردي، لأنه اصيب بوعكة صحية ولم يستطع المجيء الى القاعة وهو يعتذر منكم جميعا، على امل اللقاء بكم في محاضرات اخرى واكرر شكري لحضوركم والسلام عليكم.

انتابتني قشعريرة من الخوف على الوردي، الا ان الشاب الذي رافقني قال مطمئناً تفضل الوردي بخير وهو بانتظارك، ذهبت الى الوردي في الطابق الرابع من الوزارة ومعي مرافقي، فرأيته سالما غانما معافى وقد خرج لتوه من مكتب الوزير، بادرني الوردي فورا بالسؤال كيف وجدت القاعة الفارغة، فقلت اي قاعة فارغة يا دكتور، ان القاعة مكتضة بالناس وليس هناك كرسي واحد، انما هم يدخلون من باب الرئيسي المؤدي الى الشارع مباشرة، وليس من باب الوزير والمصاعد الذي دخلت انت منه، وجم القوم حول الوردي، فغمز احدهم قائلا: لعدم وجود الجمهور بما لا يتناسب مع مكانة الوردي الغينا المحاضرة، فلم التفت الى غمزته، واشرت الى مرافقي الذي كان معي في القاعة، وقلت مستغربا: ان الاخ لم يجد لي كرسيا اجلس عليه، فضحك الوردي، وقال لي هيا لنرجع الى البيت، كان وكيل الوزير محرجا الى درجة ان شاهدت العرق يتصبب منه، رغم برودة الجو المكيف في طابق (السيد الوزير)!

تعمدت حين خرجنا الى موقف سيارات الوزارة ان اتأخر في جلب السيارة للوردي الذي وقف امام البوابة مع وكيل الوزير والسادة المدراء والمسؤولين في وزارة النفط العراقية العتيدة، مما اتاح فرصة لكثير من الناس مشاهدة الوردي في الوزارة... حينما صعد الوردي الى السيارة ابلغني بضرورة ان يكون طريقي باتجاه البوابة الرئيسية حيث ستغادر جموع الجماهير، لترى الوردي عيانا وتعرف انه وصل الى الوزارة وليس متوعكاً صحيا، فعلا نفذت امر الوردي، بالاستدارة باتجاه البوابة الرئيسية مع ارتكاب مخالفة لقانون المرور وبموافقة الشرطي الذي ادى لنا التحية، فقد كان شاهدا على الاستقبال والمغادرة الرسمية، وشاهد الجمهور الوردي وتبادل مع التحية واطمئن كثير منهم على صحته، واقفلنا راجعين الى البيت.

قلت للوردي ماذا حصل؟، قال لقد منعت المحاضرة (من فوق) بامر الجهات العليا، مما سبب حرجاً للوزير، فابتدعوا لي خلوا القاعة وابتدعوا للجمهور اصابتي بوعكة صحية لكي يتخلصوا مني ومنهم، وكنتم اعلم بانها ستمنع، حيث اخبرني احدهم ليلة امس بانه سمع ان القيادة لن تسمح للوردي ان يتحدث من على منابرها منتقداً لها، لذلك ارسلتك الى القاعة لترى الجهة الاخرى من الموضوع واكون انا الجهة الاولى، وقد اوصلنا الرسالة للجمهور، وقد اعجبني ادعاءك الغباء وانت ترد على وكيل الوزير بان القاعة مكتظة بالناس!!

دولة قطر تمنع محاضرة الوردي

لا دخل من قريب ولا من بعيد بدولة قطر بمحاضرة الوردي التي القاها في مبنى الاتحاد العام للمؤرخين العرب في منطقة الصليخ ببغداد، والتي كانت بادارة الامين العام للاتحاد الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار، فالاتحاد منظم المحاضرة في موسمه الثقافي، وقد اختار حدائق الاتحاد في بدايات الشهر السادس مقرا دافئا للمحاضرة، والوردي هو المؤرخ الاجتماعي الاول في العراق، ذهبنا رفقة الوردي وقد استقبلنا الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار احسن استقبال، ثم جلس على المنصة مرحبا بضيفه الدكتور علي الوردي بعد ان قرأ ورقتين دامت قرائتهما اكثر من عشر دقائق في التعريف بالدكتور علي الوردي.

صعد الوردي الى المنصة التي ضمته والدكتور النجار مع مايكروفونين اثنين، احدهما امام الوردي والآخر امام النجار، ليبدأ الوردي الحديث عن كيفية مواجهة الازمات في المجتمع، وتحدث عن الفرهود، وكيف سرق الناس اغراض اليهود بعد الاعلان عن دولة اسرائيل، وكيف تدخل الجيش

العراقي لأيقاف هذه السرقات، التي اطلق عليها الفرهود، ثم تحدث عن فيضان دجلة وكيف عملت الحكومة في العصر الملكي على معالجته، ثم تحدث عن ازمة استيعاب الاسرى العائدون من اقفاص الاسر في ايران، وكانت الحرب قد انتهت منذ اقل من عام، مؤكدا على ان هذه هي احدى ازمات الحروب وليس جميعها.

بدا ان الوردي دخل الى غابة الاسود، او انه يمشي في ساحة ملغومة، لكن الوردي مجيد ومتمكن، كان يأخذ الموافقة من جمهوره على صحة كلامه، حيث تحول بمحاضرته الى اسئلة للجمهور تريد رداً، فيرد على السؤال الذي طرحه باسلوب متهكم على الحكومة ثم يقيم عملها ويعلن عن فشل هذا العمل، ناسباً التقييم الى العلم (هو الذي يقول ذلك) ولست انا، ويضرب بعد ذلك مثلا من الواقع المعاش، فيؤيده الناس على رأيه.

تمادى الوردي الكبير على قوانين ذلك الزمن وبدا للحضور ان نقده متجه نحو القيادة العراقية وربما اشاراته وغمزاته بدأت تطال الكبار منها وربما وصلت الانتقادات للسيد الرئيس القائد شخصيا، الا ان الوردي لم يتهمه مباشرة لما للاتهام من خطورة على حياته، ولكنه اتهم الحاشية والمستشارين، الذين لا ينقلون الصور العلمية لسيادته، فتظهر القرارات غير مناسبة، ثم قال ان هؤلاء الذين يقفون بين الحاكم والناس هم سبب المشكلة الكبرى، هؤلاء الحواشي الذين لايوصلون كلام الناس الى الرئيس انهم في الواقع يكرهون الرئيس، وانا ارجوهم بدل ان يدبجوا القصائد العصماء في المدح، ان يوصلوا كلام الناس الى القيادة.

وصرخ صوت من بين الحضور: هذا الكلام لا يجوز، فقال له الوردي لماذا لا يجوز يا دكتور، انني ناصح، فقال بل انت شعوبي شيوعي طائفي تكره العراق وقيادته، فرد الوردي ببرود تام: لماذا حضرت محاضرتي يا

دكتور، ان كنت انا كما تزعم، ولماذا لا تبلغ القيادة ضدي؟!!

فنهض الدكتور نوري حمودي القيسي وكان آنذاك عميدا لكلية الاداب في جامعة بغداد وخرج من الحديقة متجها الى مكاتب الاتحاد بالداخل وليس خارجه، فتابعته لأرى الى اين يذهب، واكمل الوردي قال مشكلة هذه القيادة هي من امثال هذا الدكتور، حيث لا يوافق ان يسمع اي كلام علمي ينفعهم، وينقل ما يريدونه هم، وما زلت انا انظر الى الدكتور القيسي وقد اختفى في مبنى مكاتب الاتحاد، وعاد بعد دقائق مزهواً منتصرا وتوجه الى المنصة ووضع فمه في اذن الدكتور النجار، الذي ابعد بدوره المايكروفون باتجاه الوردي، واستمع بدقة وتركيز شديدين ولكن شابهما الامتعاض الشديد، ونزل القيسي وهو يقول بصوت عال يجب ايقافه فورا، عرفت دكتور مصطفى انتهى، ان لم توقفه ستكون انت المسؤول.

ابعد الدكتور النجار المايكروفون الى نهاية الطاولة ومد نفسه حتى وصل الى اذن الوردي وقال له بصوت مهموس: دكتور يجب ان تنهي المحاضرة الان

قال الدكتور الوردي: دقائق واتم حديثي

فقال الدكتور النجار بصوت مهموس آخر: انه لا يسمح باستمرار المحاضرة

فقال الوردي في المايكروفون الموضوع امامه: لماذا لا تسمح بتكملة المحاضرة، وانت دعوتني باسم الاتحاد العام للمؤرخين العرب لألقاء محاضرة.

انتبه الحضور الكبير لما يجري، واشتد التركيز لمعرفة الامر الذي جعل النقاش يكون بهذه الطريقة الغريبة، فاغلب الحضور ومنهم انا شخصيا، لم

نحضر من قبل الى محاضرة تمنع في وسطها، ولكن الوردي ساقها حيث يريد هو نصراً له وليس منقصة عليه، واقرأ بدقة تفاصيل حركة الوردي واسئلته عن من الذي منع المحاضرة وكيف؟

وهمس الدكتور النجار في اذن الوردي: بان الامر ليس امره هو، بل هو منفذ لأوامر

فقال الوردي: اذن بامر من تمنعني

قال النجار: بامر امانة سر القطر

فاجاب الوردي: وما دخل دولة قطر بمحاضرتي

وضحك الناس بصوت عال

فكرر النجار بصوت اعلى وبعصبية ظاهرة: المنع من امانة سر القطر لحزب البعث العربي الاشتراكي

فكرر الوردي في المايكروفون الموضوع امامه: اذا صار هالشكل والمنع من امانة سر القطر، يجب ان نمتثل لأمانة سر القطر، وانا عبالي دولة قطر، قلت شدخل دولة قطر بمحاضرتي، بس اذا امانة سر القطر لا عمي نمتنع!، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... ونزل الوردي من المنصة على وقع تصفيق الجماهير وضحكهم بصوت عال واختفاء الدكتور نوري القيسي.

نعم كما قلت في البداية لا دخل لدولة قطر في منع محاضرة الوردي، انما المنع جاء من امانة سر القطر لحزب البعث، التي اسماها الوردي دولة قطر للتوضيح ولإعلام الناس السبب الحقيقي للمنع.

عدنا ادراجنا الى البيت فاخبرني الوردي في السيارة سبب ثورة نوري القيسي عليه، قال يوم امس كان يصادف اربعينية عدنان خير الله وزير الدفاع العراقي الاسبق والذي توفي اثر سقوط طيارته المروحية في شمال العراق في

٠٤/٠٥/١٩٨٩، وكان الدكتور القيسي قد كتب قصيدة عصماء تشيد بالفقيد تمجد في شخصيته، وقد اعتبر ما قلت عن الذين يدبجون القصائد في السلطان بدل نصحه، بانه غمز من قناته، فثار واتصل وحصل على المنع.

رعب يعتريني في قاعة امانة بغداد

اخيرا اقتنع صدام حسين ببعض آراء الوردي، حيث كان معتقدا منذ ثورة البعث عام ١٩٦٨ الى نهاية حرب الكويت عام ١٩٩١، بان كل الشعب العراقي يحبه، وان من يعارضه يجب ان يكون باليقين والفرض يتبع احد الانظمة التالية، فارسي مجوسي، تابع للنظام السوري العميل او صهيوني امبريالي، لذلك تفاجأ حقا حين رأى بام عينه اكثر من ١٤ محافظة عراقية ثارت ضده، بعد تخبطه في حرب الكويت.

كانت صدمة صدام بالشعب العراقي كبيرة جدا، لذلك تذكر الوردي الذي يقول ان الشعب العراقي لا يعطي ولاءه للحاكم، فطلب من خالد عبدالمنعم رشيد (امين بغداد) آنذاك ترتيب محاضرة للوردي كما اخبرنا سلام الشماع عن خالد عبدالمنعم رشيد، يقول سلام الشماع عن هذه المحاضرة التي اسماها قنبلة الوردي الانتحارية في لقاء صحفي ما يلي: (محاضرة الوردي الصاعقة بعد أحداث عام ١٩٩١. والتي أصابت محبيّه بالرعب وسميناها "قنبلة الوردي الانتحارية"؟!.. نعم. كانت أشبه بالكارثة، وقد كنت شاهداً على تفصيلاتها الخطيرة، وحاضراً في القاعة التي ألقى فيها المحاضرة وحضرها عدد كبير من مريدي الوردي مثل الدكتور عبد الأمير الورد ومحمد الخاقاني...، ألقى الوردي هذه المحاضرة أواخر شهر آذار عام ١٩٩١ في منتدى أمانة بغداد، وكان المنتدى يعقد جلساته عادة في قاعة تقع في الطابق الثاني من بناية المتحف البغدادي، ولكن القاعة ضاقت بالحاضرين الذين

وقفوا على السلالم، بل حتى في الشوارع المجاورة فأوعز أمين بغداد يومها وكان المرحوم (خالد عبد المنعم رشيد) بنقل المحاضر والمحاضرين بحافلات كبيرة إلى القاعة الكبرى في مبنى أمانة بغداد والتي ضاقت هي الأخرى بالحاضرين على الرغم من اتساعها.

وقد كانت هذه المحاضرة حدثاً مهماً في تلك الأيام لتزامنها مع انتهاء حرب الخليج الثانية وما أعقبها من أحداث في محافظات العراق حيث عدّ بعضهم حوادث السلب والنهب والعنف تأكيداً لنظريات الوردي وتحليلاته حول تأثير البداوة في شخصية العراقي، وفي تلك المحاضرة أعلن الوردي بنحو هادئ غضبه على الطريقة التي تعامل بها النظام مع ما سمي وقتها بـ(الغوغاء) أو (صفحة الغدر والخيانة)، (واضيف على الاستاذ سلام ما تسميها المعارضة بالانتفاضة الشعبانية المباركة).

ومن الطريف الذي يجدر ذكره هنا هو أن أمين بغداد تقدم إلى المنصة ووضع جهاز تسجيل أمام الوردي، وعندما سأله الوردي عن سبب تسجيل المحاضرة، قال له أمين بغداد: إن السيّد الرئيس (صدام حسين) يريد الاستماع إليها، وهنا تحوّل الوردي إلى انتقادات حادّة وصريحة ليسمعها الرئيس. وقال فيما قال: "نحن لسنا فئران تجارب لتدخلونا كل يوم في تجربة جديدة، فما معنى أن تستحدثوا مثلاً شرطة أخلاق، بالله عليكم هل لدى الشرطة أخلاق أصلاً؟ فإذا كنتم قد ضللتم الطريق فتعالوا إلينا لندلكم على الطريق الصحيح لحكم الشعب، ثم قال بالحرف: "لا تليق بهذا الشعب الـ(...) إلاّ مثل هذه الحكومة الـ(...). وكانت الأوصاف التي تركتها فارغة بين قوسين قاسية جداً وشديدة الجرأة. وعندما رأى علامات الغضب على وجه أمين بغداد، قال الوردي مبرّراً: "هذا ليس قولي.. إنما هو قول النبي (محمد) الذي يقول: "كيفما تكونوا يولّ عليكم". والواقع أن هذا الكـلام

كــان له وقع في نفوس الحاضرين، لحساسية الظرف العام الذي كانت تمرّ به البلاد، بعد انسحابها من الكويت وعدم قدرتها على مجابهة أمريكا والدول المتحالفة معها، فضلاً عن الأحداث العاصفة التي مرّت بعد الانسحاب من شمال العراق ووسطه وجنوبه، وعلى الرغم من خطورة هذا إلا أنه كان إخلاصاً من الوردي لمنهجه ومبادئه ولمجتمعه.. وهي جرأة هائلة يُحسد عليها في الوقت الذي صمت فيه الجميع، بل بدأ الكثيرون بالمجاملة على حساب مبادئهم). الى هنا انتهى النقل عن سلام الشماع

لم ارتعب من المحاضرة او اسلوبها الذي نقله سلام الشماع، فقد استشهد الوردي بمثل عراقي معروف: تلوك هيجي رقعة على هيج بابوج، والذي تحرج سلام من ذكرها وقال انها قاسية جداً، ومعنى المثل العراقي هو: (يليق هذا الرتق بهذا الحذاء)، مشبها العراق بالحذاء والحكومة بالرتق المناسب لهذا الحذاء، ويجب ان يعذر الوردي على هذا الوصف، فقد اخطأت الحكومة العراقية اخطاء جسيمة في فترة زمنية قصيرة اثرت على المنطقة العربية الى يومنا هذا، بدأت بغزو الكويت ومن ثم الاعلان عدم الانسحاب منها مهما تكلفت من خسائر وتضحيات، وقد خطب صدام شخصيا في التلفزيون مخاطباً الجيش العراقي: اذا شاهدتموني في التلفزيون او سمعتموني اقول انسحبوا من الكويت، فلا تصدقوا ذلك، انها فبركة اعلامية امريكية، نحن باقون في الكويت مهما كلفت من تضحيات، ثم صدر القرار بالانسحاب دون قيد او شرط وبصوت صدام شخصيا، والقبول بكل شروط دول التحالف.

ثار الشعب على هذا الاستهتار بارواح ابناءه العسكريين الذين لم يكونوا على علم بموافقة العراق على الانسحاب، فقامت القوات الامريكية والمتحالفة معها بدكهم بكل انواع الصواريخ، ليرسموا خطأ طويلا من الكويت الى البصرة على شكل جثث قتلى وآليات محترقة!!

كل هذا لم يرعبني من الوردي، فالوردي هو من سيتحمل المسؤولية عن كلامه ولست انا، وانما ما ارعبني، اني كنت قد اعطيت الوردي كتاب نهج البلاغة ليقرأ فيه حديثا يذكر فيه الامام علي عليه السلام: بان البصرة سوف تغرق وسوف يحتلها الاعاجم، وان ما سبق وقاله الامام في البصرة قد تحقق، وكنت ارى ذلك الوقت وقلته للوردي، بان نهاية الحرب سوف تدخل الاعاجم (غير العرب) الى البصرة، وحدث الذي حدث...، وهذا امرٌ رآه كل الناس، لكن المصيبة الكبرى هي ان الوردي اذا ما تذكر قصة تنفع المحاضرة ذكرها بتفاصيلها بين الناس، وهذه المحاضرة مسجلة لصدام حسين، ولسوء حظي فقد دخل الوردي الى موضوع احتلال البصرة بواسطة الاعاجم!!

وقال بالنص ما ادري منو انطاني كتاب، اي اعطاني كتاباً حول الموضوع وهو ينظر في وجوه الجمهور، فخبأت رأسي خلف عمامة احد الشيوخ الذي يجلس امامي، ويبدو ان الوردي استذكرني والمكان والحدث، فتحول الى قول الامام علي عليه السلام، وابتعد عن ذكر من اعطاه الكتاب واشار له بالمصدر، ولله الحمد، بين الحديثين لم تكد الساعة تمشي لدقيقتين، ولكني ارتعبت وتصورت كيف سوف يقرأ الطرف الآخر وجهة نظري قبل هزيمته، وتوقعي المصيبة قبل وقوعها، لو ان الوردي قال انني من اعطيته الكتاب وبشرته بالهزيمة النكراء التي ستصل الى احتلال البصرة!!، تخيلت نفسي وانا اعرض في التلفزيون والمذيع يقول العميل الفارسي المجوسي التابع للنظام السوري العميل والصهيوني الامبريالي، كل هذا الشريط مر من امام عيني في اكثر من دقيقة واقل من دقيقتين!، ولكن الله سبحانه سلم.

وللذين يودون قراءة حديث الامام علي عليه السلام ونصه: (وأيم الله

لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة)، وذلك في شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد المعتزلي، رقم النص ١٣، الجزء الاول، الصفحة ٨٤.

احذر المبالغة السياسية امام الوردي

لم ولن يأتي فصل صيف على العراق كما اعتقد، مثل صيف عام ١٩٩١ ميلادية، من حيث الجو اللطيف فحسب، حيث الهواء المنعش والجو المائل الى البرودة والشمس الخفرة التي تظهر لدقائق ثم سرعان ما تختفي خلف الغيوم، تلك الغيوم التي خلفتها حرائق آبار النفط في الكويت مع بداية الربيع، حيث امطرت الدنيا نفطا على رؤوس العباد ولبست البيوت لباس السواد بسبب المطر الاسود الذي غطاها لعام كامل، مر فيها العراق باسوأ مرحلة من مراحل تاريخه، فخيرة شبابه في الصحاري تحاول مقاتلة الاشباح الامريكية التي تضرب من السماء، فتقتل الناس وتهدم البيوت والجسور وتقطع الماء والكهرباء، والقيادة العسكرية والسياسية العراقية تتخبط في قرارتها بين مقاومة وممانعة ضد العدو الاجنبي واذنابه او انسحاب وتراجع تكتيكي اوبيان هزيمة طالت مدة قراءته لأكثر من نصف ساعة يبرر الانسحاب والقبول بكل القرارات...ثم سرعان ما جاءت صفحة الغدر والخيانة كما اسمتها الدولة العراقية او الانتفاضة الشعبانية كما يحلو للمعارضة ان تطلق عليها، ليحرق الجيش العراقي ما تركته او اهملته القوات الامريكية من النسل والزرع لأجل استرداد كرامته المسلوبة في معركة خارجية من مواطنيه في معركة داخلية غير متكافئة، انتهت بانتصار الجيش على الشعب، لتبقى السلطة بيد الحاكم.

ويبدأ العراق كل العراق حينها في مبايعة صدام حسين على السلطة من

جديد، ففي كل يوم كان (السيد الرئيس القائد حفظه الله ورعاه) يستقبل محافظة عراقية كانت قد ثارت قبل اسبوعين ضده، لتقديم قسم الولاء المجدد له، والاعتذار مما بدر...

في مثل هذا الوقت ومثل هذه الظروف كنت امتلك محلا في باب الدروازة بمدينة الكاظمية المقدسة، وقد هممت اغلاق باب المحل حيث الشوارع بدت تخلو من المارة رويدا رويدا، وذلك لمتابعة نشرة اخبار الثامنة مساء من القناة العراقية الوحيدة التي كنا نشاهدها آنذاك ... فاذا بالوردي الكبير يدخل المحل يتبعه الاستاذ سلام الشماع، ذلك الصحفي الذي كان يوافينا بآخر الاخبار والاشاعات التي يصغي لها الوردي بامعان وانتباه.

قال لي سلام هيا لنوصل الوردي بسيارتك الى بيته، فقلت على الرحب والسعة ولكن هل يعجب الدكتور متابعة اول خبرين من التلفاز ثم ننطلق، فوافق الدكتور علي الوردي وبدأ عرض الاخبار .. وكان الخبر الاول عن استقبال القائد لعشائر وقبائل واهالي النجف الاشرف لتجديد البيعة لسيادته!!

هنا صرح سلام الشماع قائلا: ان الامريكان منعوا صدام حسين من الحديث في التلفاز لأكثر من ربع ساعة من الزمن،! استغرب الوردي وقال لسلام كيف ومن اين عرفت هذه المعلومة؟ ادعى سلام انه سمعها من احد الجنود الذين رافقوا الوفد العراقي المفاوض مع الامريكان في خيمة صفوان!!، فقال الوردي عجيب، وهو يمدها طويلا، اظهاراً منه لحالة الاستغراب.

اظهرت الصور تجمع نجفي بين معقل ومعمم وافندي كما يقال في العراق عن الذين يلبسون البنطال والقميص او الزي الاوربي، وكلما انتهى شاعر قام آخر يبتهج فرحا بقصائد شعرية تشيد بالقائد الذي قتل اولادهم قبل اسبوعين، وبين ابيات القصيدة يهتف الجميع بطول العمر له وانهم يتبرعون باعمارهم ليمد الله في عمره!!

قلت له دكتور اذا طال المقام بشعراء المحافظة فان الوقت سيتأخر، فاذا احببت ان نذهب فانا على اهبة الاستعداد، قال بل يجب ان ننتظر لنرى كيف سينتهي الخبر بعد ربع ساعة من الان كما قال سلام!!

ومرت ٢٠ دقيقة من الوقت وصدام لم يتحدث بعد، والوردي ينظر الى سلام الشماع شزرا ... بعد اكثر من نصف ساعة تحدث صدام عن الانتصار الذي تحقق على العدوان الثلاثيني وان العراق حقق العبور الناجز، واطال في الحديث عن صفحة الغدر والخيانة والارتباط بالاجنبي لما يقرب الساعة (وكأنه سمع اشاعة منعه من الحديث لأكثر من ربع ساعة) فتحدث عن انجازاته وانجازات البعث مذكرا ان محافظة النجف، محافظة صلبة لا تعطي ولائها بسهولة، لكنها اذا اعطت ولائها للقيادة فانها تصدق في ذلك وشكر المحافظة، وهنا قام الجميع يتراقص فرحا امام السيد الرئيس، رقصة تسمى في العراق (هوسة) وهي مختصة بالرجال دون النساء، ووقف السيد الرئيس فرحا جذلان يرفع قبضته للمهووسين!!

نظرنا الى الوردي واذا به هو الآخر يرفع يده مع المهوسين، ثم ينظر يمينا وشمالا، ثم يتمتم قليلا بكلمات ما زالت ترن في اذني (خوات ... ما تصيرلكم جاره...) ثم التفت ناحيتي وقال يا الله عمي خل نروح، لايق هيجي رقعه على هيجي بابوج!!

كان الوردي واضحا في طرحه العلمي بلغة اجتماعية ساخرة، فهو يقول دائما ويردد كيفما تكونوا يولى عليكم، ولكنه بهذا المثل البغدادي اراد ان يرسخ الصورة التي ارتسمت لأكثر من ساعة ونصف من الوقت امام اعيننا نحن الثلاثة لتبقى طالما كنا احياء، وانقلها الان للناس بتفاصيلها ليتعرفوا عن قرب على شخصية الوردي.

حينما قلت له رحمة الله عليه، اجمل ما وصف الله سبحانه وتعالى

فرعون في الآية الشريفة استخف قومه فاطاعوه، انهم قوم ...، وكان النقد على القوم الذين اطاعوا وليس على فرعون الذي استخدم عقله في الاستخفاف بهم، صمت الوردي قليلا ثم وبدهشة مكتشف شيء جديد قال: ايابه وهي مفردة عراقية تعني (يا الله) وهي تستخدم للاستغراب في العراق، نعم العلم الحديث يؤكد ذلك، فالانسان كلما تعود على الطاعة العمياء وقبل بفكرة ولي الامر، فانه يفقد فاعليته التأثيرية في المجتمع !!

فواتح لثلاث مسؤولين

ضمن منهجه الاستقرائي لطبيعة تصرفات المجتمع تجاه الحاكم حضر الوردي مجالس الفواتح التي اقامها المسؤولين السياسيين في العراق، وحدثنا عنها، وقال انه كتب ما شاهد في سيرته حياته التي اسماها سينما بغداد، لذلك كان يكتب في اي مقال ينشره بانه يكتب مذكراته التي سوف تنشر بعد موته ان شاء الله، ولسوء الحظ دعاء الوردي في نشر مذكراته بعد موته لم يستجاب له الى الان، والمجالس الثلاثة التي حضرها الوردي حسب التسلسل التاريخي هي:

١ ـ مجلس الفاتحة المقام على روح محمد ابن الرئيس العراقي الاسبق احمد حسن البكر

٢ ـ مجلس فاتحة مقام على روح والد احد المسؤولين الكبار في حزب البعث لم يصرح الوردي باسمه، بل صرح بالقصة التي حدثت في مجلس الفاتحة.

٣ ـ مجلس فاتحة والدة طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي الاسبق.

ولنبدأ مع محمد بن الرئيس الاسبق احمد حسن البكر الذي قتل في حادث سيارة في منطقة بلد في الطريق بين تكريت وبغداد، وكثرت الاقاويل على هذه الحادثة، فمنهم من اتهم نائب الرئيس آنذاك (صدام حسين) بتدبير الحادث، ومنهم من قال انه كان يسوق السيارة بسرعة عالية في الليل، وقد دخل بسيارته تحت شاحنة كبيرة لم يراها بسبب الظلام الدامس، وهناك رواية تقول بانه لم يكن في وعيه، واخرى تقول انه اصطدم بالجسر وليس بشاحنة كبيرة!!

يقول الوردي انه سمع عن استقبال الرئيس الرئيس المكلوم بولده للمعزين في قاعة شهيرة ببغداد، فذهب الى هناك، حيث شاهد الالاف يقفون لتعزية الرئيس، وكما قال رأيت الافندي والمعمم والمعقل، يصف الوردي القاعة التي يقف على منصتها السيد الرئيس واقاربه، المنصة الصغيرة نسبيا والتي ترتبط بسلمين متقابلين، يصعد المعزي من السلم الايسر ثم يسلم على المعزى (الرئيس واقاربه) وينزل من السلم الايمن... يقول الوردي لقد كان صف المعزين طويلا جدا، حيث يتقدم الوزراء واعضاء القيادة وقادة الجيش واعضاء الحكومة والمسؤولين الكبار ثم المحافظين وهكذا يستمر الصف والاصطفاف لتعزية السيد الرئيس، ومن ثم يأتي عامة الناس، ولكن هذا الصف قابل للخرق، فعندما يأتي احد الوزراء متأخرا، فان الصف يخلى له ليلتحق باقرانه، والامر ينطبق كذلك على كل كافة المسؤولين.

ورأى الوردي ان الحاج خير الله طلفاح يقف قرب الرئيس ويستحث الناس على سرعة السلام على الرئيس والانسحاب بسرعة بسبب حالة الرئيس الصحية، حتى ان صوته كان واضحا بين الجموع وهو يحث الناس على الاستعجال، ولكن..

فجأة يطلب الحاج خير الله طلفاح من الحضور ان ينصتوا له، وكأنه

يريد ان يخطب، صمت الجميع، وخطب الحاج موجها كلامه للمعزين: بانه وبالنيابة عن السيد الرئيس واسرته يشكر جميع الذوات المعزين على الحضور، وان الحالة الصحية للسيد الرئيس لا تسمح بان يصافح الجميع، لذلك سوف ينسحب وهناك من العائلة من سيبقى لأستقبال الناس، وخرج السيد الرئيس من باب خلف المنصة ومعه الحاج خير الله طلفاح، وبقي بعض اعضاء اسرته في استقبال المعزين.

يقول الدكتور علي الوردي انه شاهد بعض الناس وقد جاءوا من قرى العراق للتعزية، فسأل احد المسؤولين المشاركين عنهم، وهل هم يتصلون بالرئيس بصلة قرابة ؟

فقال له المسؤول: لا، بل ان السيد الرئيس لا يعرف اغلبهم.

فقال الوردي اذن لماذا خسروا هذه المخاسير لكي يأتوا الى بغداد ؟

المسؤول: انهم اتوا الى هنا لا معرفة بالسيد الرئيس فكل العراقيين يعرفون رئيسهم، ولكنهم اتوا حتى يراهم محافظ المحافظة التي جاءوا منها، وربما كان اهتمامهم للسلام على المحافظ اكثر من اهتمامهم في السلام على الرئيس!!

ولماذا قال الوردي؟

المسؤول: ان حضور مجلس فاتحة يخص رئيس الدولة يعطي مكانة للشخص امام المحافظ، فالمحافظ لا يستطيع ان يسأل عن الصلة بين المواطن ورئيسه، فربما كان الرئيس يعرف هذا المواطن، وفي الغالب هو لا يعرفه، لكن المحافظ سوف يهاب هذا الرجل الذي شاهده في مجلس الفاتحة، فهو لا يقدر ان يفسر سبب وجوده في مجلس الفاتحة، وهذا الرجل وبعد ان شاهده المحافظ في مجلس فاتحة الرئيس سوف يستطيع ان يضع

قدما لأنجاز اعماله في المحافظة، بحيث يزور المحافظ ويذكره انهم التقوا في مجلس فاتحة ابن السيد الرئيس في بغداد ... وهذه جملة موهومة تحمل الكثير من الدلالات.

ويسأل الوردي مرة اخرى، اذن هذا بالنسبة لمن هم في المحافظات، ما قولك في القروي، الذي ربما لم يستطع مختار قريته ان يصل الى الفاتحة، ما هدفه من حضور الفاتحة ؟

يجيب المسؤول: اما القروي الذي جاء الى مجلس الفاتحة، فقد وضع نصب عينه اول مجلس يعقده المختار في القرية، ليبدأ بسرد قصص بغداد، حيث حضر مجلس فاتحة ابن الرئيس (الله يرحمه) وبذلك فهو يحقق سبقا على الاخرين ويكون مهيوبا من جميع افراد القرية، خاصة اذا كانت قصصه الواقعية والمتخيلة عن مجلس الفاتحة ليس فيها مبالغات واكتنفها الغموض قليلا.

هذه قصة مجلس الفاتحة المقام على روح محمد ابن الرئيس البكر، كما رواها الوردي، وان كنت اعتقد شخصيا ان نقاش الوردي مع المسؤول هو نقاش متخيل، اراد الوردي من خلاله تسليط الضوء على جانب مهم من تصرفات الشخصية البشرية.

المجلس الثاني : فاتحة احد المسؤولين لم يصرح باسمه

يقول الوردي اخذت سيارة اجرة وذهبت الى موقع مجلس الفاتحة، اوصلني سائق الاجرة الى اقرب مكان يسمح فيه الوقوف واخذ اجرته وذهب، وحين وصلت الى بوابة القاعة وجدتها وقد انقسمت الى قاعتين كبيرتين، تقف الشرطة على البابين، وهناك شرطي يقوم بتوزيع الناس على القاعتين، القاعة الاولى كانت لعلية القوم (الكبراء) كما كان يسميهم الوردي

رحمة الله عليه، وقاعة اخرى للصغراء، حيث عامة الناس واقارب المرحوم الذين ليس لهم منصب او جاه.

يقول الوردي وانا اراقب الوضع عن كثب لمعرفة ما الذي يجري حتى سمعت احدهم يهتف بصوت عال: استاذي الدكتور الوردي، معقولة، يقول: التفت الى ناحية الصوت، كان المتحدث هو الشرطي الذي يفرز الناس بين (كبراء وصغراء) ليوزعهم على القاعتين، سلم الشرطي علي بحماس، قائلا ربما لا تتذكرني دكتور، انا كنت احد طلابك في السنة الفلانية في كلية الاداب... ثم اخذني من يدي واوصلني الى قاعة الكبراء، قائلا تفضل دكتور، وولجت الى القاعة...

كانت القاعة مكتضة بكبار رجال الدولة وهم متراصفين في الجلوس بحسب المستوى الحكومي الذي ينحدرون منه، وقد اختلطت اصواتهم مع صوت قاريء القرآن، وما ان دخلت وسلمت وقلت الفاتحة، ساد الصمت لقراءة سورة الفاتحة، واستمرت القاعة صامتة وكأن على رؤسهم الطير، واختفى ذلك الهدير غير المتجانس من الاصوات الذي رافق حين دخولي اول وهلة.

جلت بنظري يمين القاعة وشمالها، كانوا جميعا ينظرون الي شزرا وكنت ابادلهم النظرة ذاتها، شعرت بعد دقائق اني غير مرغوب في بينهم في هذه القاعة، فاعدت قراءة سورة الفاتحة لأجل الانصراف، سلمت على اهل المتوفى وخرجت من القاعة التي احسست انها تنفست الصعداء بخروجي.

ذهبت الى الشرطي ذلك الطالب النجيب الذي ظن ان الاستاذ الجامعي في العراق الجديد مكانه بين الكبراء وكان مخطئا، فقلت له لماذا ادخلتني هذه القاعة، احسست انهم تضايقوا مني كثيرا، فقال الشرطي نعم دكتور، كذلك هم قالوا لي لماذا ادخلته علينا!!

المجلس الثالث : فاتحة والدة طارق عزيز نائب رئيس الوزراء

يقول الوردي ان طارق عزيز كان احد طلابه في كلية الاداب بجامعة بغداد، وانه (نائب رئيس الوزراء) يسأل عنه كل سنة او سنتين، سمع الدكتور عن وفاة والدة طارق عزيز، فذهب الى الكنيسة التي يقام بها القداس ويستقبل فيها طارق عزيز المعزين.

يقول اوصلني سائق سيارة الاجرة الى باب الكنيسة، حيث كان يقف رجل تشريفات يدل الناس الى موقع دخولهم وجلوسهم، وكان المجلس الفاتحة عبارة عن قاعتين ايضا للكبراء والصغراء، حين شاهد رجل التشريفات الدكتور علي الوردي ينزل من سيارة الاجرة اختار له قاعة الصغراء موقعا، الوردي يقول شاهدت بعض صغار السن من المراهقين وهم ينزلون من سياراتهم الفارهة ويختارون لهم قاعة الكبراء لمجرد انهم لديهم سائق وسيارة، فحز هذا في نفسي كثيرا، لكنها تجربة علمية ويجب ان تتمها الى النهاية.

دخل علي الوردي الى القاعة وهو يعتمر الفيصلية على رأسه، فاثار دخوله انتباه الحضور الغفير، نظر الوردي الى القاعة المختلطة بين الرجال والنساء، ايقن ان اغلب الحضور في هذه القاعة هم من اهل الفقيدة، فبعد ان اتخذ مكانه رفع صوته عاليا قائلا: الفاتحة، وحين بدأ الحضور برسم الصليب والدعاء للفقيدة كان الوردي يردد الآيات المناسبة للحدث، فقرأ: تبت يدا ابي لهب وتب، كانت سورة اللهب تلك هي آخر فاتحة سمعت الوردي يتحدث عنها، وليت اني كنت قد سجلت اداء الوردي بصوته.

اتفاق هدنة في مجلس الخاقاني بين الوردي وخصومه

كان الاستاذ المحامي موفق العمري قد وضع برنامجا لنفسه ان يتبع الوردي اينما ذهب، لكي يخالف كلامه او يشهر به بقوله انه عميل وماسوني وشعوبي، ثم تداخل معه بالاشتراك بالمهمة المحامي الاستاذ انور السامرائي، والذي يتميز على سلفه العمري بالعصبية وحدة الخلق التي تكاد تلامس الحمق في بعض الاحيان وحاشاه من ذلك، ولكنه قد يتفوه بكلمات لا تليق او يأتي بتصرف لا يناسب!

وقد روى الاستاذ سلام الشماع في مروياته عن الوردي كيف كان يرد عليهم، وخاصة عندما اتهمه السامرائي بانه جاسوس للحكومة، فقال له الوردي الخطأ ليس منك لكن من الحكومة التي تفضح جواسيسها امام شخص مثلك، وباللهجة العراقية (ما صوجك صوج الحكومة اللي تفضح جواسيسها لأمثالك)!!

اشترك احد المبرمجين بالثوابت الفكرية الطائفية غفر الله له، والذي يدعي لنفسه تاريخا نضاليا عظيما، مع هؤلاء في الهجوم على الوردي، ولسوء الحظ ان طائفيته فضحته، فاعترض على مجلس الخاقاني بصوت عال، وذلك في الاحتفال باربعينة عالم اللغة الكبير الاستاذ الدكتور مهدي المخزومي، وقد طلبت شخصيا منه التزام الهدوء، لكنه قال ان المرحوم المخزومي وافق ان يكون عميداً لكلية الاداب ابان حكم الشيوعين في عهد الرئيس عبدالكريم قاسم، وهو يعترض ان بيت عالم دين، ويقصد (والدي الشيخ عيسى) يحتفل بمن يتوافق مع الشيوعين!!، اجبته على الفور، كنت قبل ثلاثة اسابيع تحتفل بالدكتور فلان، والذي شوهد ابان الفترة الشيوعية يحمل حبلاً سميكاً ليجر به القوميين على الارض، وما كان يومها يسمى سحلا، فهل كنت تدري به ام لا؟ قال نعم وهو تاب عن عمله، فقلت له

وكيف سولت لك نفسك ان تتهم استاذا مثل المخزومي ان يقبل عمادة كلية الاداب وهو منصب علمي وصل لمن يستحقه، لكنك تبريء من كان يسحل الناس، فسكت ولم اسكت، قلت له اتدري لماذا؟ لأنك طائفي حتى النخاع، ولأن من نحتفل به عربي من مخزوم وغيره عربي من بني قيس، (على سبيل المثال)... واكملت ان لم يعجبك الاحتفال، فاننا لا نتشرف بوجود طائفي مثلك بيننا، وخرج وهو يهدر ويربد ويزبد، لكنه خرج!!

هذه الحادثة جعلت الاستاذ موفق العمري والسامرائي يتحفظان جداً في هجومهما على الوردي في مجلس الخاقاني، وخاصة الاستاذ انور السامرائي فقد قاطع المجلس فترة طويلة تضامنا مع الطائفي الذي طرد من المجلس، الوردي تأثر كثيراً بغيابهما، فهما على الرغم من تجاوزهما على الوردي في كثير من الاحيان الا انهما كانا يحركان الركود في المجلس!!

في احد الاعياد والذي صادف ثالث ايامه يوم الثلاثاء، ذهبتُ لتهنئة آل محي الدين في مجلسهم العتيد، فرأيت العمري والسامرائي هناك، وتبادلنا الحديث ففتح باب العتاب، وركزا باني اقمع من يناقش الوردي، فطلبت منهما ان يعودا ادراجهما الى المجلس وان نشترك في جلسة مصالحة ومصارحة مع الوردي، فوافقا على الفور، فالوردي في كل احواله مرغوب ومحبوب، بارك الدكتور زهير محي الدين والاستاذ اوس محي الدين هذا الاتفاق الذي تم في مجلس آل محي الدين الكرام.

نهض الرجل الطائفي مشترطا شروطا لأجل عودته الى المجلس، مبدياً موافقته على العودة معهما، فشكرته على مداخلته، وقلت له بصوت واضح: ان شروطك غير مقبولة، فان كنت تريد الحضور في مجلسنا فعليك الالتزام بشروطنا، في عدم الحديث بما يفرق الناس، وذكرت له شروط العلامة محفوظ الثلاث، واكدت له انه لم يكن مشمولاً بالدعوة الى العودة الى

المجلس، وهي تخص الاستاذين العمري والسامرائي، فارعد وازبد مرة اخرى ليحدثني عن نضاله القومي العربي، فطلبت منه ان يقرأ هذا البيان امام غيري من الناس لأسباب عديدة منها: انني من اسرة عربية عريقة، اشتهرت هي الاخرى في نضالها العروبي، وان كنت انت فرداً واحداً تباهى فانني قبيلة كاملة، وان كنت لا ارى فضلا لعربي على عجمي الا بالتقوى، وانتهت علاقتي بالرجل الى يومنا هذا وارتاح المجلس منه ومن طائفيته.

وجاء العمري والسامرائي الى اليوم الموعود وجلسا مع الوردي وتحدثا، وللحق اقول ان السامرائي كان تابعاً لما يقوله العمري، فقال العمري ان الوردي تناول والدي في احد كتبه في العهد الملكي مما حز في نفسي، فقال الوردي نعم، واني نقلت ما يقوله الناس عنه، ووالد الاستاذ موفق هو رئيس وزراء العراق في العهد الملكي، (مصطفى محمود العمري مواليد ١٨٩٤- ١٩٦٠ ولد في الموصل وتوفي في لندن، تسلم وزارة الداخلية ست مرات ايام الحكم الملكي، اختير لرئاسة الوزراء١٩٥٢ اعتكف بعد الثورة الجمهورية عام ١٩٥٨ في بيته).

يبدو ان الوردي كان قد كتب نقلا عن بعض الاشخاص ان وزير الداخلية كان مرتشياً، وقد حملها العمري في قلبه على الوردي، وحاول لسنين ان يجد اي مستمسك ضد الوردي في اتهاماته له، الا ان الوردي خذله في كل اتهاماته، حتى قال الوردي عن نفسه يوما، بانه سمع احد الاشخاص يقول البعثيين حاكموا الكل الاسلاميين والقوميين والاخوان المسلمون والدعوة والماسونين والبهائيين، وعدموا المئات بتهمة التجسس، لكن الوردي بقى ولم يجدوا له تهمة، فاجابه الآخر كما يروي عنهم الوردي: بانه هذا اخطر منهم كلهم، لذلك لم يمسكوه الى اليوم.

في ختام ليلة المصالحة هذه التفت الي الوردي وقال غداً تأتي الساعة

السابعة لنذهب الى مجلس آل محي الدين، فقلت له تأمر دكتور، فقال لن اتصل بك، فقلت نعم متذكر وسوف آتيك ان شاء الله، قال الوردي: لأن هاتف البيت معطل، وقد جاء المصلح وهو من دائرة الاتصالات وطلب ٢٥٠ دينارا لأصلاح سلك الهاتف، تصور انه يريد ٢٥٠ دينارا رشوة لكي يعيد الخط، فقلت له لن اعطيك، ولا اريد التلفون، كان في زمننا رئيس الوزراء يرتشي بخمسة دنانير، وانت عامل كهرباء تريد ٢٥٠ دينارا، وضحك الجميع!

اعتراض الوردي على فتوى الامام الخميني في الملكية الفكرية

بعد نجاح الثورة الايرانية صدرت فتوى من الامام الخميني تجيز السطو على الملكية الفكرية بحجة ان المفكر قد اطلق فكرته للعامة واخذ نصيبه المادي منها، لذا يجوز اعادة طبعها ونشرها دن اخطاره او اعطاءه حقوقا اضافية على ما اخذ في الطبعة الاولى.

والحق اقول ان الوردي لم يكن راضيا عن الناشرين الذين طبعوا كتبه بمئات الطبعات فى ايران دون اخذ رأيه او اعطاءه اي مكافأة مادية كما هو متعارف فى كل انحاء العالم، وعندما شرحت له فحوى الفتوى واستنادها الفقهي قال هازئا: (شنو هالخرابيط).

ولأجل معرفة اصل الفتوى فى الملكية الفكرية وجدت حوارا على الشبكة العنكبوتية يوضح الدكتور أبو القاسم رجى استاذ مباديء ومسائل الفقه الاسلامى فى الحوزة العلمية بمدينة قم رأيِ الفقهاء المعارضين لحق الملكية الفكرية، بقوله: ليس هناك تصريح مباشر، ولا حتى إشارة ضمنية من الشارع فى هذا الصدد، على سبيل المثال الآية الكريمة: (احلّ الله البيع)، أو (أوفوا بالعقود)، لا تشمل حق الملكية الفكرية لا كصفقة ولا كعقد حسب

أولئك الفقهاء، أي لا يمكن للمؤلف أن يبيع حق تأليفه، لأن هذا الموضوع يدخل فى مجال الشبهة المصداقية، أي أننا نشك فى أن بيع الحق المعنوي لأثر فنى معين يعتبر صفقة أم لا، حتى تصدق عليها الآية الكريمة، أحلّ الله البيع أو نعتقد بأنها عقد لنتصرف معها بموجب الآية أوفوا بالعقود، من منظار الفقهاء، فإنه فى الشبهات المصداقية لا يمكننا التمسك بالعام، وحسب هذا الاستدلال، لا يمكن الاعتراف بأي وجه، بشرعية الملكية الفكرية، بالطبع ينطلق الفقهاء فى رأيهم هذا من من منطلق أصولهم الاجتهادية ونظرتهم الاختصاصية.

إن أدلة البراءة والإباحة التي تشمل الأدلة الشرعية مثل أحلّ الله لكم ما في الأرض جميعاً وكذلك الأدلة العقلية مثل قبح العقاب بلا بيان يستعان بها في موضوع الملكية الفكرية في الحالات المشكوك بها، وعندئذ يمكن الحكم بحليتها بكل سهولة، المهم هنا الحكم الوضعي، فلو تم بيع حقوق الملكية الفكرية، هل ستصار ضمن ممتلكات المشتري، مقابل مبلغ معين من المال؟ وهل سيكون حق التصرف بيد صاحبها شأنها شأن الممتلكات الأخرى؟ وإذا أراد أحد التصرّف بها، هل ستحمل صبغة قانونية!

هذا هو فحوى الفتوى وسببها، وعلى المتضرر اللجوء لفقيه آخر.

مصطلحات علي الوردي

كان للدكتور على الوردي مصطلحاته الخاصة، بعضها صنعها بنفسه وبعضها الآخر استدعاه من التاريخ، قيمة هذه المصطلحات ليست بجماليتها فحسب، بل بطريقة القاها، فللوردي ميزة فى الالقاء ليس لأحد من الناس ان يقلدها، فهو يقف على الكلمة التى يقولها، ويسمح للمستمع ان يستوعبها وربما شتت الوردي افكار اي سائل بمصطلحه وشرحه للمصطلح، وللاسف

ليس لدي صورة صوتية لأداء الوردي الذي لا يمكن ان يقلد من اي احد، وقد كان احد الاساتذة متأثراً باسلوب الوردي ومعجبا به، ويحاول دائما ان يمشي ويتحدث مثله، لكنه مع احترامي لشخصه وهو يقرأ الكتاب الان، ظهر سمجا متكلفاً لا يشبه الوردي بشيء، بل خسر مشيته التي يجب ان يتمسك بها.

(الپه په چيه)

كان احد اشهر مصطلحات الوردي: (الپه په چيه)، وتقرأ بالعربية البهبه تشيه، اطلق الوردي هذا المصطلح على مجموعة من شباب الكاظمية يتابعون نشاطه ويحضرون محاضرته ويذهبون خلفه اينما ذهب وانا احدهم طبعا، الاستاذ سلام الشماع والاستاذ باسل الخزرجي والاستاذ عبدالمطلب مهدي عبود كانوا من اشهر بهبه تشية الوردي.

اما معنى مفردة الپه په چيه فهو باللغة التركية المؤيدون، ويبدو انها قدمت الى العراق مع الحكم العثماني، حيث كان الاتراك اذا عجبهم قول أجابوه بكلمة به به، اي بخ بخ كما يقول العرب القدماء، وقد انتقلت هذه الكلمة المقاهي العراقية في عهد الدولة العثمانية المتأخر، حيث يجلس من كان يروي قصة للحضور مثل قصة ابو زيد الهلالي، فيصل بالقصة الى بطولات ابو زيد الهلالي وانتصاراته، فيردد عليه الحضور: به به، وانتقلت هذه المفردة الى جمهور المغنين والمطربين حيث كان هناك من يتبعهم للاستماع الى اغانيهم ويبه به لهم مع شدة الطرب ليحمى لهم القاعة وليحمس الجمهور.

الدكتور صاقول

كان الوردي يطلق علينا نحن البه به جيه، فيما كان يسمينا العلامة

محفوظ الاحاسن، الوردي لم يكن يريد تصغير مناصريه باطلاق اسم البه به جيه عليهم فهو قد اختار لنفسه اسماً مصطلحاً وله معنى، كنا نحن بمصطلح الوردي اليه په چيه وكان يطلق على نفسه مصطلح الدكتور صاقول، والصاقول بالعامية العراقية تطلق على الشخص الذي يكرر الشئ كثيرا فيضرب به المثل بأن فلان يعيد ويصقل، ولان الوردي يتحدث عن المجتمع العراقى منذ منتصف الأربعينيات الى منتصف التسعينيات حيث توافاه الله اي لمدة نصف قرن تقريبا، فانه غالبا ما كان يعيد ويصقل قصصه.

حين بلغ الدكتور صاقول سن الثمانين طلب من البه به جيه شيئا مهما، وهو ان يتابعوا قصصه حين يتحدث فى اي محاضرة، فاذا ما اضطر الى ان يضرب امثلة او يجيب على تساؤل، ونسى اين وصل فى المحاضرة وعن ماذا يتحدث، وذلك بسبب عامل السن، حيث كان ذهنه يشرد قليلا فى ايامه الاخيرة رحمة الله عليه، فيشير الى البه به جيه، بقوله: (وين كنا)، بمعنى اين كنا؟، فنرد من فورنا على الدكتور صاقول، وقد حفظنا محاضرته من كثرة ما اعاد وصقل فيه، اصل الموضوع فى المحاضرة، وربما خذلناه فى بعض الاحيان، فيحوقل ويستغفر الله، وينظر الينا نظرة غضب ويرجع الى محاضرته.

ما انفه لك

من اشهر القصص الوردي والتي رواها في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث هي قصة ما انفه لك، حتى اصبحت مثلا عراقيا دارجا، ومعنى مفردة ما انفه لك بالفصحى (لن احقق مرادك)، وهي من مصطلحات الوردي التراجيدية، فقد روى عن احد مدعي الشقاوات في بغداد، والذي كان يتمنى ان تلقي الشرطة القبض عليه ليشتهر بين الناس ويخشونه لأنه خريج سجون، فيبتز الناس بذلك، ولم يكن هذا الشخص

يمتلك مقومات الشقاوة آنذاك، فكان كلما سمع عن سرقة في مكان سبق الشرطة اليه ورمى بحذاءه في المكان المسروق، ومن ثم ذهبَ الى مركز الشرطة ليستفسر عن السرقة، وهل الشرطة وجدت مستمسكاً عن اللص المزعوم، فيقول له الضابط: وجدنا (الكيوه مالتك) والكيوه نعل يحاك في كردستان العراق، خذها واذهب الى بيتك، فانا ما راح انفه لك، اي لن احقق مرادك في الشهرة على حسابي.

حدث ذات يوم ان سألت الوردي بعد محاضرته النارية التي القاها على الجمهور بعد العام ١٩٩١ والتي اطلق عليها سلام الشماع قنابل الوردي، سألته الا يخشى بطش النظام وهو يتحدث عنهم بهذه الطريقة وينتقد سياستهم، فقال لي الوردي انني الان على ابواب الثمانين، وقد حققت نجاحات في حياتي لا تعد ولا تحصي ولله الحمد، وانني حين انتقد النظام بهذه القوة، فاني اريد نهاية مأساوية لحياتي، فمن جهة سوف تخلدني هذه النهاية بين الناس ومن جهة اخرى سوف تكون ادانة على طول خط التاريخ للنظام، ولكن يبدو ان النظام ادرك خططي، وهو لا يريد ان ينفه لي!!

في عيد ميلاده: اشكر المداحين

عزمت الاحتفال بمولد الدكتور علي الوردي، فسألت العلامة الدكتور حسين علي محفوظ عن يوم مولد الدكتور علي الوردي، فقال انه لايعلم في اي يوم ولد على التاريخ الميلادي، لكنه متأكد من انه ولد يوم عيد الاضحى المبارك على الشهور الهجرية، فشكرته واعددت العدة واشتريت كيكة عيد ميلاد، واخبرت بعض الاحبة فقط، مع تنبيههم بعدم البوح بهذا السر خشية عدم موافقة الوردي، لأنه يرفض تماما ان يحتفل بعيد مولده، وطلبت من الاساتذة الكبار اعداد كلمات بالمناسبة، فكانت هناك كلمة للعلامة محفوظ

وكلمة للاستاذ عبدالباقي النجار وكلمة للاستاذ الحاج عباس علي المندلاوي وقصيدة للشاعر الكبير راضي مهدي السعيد وكلمة لي.

يبدو ان احدهم قد سرب المعلومة الى الدكتور الوردي فامتنع عن الحضور، اتصلت به هاتفيا فقال لي ان صحته لا تساعد على المجيء، وبعد اخذ ورد، اخبرني انه علم بالمناسبة وانه لن يحضر بسببها، فاقنعته ان هذا اليوم، يوم عيد، والناس تزور المجلس لتبادل التبريكات والتهاني بالعيد، ولا نريد ان نضايق الناس بمحاضرة، ولكني سوف القي بحثا قصيرا عن الفيلسوف الفرنسي ديكارت (رينيه ديكارت فيلسوف ورياضي فرنسي ولد ١٥٩٦ وتوفي ١٦٥٠ يلقب بابو الفلسفة الحديثة)، ونتحدث قليلا في الفلسفة، وربما نوهنا للمداعبة بعيد ميلادك، واقسمت له ايماناً كاذبة باني صادق، وهو يدري ان قسمي غير شرعي فهو غير ملزم، قلت له سآتي اليك، قال يا الله تعال، بس على الاتفاق، (خرابيط عيد ميلاد ماكو)، اي بدون عيد ميلاد، فقلت انا في الطريق اليك اتفقنا.

اتفقت مع اخوتي القائمين على المجلس عبدالمطلب مهدي عبود وصادق الجزائري وباسل الخزرجي على الاستعداد لأدخال الكيكة عندما اقول في كلمتي واليوم عيد ميلاد الدكتور علي الوردي، ليتفاجأ بها وبعد قطعها، سوف تبدأ الكمات والقصائد، وعلينا ان نكون حذرين من استفزاز الوردي، وقد احضرت ابنائي علي وعيسى وكانوا صغارا في السن لمساعدة الوردي في قطع كيكة عيد الميلاد.

حين دخلنا الى البيت احس الوردي باجواء الاحتفال به، فقال ما هذا؟، قُلت انه العيد، نحن نحتفل بالعيد كما كل عام، جلس الوردي متربصا يرد على تحايا الحضور، جلست على المنصة وبسملت وصليت على النبي وآله وهنأت الحضور بحلول عيد الاضحى المبارك، ثم اعلنت باننا

ارتأينا وبسبب العيد ان نلغي محاضرة اليوم، ونكتفي ببحث قصير مني حول ديكارت وفلسفته، احسست ان الوردي ترك تربصه واسترخى على الكرسي، بدأت اتحدث عن ديكارت لخمسة دقائق، ثم قلت وفرنسا قد احتفلت بفيلسوفها ديكارت احتفالا عالمياً، وانا انظر الى الوردي، ورأيته يوافقني الرأي على ان ديكارت يستحق ان يحتفل به، ثم قلت وبالرغم من ان ابن عربي الفيلسوف المعروف مدفون في دمشق الا ان القاهرة احتفلت بمرور ثمان مئة عام على مولده وذلك عرفانا منها بهذا المفكر الكبير، وما زال الوردي يوافقني الرأي.

تحدثت قليلا عن فلسفة ابن عربي وكيف لم يدركها الناس لا في وقته ولا في غير وقته، ثم قلت ومن حق بغداد ان تحتفل بعلماءها وعظماءها، واليوم يصادف مرور ثمانين عاماً على ولادة الدكتور علي الوردي، فكما احتفلت القاهرة بمرور ثمان مئة عام على ولادة ابن عربي، فان بغداد تحتفل بثمانينة الدكتور علي الوردي، ودخلت الكيكة حسب الاتفاق المسبق وخلفها اطفالي علي وعيسى وهم يحملون سكينا للوردي ليقطع الكيكة!!

مسك الوردي بالسكين ودورها من الجهتين مبتسما في وجه الاطفال، ثم قال ماذا افعل الان، دخلنا جميعنا حوله، وقلنا اقطع الكيكة، فقال من اي جهة من السكين اقطع فقلنا انها تقطع من الجهتين، فقط مررها على الكيكة، وقد قطع الوردي كيكة عيد ميلاده الاول العلني وهو في الثمانين من عمره رحمة الله عليه، وصفق الجميع، واتينا بكيكة صغيرة اخرى، فقال الوردي (هاي شنو)، بمعنى ما هذه فقلنا انها كيكة احضرها العلامة محفوظ خصيصا ليوم مولدك، فقال والله، شكراً يابه، اي شكراً لك باللهجة البغدادية، ثم قال اياباه، عيد ميلاد!!

اعتقد الوردي ان الحفل انتهى بقطع الكيك، وجلست مرة اخرى لأقدم

العلامة محفوظ وهو يتحدث عن الوردي، ليبدأ الحفل الذي اضطر الوردي ان يسمعه، كل المتحدثين يتحدثون عنه ويمتدحونه شعرا ونثرا، وهو يحرك فمه الى اليمين تارة والى الشمال تارة اخرى، او يجيب بصوت عال: ايوه، صحيح، تهكما منه على المتحدثين، تحدث العلامة محفوظ عما احدثته آراء الوردي في المجتمع وردود الافعال عليها، خاصة فيما يتعلق بنقده للشعر والادب، وتحدث الحاج عباس علي عن فكر الوردي المتجدد وطروحاته، وتحدث الاستاذ عبدالباقي النجار عن حركة الوردي وتأثيرها في جيل طلابه وانشد راضي مهدي السعيد قصيدة، وقارن محمد الخاقاني بين بعض الافكار التي طرحها الوردي وتبناها بعض فلاسفة فارس، وانتهت الامسية، لكن الوردي طلب ان يشكر الجميع، فقدم له المايكروفون.

قال الوردي في الحقيقة كانت جلسة مفاجأة لي لم اكن اتوقعها، وقد تحدثتم باشياء اسعدت ان اسمعها منكم، وقد علمت ان الدكتور محفوظ هو من اعطاكم تاريخ مولدي الهجري الذي يصادف هذه السنة ٨٤ عاما هجريا و٨٠ عام ميلاديا، واني في هذه المناسبة اشكر المداحين... وضحك محفوظ حتى ادمعت عيناه، وانتهت الامسية.

قلنا للعلامة محفوظ ما الذي اضحكك قال: الوردي شتمنا جميعا في نهاية الحفل، فقلنا كيف، قال محفوظ: بقوله اشكر المداحين، فقد اشار للحديث النبوي الشريف احثوا في وجوه المداحين التراب!!

ونص الحديث المروي في البخاري ومسلم يقول: (روى مسلم عن المقداد رضي الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان رضي اللّه عنه، فجثا المقداد على ركبتيه وجعل يحثوا في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال:إذا رأيتم المداحين أحثوا في وجوههم التراب)، ومفردة الحثو والحثي في اللغة تعني: الحفنُ باليدين.

كان ذلك اول عيد ميلاد للوردي والاخير كذلك، وكانت تلك هي نهاية المحتفلين برد الوردي الجميل اشكر المداحين، واستغل هذه الفرصة للتأكيد على الاساتذة الذين تحدثوا الان عن الوردي وحياته وزعموا انهم تلاميذه ومريدوه، ان يتوخوا الحيطة والحذر حين نقل موضوع عنه رحمه الله، لأنه كان يكني كثيرا، وكانت له رموزه وافكاره، وكان له جمهور خاص يستوعب منه، كما في هذه القصة التي لم يستوعبها الا العلامة محفوظ رحمة الله عليه.

حلية الرقص والنساء وشرب النبيذ في المذهب التلفيقي

قال المهندس جعفر علي الوردي ابن الدكتور الوردي عن والده في ذكريات نشرتها احدى الصحف: بان الوالد كان كثير السفر... وكان يقضي الصيف في الاسكندرية كما كان يحب قضاء الشتاء في بلغاريا، وكنت ذات يوم قد سألت الدكتور الموسوعي عبدالجبار المطلبي استاذ اللغة المعروف رحمة الله عليه والذي كان مستشارا ثقافيا لجمهورية العراق في القاهرة في اواسط الستينيات، هل تربطه علاقة بالوردي، فاجابني بالايجاب، بانه كان يرى الوردي في الصيف حين يأتي الى جمهورية مصر العربية، فانه يأتي للسفارة يوم وصوله ثم يختفي حتى يوم سفره فيمر مسلماً ومودعا، واضاف المطلبي: وهو عكس غيره من الادباء والمثقفين الذي يمثل وجوده ثقلا علينا في القاهرة، لكثرة مشاكلهم وطلباتهم.

كان الوردي قد حدثني بان احد اصحابه قد عرفه على المجتمع الثقافي في مصر، وانه وصديقه كان لديهم عوامة في الاسكندرية يؤجرونها صيفاً، ويلتقون باصدقائهم مثقفو مصر، والعوامة هي بيت من خشب يبنى على البحر، ومازالت الاسكندرية تحتفظ ببعض من هذه العوامات الى يومنا هذا.

يقول الوردي شاهدت يوماً في الاسكندرية احد اصحابي المتدينين، فتسامرنا وتحدثنا، ثم دعاني صاحبي لزيارته في عوامته، حتى اغير الاجواء التي اعيشها!!، فقررت زيارته لأرى كيف يغيير لي الاجواء التي اعيشها، وحددنا موعداً لزيارته.

دخلت الى عوامة صاحبي (المتدين والملتزم دينيا)، فوجدته قد اقام حفلة اقرب ما تكون الى الحفلة الماجنة، حيث الرقص والغناء وسيدة تتأبط ذراعه!!، فجلست مستغربا، فاغراً فمي لأجواء صاحبي المتدين، شاهد صاحبي استغرابي، فسألني: ما بك يا دكتور؟

فقلت:الحقيقة اني مستغرب من هذه الاجواء

فقال: لماذا تستغرب؟

فقلت: من حفلة الرقص هذه وانت رجل متدين، فكيف ترقص؟

فقال: لقد اجاز الشافعية رحمهم الله تعالى الرقص الذي ليس فيه تكسر، وفيه حركة خفيفة وميل لطيف، اذ قال النووي رحمه الله وهو من كبار فقهاء الشافعية في روضة الطالبين الجزء١١ الصفحة ٢٢٩، مستنداً في رأيه هذا الى حديث السيدة عائشة رضي الله عنها حين قالت: جاء حبشه يزفنون في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي(ص) فوضعت رأسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التي انصرف عن النظر اليهم، وهذا دليل اقراره(ص) لفعلهم، ودليله من المعقول ان الرقص مجرد حركات على استقامة واعوجاج، وبناء على هذا المنقول والمعقول، فالشافعية ترى انه لا يحرم ولا يكره بل يباح اباحة واضحة، وها انت ذا ترى رقصي الوقور الذي فيه حركة خفيفة وميل لطيف فحسب.

فاسقط في يدي يقول الوردي، ولكني عاودت وسألته عن المرأة التي

يتأبط ذراعها وتتأبط بكل غنج ذراعه، وهي ليست زوجته كما اعلم.

فقال الرجل: نعم انها ليست زوجتى، ولكنى تزوجتها بالزواج المنقطع (المتعة)، واستندت فى حلية المتعة على ما فى صحيح مسلم الجزء الثانى الصفحة ١٠٢٣ والذي اخرج حديثاً صحيحا بسنده عن ابى الزبير: (قال سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر، حتى نهى عنه عمر فى شأن عمرو بن حريث) وكذلك على الحديث الذي اخرجه مسلم فى صحيحه بسنده عن عطاء (قال: قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجئناه فى منزله، فسأله القوم عن أشياء، ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر، وبسند آخر عن أبى نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فأتاه آتٍ فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا فى المتعتين. فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ، ثم نهانا عنهما عمر)، وبذلك تكون هذه زوجتى مع اباحة ظاهرة لا لبس فيها من الرسول ﷺ.

يقول الوردي ادهشنى الرجل فى جاهزيته على الرد، فقلت يجب ان انهى مقاومته الشرسة فى ايجاد نصوص تدعم موقفه، فصعقته بسؤال عن الخمر الذي يشربه وهو ظاهر من شكله ورائحته، وهل هو حلال ايضا؟

فاجابنى: نعم هو حلال، فهذا ليس خمراً، بل نبيذ، وحكم النبيذ حلال عند الحنفية.

فقلت: ومن اين اتيت بحديث لحلية النبيذ؟

فاجابنى: اليك مصدري الجامع لأحكام القرآن للقرطبى الجزء الثالث الصفحة ٥٠، حيث ينقل: (الأحوص عن إسحاق عن عمر بن ميمون قال: قال عمر: إنا نشرب هذا الشراب الشديد ليقطع به لحوم الإبل في بطوننا أن

يؤذينا، قال أبو حنيفة والثوري وابن أبى ليلى وابن شبرمة وجماعة من الفقهاء: إذا سكر منه أحد دون أن يتعمد الوصول إلى حد السكر فلا حد عليه)، وكذلك فى سنن ابى داوود الجزء الثانى الصفحة ٣٠٥ (عن همام بن الحارث قال: أتى عمر بنبيذ زبيب، فشرب منه، وعن ابن عون قال: أتى عمر قوما من ثقيف قد حضر طعامهم، فقال: كلوا الثريد قبل اللحم، فإنه يسد مكان الخلل، وإذا اشتد نبيذكم فاكسروه بالماء، ولا تسقوه الأعراب)، وبهذا لا اشكال في شرب النبيذ الذي تراه امامي وهو مباح!

فقلت: اذن انت لا تتبع مذهبا بعينه ؟

قال: انا اتبع المذهب التلفيقى، حيث اقوم بتلفيق الاحكام من المذاهب، واالخذ ما يناسبنى منها، وكلها تستند فى احكامها على الكتاب والسنة، فاذا كان هناك اي ذنب في هذا، فان من يتحمله الفقهاء وليس انا.

مداعبات مجلسية

سوف اروي ثلاث قصص من قصص الوردي فيها العبرة اكثر من المداعبة وربما تكون القصة الاولى فيها الذكرى الحسنة التى تركها الوردي العظيم فى قلوبنا عنه، والثانية ما كان يتمناه الوردي من الطبقة المثقفة فى العراق اثناء الازمات السياسية التى تمر على العراق، والثالثة ما يطلبه من الانسان الذي يعيش بقربه ان يكون هادئا محايدا، وان لا يبالغ فى الامور لأنه سوف ينكشف يوما ما.

الوردي وعباءة الشيخ الوالد

كان الدكتور علي الوردي مبرادا بطبيعته، لا يحتمل البرودة ويتقيد

منها، تبرده نسيمة الهواء العليل فى قيض الصيف اللاهب ناهيك عن قر الشتاء اللاهث، وقد احزنتنى حالته تلك فسألته عن السبب فى ذلك، خاصة وهو يعيش فى بيئة تصل فيها درجة الحرارة فى الشتاء الى دون العشرة مئوية، وفى الصيف الى الخمسين، فاجابنى ان السبب هى والدتى المرحومة، حيث كانت تلبسنى ملابس ثقيلة فى الشتاء خشية ان اصاب بالبرد، وتغطينى فى الصيف كذلك، فهى تخشى على وحيدها او المتبقى من اولادها، مما عود عظمه على الدفء الدائم.

ولهذا السبب كانت مشكلتنا فى المجلس مع الوردي رحمه الله فى الصيف اكثر من الشتاء، حيث تصل درجات الحرارة فى العراق الى خمسين درجة مئوية، وبالرغم من هذه الحرارة فاننا لا نستطيع ان نفتح مكيفا او مبردة هواء او حتى مروحة فى بعض الاحيان، لان الوردي يصاب بالبرد، فى حين غيره من الحضور يذوي ويذوب من الحر.

ولأجل ايجاد حل وسط لهذه المعضلة فى رحلة الشتاء والصيف العكسية بين الوردي والناس والوردي تذكرت يوما ان الوالد الشيخ حفظه الله ورعاه قد ترك عباءته الشتوية فى العراق وسافر الى الامارات، فقررت ان اجربها على الوردي لعله يدفأ لكى يصيبنا برد المكيف قليلا، فاتيت بها للوردي وقلت جرب هذه يا دكتور فوضعها على ظهره وتابط وتشحط بها وقلبها يمنة ويسرى وقال نعم عباءة الشيخ هى الحل، واصبحنا كلما دخل الوردي الى المجلس ومكيفات الهواء تشتغل نظر الى بطرف عينه، فاسرعت الى عباءة الشيخ وغطيته بها، فهدأ هو وارتحنا نحن، وستجد صورتي في صور هذا الكتاب وانا اغطي الوردي بعباءة الشيخ.

فدعة وحسين

كان احد الاعزة مدير احد المجالس البغدادية العريقة يطلب منى دائما ان اتى بالوردي معى الى مجلسهم، وقد اخبرت الوردي اكثر من مرة بهذا الطلب، وكان يماطل لبعد المسافة ولأضطراره ان يبقى متأخراً لأنتهاء المجلس، ذات ليلة اتصل بى الوردي وقال هل لديك موعد هذه الليلة، فقلت نعم اريد ان اذهب الى المجلس الفلانى، وهو المجلس الذي يدعوك ولا تلبى، فقال: ماذا لديهم، هل الموضوع مهم او مثير، فقلت لا ادري ما الموضوع، وانما ذهابى اداء واجب، واياً كان الموضوع، فانه سيكون جيداً، حيث اشتهر هذا المجلس باختياره لمحاضريه بدقة، فقال الوردِي: تعال وخذني ولنذهب سوية للمجلس.

وذهبنا ويا ليتنا ما ذهبنا، فقد كانت المحاضرة لشاعر شعبى كبير، وهو يتحدث فيها عن: (شعر فدعة بنت على الصويح والتى كانت تعيش ايام الشيخ حمد الحمود فى بادية السماوة، ما يقارب سنة ١٧٥٠ للميلاد، وقد اغتيل اخوها حسين، فرثته رثاء مراً)، وهو شعر مشهور معروف عند متابعى الشعر الشعبي العراقي، ومن اشهر ابياتها:

اخـــــوي الثلاثه مرافجاته   الكـرم والمراجل والصماته

اخوي حسين جاراته خواته   اخويه العبد والضيف اغاته

وكان الشاعر الشعبى يترنم بالقصائد باللهجة العراقية قبل اكثر من قرنين، ثم يشرح للحضور معانى الابيات الجميلة والرقيقة والعاطفية للشاعرة فدعة، واشهد الله اننى انسجمت مع المحاضرة لحبى وولوعى بالشعر الشعى العراقى الذي يندر ان يشبهه اي شعر فى العالم من خلال الصور التى يطرحها.

وفجأة شعرت بيد تقرص رجلى بقوة، نعم كان الوردي، وقال بصوت عال، محمد، لقد اضعت وقتى على شيء لا يستحق، فقلت دكتور نعم، ادري لا يعجبك الشعر، ولكن عندما تنتهى المحاضرة سوف نخرج ان شاء الله.

ومرة اخرى كررها الوردي وبصوت مسموع: (احنا بيا حال حصار وحرب وهذوله يحجون عن شاعرة ميتة قبل ٣٠٠ سنة)، ويعنى بذلك ان وضعنا الان ونحن فى فترة الحصار الامريكى المفروض على العراق ومهددين بحرب قادمة وهؤلاء يتحدثون عن شاعرة ماتت قبل ٣٠٠ سنة، وكان الموقف محرجا حقا مع اصحاب المجلس، فقلت للوردي دكتور اذا تأمرني للعودة الى البيت انا حاضر.

فقال: هذا لا يجوز، فقد اتينا المجلس ولا يمكن ان نخرج قبل الانتهاء من المحاضرة

قلت: اؤيدك دكتور

قال: تمنيت ان تجتمع هذه الثلة المثقفة لمناقشة حال المجتمع بعد الانهيار الذي اصابه بعد حرب الخليج الثانية.

قلت: انت على حق دكتور، ولكننا حتى فى مجلس الخاقانى نأخذ فسحة ثقافية في الادب والشعر.

قال: نعم، وتبلغونى ولا احضر وارتاح، اما ان اجبر على الحضور فتلك مشكلة.

واستمر السجال المتقطع بين الدكتور الوردي وبينى، حتى انتهت المحاضرة، فاعتذرت من الحضور لعدم تمكننا حضور المناقشات بعد المحاضرة بسبب حال الوردي المريض، وانه حضر بالرغم من مرضه،

احتراما للمجلس الموقر، ولله الحمد ان الوردي ايدنى، لنعود ادراجنا بعد المحاضرة العقوبة التي حضرتها مع الوردي!!

الصديق المدعي ومعروف الجلبي

الاستاذ معروف الجلبى لديه مواهب وقدرات خاصة فى الباراسايكولوجى والدراسات النفسية، بالاضافة الى دراسته فى مجال التصنيع العسكري، وقد القى فى مجلس الخاقانى محاضرة رائعة بعنوان البعد السادس، حيث حدد للنفس البشرية بعداً سادسا، بالاضافة الى الابعاد الثلاثة المرئية وغير المرئية، فقد اكتشف بعداً خامساً وسادسا ايضا، محاولا تطبيق تلك النظرية السداسية على جميع الاشكال والاشياء.

كانت المحاضرة شيقة ولكنها غير معقولة فى تطبيقاتها، فما زالت اشكالية البعد الثالث (العمق) مشكلة قائمة، فكيف بشخص يبحث لنا عن البعد السادس مباشرة، الا الوردي فقد استمتع بالمحاضرة واعجب باسلوب طرح المحاضرة، حيث كان الجلبي يشرك الحضور في مناقشاته اول باول.

عند انتهاء المحاضرة وخروج اغلب الحضور، اخضع الوردي الاستاذ معروف الجلبى الى اختبارات عديدة ليرى قدراته الخاصة فى الباراسايكولوجى، وقد وافق على بعضها ولم يقتنع باخرى، واخبره الجلبى بانه يقرأ الكف، والعيون ويستطيع معرفة الشخص من توقيعه، ويميز من خلال التوقيع قدرات الشخص الذاتية والجنسية، وقد اعجب الوردي بالمقطع الاخير كثيرا، وقال ايابا، وذلك يعنى ان الوردي اضمر شيئا فى فكره ولا يريد الافصاح عنه الان.

اختار الدكتور على الوردي احد الاصدقاء والمريدين، وطلب منه ان يوقع على ورقة ويسلمها للجلبى، وثم استدرك قائلا وانتم ايضا وقعوا له على ورقة، ليقرأ لنا عن قدراتكم الذاتية والجنسية!

كانت الجلسة تقتصر على اعمدة المجلس فقط، حيث غادر الحضور بعد الانتهاء من المحاضرة ومناقشتها، فبدأ الجلبى يقرا التواقيع واغلبها كانت سوية جنسيا، ولم يثره اي احد بضعفه او بقوته الجنسية الخارقة، هنا قال الوردي للجلبى: هلا ركزت على توقيع وفلان واعطيتنى رأيا دقيقاً بشأن قدراته الجنسية

فقال الجلبي: انه لا يتميز باي شيء، بل ربما هو اقل كفاءة من غيره!!

فقال الوردي: انه يحدثنى عن انجازات جنسوية تجاوزت ١٣ مرة يومياً، وقد ادهشني حقا، وانت تقول ربما كان اقل كفاءة.

قال الجلبي: هكذا يبدو من توقيعه، والله اعلم.

كان وجه صاحبنا قد احمر من الغضب والخجل، وقد فقد تركيزه، الا انه سرعان ما استدرك نفسه وقال للوردي، انا قلت كنتم يوماً كذا، ولم اقل انني الان كذا!!

فقال الوردِي: نعم الان عرفت، وان كنت حدثتنى بالامس عن انجازك بثلاثة عشر مرة، ولم يمر يوم كامل على اخباري، فلا تنكر.

وكان لابد من انقاذ صديقى المدعى امام هجوم الوردِي، فتدخلت بنكتة لعلى احول الموضوع عن صاحبى، فقلت ان الرقم ١٣ رقم نحس عند الغربيين وهاهو قد اثبت ذلك، من خلال نحوسيته على صاحبى، وسألت الوردي سيدي الدكتور هل تؤمن بنحوسة الارقام؟

وتحول الكلام الى الارقام ونحوستها، وتجاوزنا موضوع صاحبنا المدعي، الا الوردي، فانه اصر على تكرار ابو١٣ على صاحبنا لفترة طويلة.

سألت الوردي يوما لماذا ضغط على احد محبيه ومريديه بهذه الطريقة، واسماه الرقم ١٣ اين ما حل وارتحل، قال ان الرجل مدع، ولا يتحدث بهذه

الانجازات الا من كان يشكو مشكلة جنسية معينة، والا هذه الامور تبقى سرية بين الانسان وربه، فلماذا يتبجح بها ويدعى ارقاماً فلكية لا تناسب عمره، فكان يجب ان اعلمه، وارجو انه بعد محاضرة الجلبى والايام التى تلتها قد تعلم شيئا.

كانت هذه مداعبات ثلاث، من مجموع مئات المداعبات يحدثها الوردي فى مجلسه ليضفى على المجلس روح المرح ويستغل ذلك لتوصيل افكاره العلمية وهى طريقة استحدثها الوردي، وان كان بعض الذين يكتبون عنه قد استوعبوها على انها مداعبة او نكتة!.

الفصل الثالث: كتب الوردي، علماء تأثر بهم، مناهجه البحثية، اثره الفكري، وآخر مناقشات الوردي

فكر الوردي من خلال كتبه

دراسة في شخصية الفرد العراقي ١٩٥١

خوارق اللاشعور او اسرار الشخصية الناجحة ١٩٥٢

وعاظ السلاطين ١٩٥٤

مهزلة العقل البشري ١٩٥٥

اسطورة الادب الرفيع ١٩٥٧

الاحلام بين العقيدة والعلم ١٩٥٩

منطق ابن خلدون ١٩٦٢

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ١٩٦٥

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث في ستة اجزاء من العام ١٩٦٩ الى ١٩٧٩

تأثر بهم قبل التخصص

السيد هبة الدين الشهرستاني

الدكتور مصطفى جواد

السيد محسن الامين العاملي

الملك فيصل الاول

سلامة موسى

تأثر بهم فكرياً

ابن خلدون

وليام سمنر

توينبي

دايل كارينجي

تأثر بهم في الدراسات السياسية الاجتماعية

ستيوارت ميل

ميكافيللي

تأثر بمناهجهم البحثية

تالكوت بارسونز

اميل دوركايم

كارل مانهايم

نقد فكرهم

كارل ماركس

تأثروا به

السيخ مرتضى مطهري

الدكتور علي شريعتي

ناقشوه في مجلس الخاقاني

السيد عبدالرزاق الحسني

العلامة حسين علي محفوظ

العلامة الشيخ عيسى الخاقاني

الشيخ علي طهراني

عبدالله فاضل وزير الاوقاف الاسبق في العراق

بعض المصادر الاجنبية التي استندت على نظريات الوردي

فكر الوردي

ما ساورده في هذه المقدمة القصيرة لا يدل على الالمام التام بفكر الدكتور علي الوردي، ولكن هو محاولة لجمع بعض الافكار المركزية للوردي ان جاز التعبير، لكي يطلع القاريء على خلاصة مقتضبة من آراء الوردي من خلال كتبه، واكثر ما حفزني على اجراء هذه الخلاصة، هي ان احد الاصدقاء كتب عن الوردي كتاباً في حين انه لم يقرأ اياً من كتب الوردي، فربما قرأ كتابي من باب الصداقة فوجد هذه الملخصات واستفاد منها، وارجو ان يعذرني القاريء المتخصص ان لم تكن هذه الملخصات كافية ووافية، فقد حاولت ان اضع الفكرة دون الامثال التاريخية، والخلاصة دون تفاصيلها، ولأنها عبرت عن نفسها بعنوانها الملخصات، فلا يتوقع ان يرى كتب الوردي كاملة بين يديه.

كتب الوردي في التاريخ الاجتماعي للعراق كتابين مهمين هما دراسة في طبيعة المجتمع العراقي والثاني لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث في ستة اجزاء، بالاضافة الى الكراس الذي كان اول اصدارته في عام ١٩٥١ وهو دراسة في شخصية الفرد العراقي وكذلك كتب كتابين مثيرين للمجتمع هما: وعاظ السلاطين ومهزلة العقل البشري، وابدى وجهة نظره تجاه الادب والشعر والنثر واللغة في كتابه الخالد اسطورة الادب الرفيع الذي كان عبارة عن مناقشات جرت بينه وبين الدكتور عبدالرزاق محي الدين،

وكتب في الباراسايكولوجي والاحلام، وقد كان اول عربي يكتب فيهما من خلال كتابه خوارق اللاشعور والاحلام بين العقيدة والعلم، وكذلك سوف نرى ماذا اخذ علي الوردي من منطق ابن خلدون وما هي ملاحظات الوردي عليه، وذلك من خلال تلخيص مقتضب لكتاب الوردي منطق ابن خلدون.

شهدت يوما اسلوب متابعة الوردي الفكرية لأحد صانعي الحدث في تاريخ العراق المعاصر، وهو المرحوم الحاج عبود الجواهري (وهم بيت الجواهري في الكاظمية: ذرية الحاج محمد كاظم الجواهري نزيل الكاظمية عام ١٨٠٥ واسرة الحاج عبود الجواهري صانع السيوف العربية واسرة الصائغ عبد النبي الجواهري ورضا الجواهري من الاسر المعروفة في الكاظمية)، وكان الحاج عبود مشاركاً في الفتنة التي حدثت بين اهل النجف والكاظمية في كربلاء، وقد اسعد الوردي ان يرى شخصاً كان قد شارك في هذه الفتنة، واسعده اكثر ان المرحوم الحاج عبود الجواهري كان يتحدث عن هذا الحدث بعفوية تامة، وقد طلب منه الوردي ان يعيد ما قاله بعد ان اخذ ورقة وقلما وسجل كل التفاصيل، وطلب من الجميع عدم المقاطعة والتزام الصمت، ثم استفسر عما اشكل عليه في القصة، والغريب ان الوردي ولم يعترض على الرواية وتسلسل احداثها حتى لا يعطي لصاحبها مجالاً للتراجع عما قال، بل تركه يسترسل في روايته، وحين انتهى امطره بالاسئلة، التي اجاب عليها الحاج عبود الجواهري، ليتوضح الموقف امام الوردي.

وكما ان جمال حمدان كان اول مصري يضع شخصية الفرد المصري في اطار النقد والتحليل، فقد كان الوردي اسبق منه بسنين في دراسة شخصية الفرد العراقي، وان اختلفا في اسلوب الدراسة، حيث ركز جمال حمدان (١٩٢٨ _ ١٩٩٣، أحد أعلام الجغرافيا المصريين، له مؤلفات عديدة اشهرها: موسوعة شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان باربعة اجزاء)،

ركز فيه حمدان على الجوانب الايجابية من الشخصية المصرية واصفا اياه بعبقرية المكان، في حين اعتمد الوردي على الجوانب السلبية للشخصية العراقية دارساً سماتها وخصائها، مستنتجاً من خلال دراسة علمية منهجية بإن الشخصية العراقية مزدوجة المعايير والقيم، مؤشراً على امراض المجتمع من خلال الموروثات من عادات وتقاليد واثرها الاجتماعي مؤكدا بان المجتمع بحاجة الى علاج.

في هذا الفصل سوف نرى مكونات فكر الوردي من خلال الشخصيات والعلماء الذين تأثر بهم الوردي، من الشرق ومن الغرب، وخاصة مفكرين علم الاجتماع الكبار في العالم، والذين طبق الوردي نظرياتهم على المجتمع العراقي، وكان صادقا حينما نسب كل نظرية لصاحبها، وحين استخرج هو نظريته قال انها فرضية قابلة للنفي والابرام، وترك المجتمع الثقافي والمتخصصين في علم الاجتماع بصورة خاصة وقد اختلفوا فيما قاله الوردي بين من اعتبرها نظرية ومن اعتبرها فرضية وبين من اعتبرها انتقائية، وبين مكذب ومصدق.

لقد تأثر الوردي بالفكر الغربي في علم الاجتماع، فهو نهل الدراسة المنهجية من مدرسة الولايات المتحدة الامريكية وهي في ذروة توهجها العلمي تاريخياً، وقد رسم لنفسه منهجا اكاديمياً خاصا به ميزه عن اقرانه، وجعله قبلة لطلبة الاقسام والكليات والجامعات العراقية، وكذلك فان فرض مادة التاريخ الاجتماعي كمادة دراسية ضمن مواد جميع التخصصات في الجامعة، فتحت آفاقاً امام الوردي ليرسم لنفسه منهجها خاصا.

يستطيع الباحث ان يرى تأثيرات بعض المفكرين والفلاسفة الغربيين (باستثناء ابن خلدون، وهو شرقي) في آراء الوردي، وكذلك يدرك اي باحث في فكر الوردي انه قد اقتبس مناهج وآليات البحث وتحليل الظواهر ومصادر

دراسته العلمية من اساليب مناهج البحث الغربية، حيث تلقى علومه، وكذلك فقد نقد بعض المفكرين وعدّل من آراءه فيهم، وكذلك فقد استفاد كثيراً من آراء المفكرين الغربيين لدعم افكاره، وبالطبع لم يكن كل مصدر استند عليه الوردي، بمثابة فكرة استقاها او منهج اتبعه، فهو كاي باحث علمي آخر يدعم آراءه بمصادر علمية، ومن خلال هذا الطرح نستطيع تقسيم حركة الوردي العلمية على ثلاثة اتجاهات رئيسية:

الاتجاه الاول : المفكرين الذين تأثر بهم فكرياً

الاتجاه الثاني : المفكرين الذين تأثر بمناهجهم البحثية

الاتجاه الثالث : المفكرين الذين نقد فكرهم، او غير وبدل في اعتقاده بفكرهم

اما الذين تأثروا بالدكتور علي الوردي وخاصة في محيطنا الاسلامي اخترت منهم (مفكران) كان لهما الدور الاكبر في تحريك مجتمعهم (ايران) من الركود وهما الشيخ مرتضى مطهري والدكتور علي شريعتي، وسوف اورد بعض مناقشات الوردي مع بعض المفكرين والتي تمت بحضوري في مجلس الخاقاني او بمجلس خاص عقدته له معهم لظروف العراق السياسية آنذاك.

اهم ما يميز هذا الفصل هو دراسته العلمية التي سوف تفتح الآفاق امام كل من يريد دراسة فكر الوردي في مراحل الدراسات العليا او البحوث العلمية، حيث سيوفر لهم مصادر الدراسة وسوف يخفف عنهم عبء البحث الطويل، بالاضافة الى ما سيجده الدارس من عدم التحيز في اعطاء كل ذي حق من علماء الغرب حقه في تكوين فكر الوردي التاريخي والسياسي والاجتماعي.

شخصية الفرد العراقي ١٩٥١

بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث

ادعى الوردي وهو يكتب اول دراسة ويطبعها: بانها اشبه بالمقالة الادبية منها بالبحث العلمي، وقال عذري في ذلك: انها محاضرة كتبت لكي تقال في حفل عام، ولم يكن الغرض منها اول الامر ان تطبع او تنشر على القراء بهذا الشكل الحاضر، انها قد كتبت على فصول منظمة او حلقات متتابعة كل حلقة تؤدي الى ما يليها، على حسب ما يستوجبه التسلسل المنطقي، وربما تاه القاريء في طيات ما فيها من افكار شتى لا يجمعها نظام موحد.

وعلى اي حال، فان القاريء قد يستبين بعد انتهائه من قراءة المحاضرة بانها تنقسم الى قسمين رئيسيين، القسم الاول منها أريد به بحث الشخصية بوجه عام، اما القسم الثاني فقد اختص ببحث (شخصية الفرد العراقي)، ولسوف يجد القاريء ان القسم الاول منها مطول و قد لا يخلو من خروج عن الموضوع . ان هذا امر لا اعتذر عنه ولعلي قصدته قصدا وعزمت عليه، فقد رأيت اني غير قادر على دراسة الشخصية العراقية ما لم ادرس، قبل ذلك، الشخصية البشرية بشيء كثير من التفصيل، واضافة الى ذلك: فان موضوع الشخصية بوجه عام لم يبحث في اللغة العربية بحثا وافيا، فان اغلب من بحثوا او ترجموا عنه كانوا من المختصين بعلم النفس، ومعنى هذا ان الشخصية لم تبحث الا من ناحيتها الفردية حيث لم يعن بالناحية الاجتماعية فيها الا قليلا.

ليس من السهل علينا ان نحدد الشخصية او نعرفها تعريفا جامعا مانعا فهي كالكهرباء او الاثير او المغناطيس لا تعرف الا باثارها، ومن الصعب تحليل الشخصية الى عناصرها الاولية، فهي اذا حللت وفصلت عناصرها بعضها عن بعض فقدت ارتباطها العضوي وقيمتها الكلية، انا اذن كالمركب

الكيماوي يحتوي على صفات خاصة به تختلف عن صفات العناصر المكونه له كل الاختلاف، و على كل حال يمكن تعريف الشخصية بايجاز فيقال بانها: (مجموعة منظمة من الافكار والسجايا والميول والعادات التي يتميز بها شخص ما عن غيره).

ان الانسان يولد وقد ورث ميولا او اندفاعات بهيمية غير مهذبة، فتوضع هذه الاندفاعات العارمة تحت تاثير القيم الحضارية والقيود الاجتماعية حيث يبدا الطفل ساعيا في سبيل التوفيق بين ما يشتهي من حاجات انية وما يفرضه عله المجتمع من اصلاحات واعتبارات وقيم، انها صراع متواصل بين قوتين متعاكستين: قوة بهيمية لا تفهم قيدا ولا تدرك معنى و قوة اخرى اجتماعية تحاول ان تسيطر على تلك القوة الغاشمة وتسبكها في قوالب حضارية مقبولة، ان الشخصية كما يقول فرويد: نزاع بين ذاتين، بين الذات السفلى والذات العليا، فمن الناس من ينجح في المصالحة والتوفيق بين القوتين والمتنازعتين فيصبح اذن شخصا سويا ومنهم من يفشل فيصبح مجنونا او مجرما او منطويا على نفسه او مستهترا او معتديا حقودا.

لقد كان القدماء بالاضافة الى ذلك يعتقدون بان الانسان وهو مخير يصنعها فيما يعمل كل الخيار اي انه يستطيع ان يركب شخصية و يصنعها كما يشاء او ان يصبها بالقالب الذي يريد، فهو قادر على زعمهم ان يجمع في نفسه جميع الخصال الحسنه وينفي عنها جميع الخصال السيئة، كأن الشخصية قطعة من الشمع يكيفها الانسان حسب ما يريد، غير داري بان الشخصية تنشأ وتتنوع وتنضج حسب قواعد يصعب المحيد عنها، وانها تسير في الطريق المرسوم حسب تفاعل الطبيعة والمجتمع سواء اخطب الواعظون ام لم يخطبوا او نصح المفكرون ام لم ينصحوا.

درس الوردي الشخصية العراقية دراسة ميدانية وطبق عليها مفاهيمه

العلمية التي تثبت ان قيم البداوة والحضارة قيمتان متناقضتان، وقد تكونت هاتان القيمتان بحسب الجغرافية العراقية حيث يلتقي النهر الذي يستوعب النماء والخضرة والاستقرار، مع الصحراء التي تدعو الى الترحال والبيداء غير الآمنة والغزو، فظهرت الشخصية العراقية شخصية ازدواجية، فهي من ناحية تنادي بقيم الصحراء من غلبة وانتصار وفخر بالقبيلة والعشيرة والاصل والمحتد، ومن ناحية اخرى فهي تتوق الى التمدن والحضارة مع حب للاستقرار والمدنية، وكما عبر هو في تلخيصه لهذه الحالة بقوله: (الشخص العراقي يعشق مثل روميو ويتزوج مثل الملا عليوي)، ويؤكد الوردي على ان الحضارة التي بنيت في العراق بناها اهل المدن وهدمها اهل الصحراء بغاراتهم المتكررة.

لقد حاول كثير من الباحثين، عراقيين واجانب، ان يكتشفوا خصائص هذا المجتمع، وقد جاء كل منهم براي في هذا السبيل يخالف ما جاء به الاخرون، لقد حاولوا، كالاطباء ان يكتشفوا داء هذا المريض، ولكنهم، مع الاسف لم يكونوا متفقين على الطريقة التي يفحصون بها اعراض الداء، لقد كانوا ادباء او مؤرخين او سواحا او مستشرقين، ولكن قليلا منهم حاول ان يدرس الداء على ضوء علم النفس او علم الاجتماع او علم الحضارة، لقد كانوا كمثل من يحاول فحص مريض وهو لا يعرف من علم الطب شيئا.

يقول الوردي: ان هذه المحاضرة، رغم ما فيها نقص بارز في الناحية العلمية، هي محاولة مفردة في سبيل فحص المجتمع العراقي وكيف تنمو فيه شخصية الفرد على ضوء علم الاجتماع الحديث، ولقد كابدت في سبيل اعدادها آلاما لا يستهان بها، اذ لم اجد في طريقي الذي حاولت السير فيه علامة ترشدني وكاني بذلك اشق طريقا جديدا لم تطأه قدم من قبل، انها على كل حال، محاولة مبدأية بالقاريء ان يتشدد في نقدها وفي النظر اليها الشاك

المستريب، وربما كنت غير مغال اذا قلت بانها اول محاولة في هذا السبيل على هذه الشاكلة، ولست اعني بهذا انها محاولة قمينة بالقبول من الوجهة العلمية، فمشكلة الانسان انه لا يستطيع ان يصل الى الصواب راسا، ومن الممكن القول: بان الخطأ طريق الصواب.

والذي اقصده اذن من هذه المحاولة هو تحفيز غيري على دراسة هذا الموضوع الهام واثارة بعض مفكرينا لكي ينزلوا قليلا من أبراجهم العاجية فيتغلغلوا في المجتمع العراقي باحثين منقبين، حيث لا يستنكفون من ملامسة أدرانه ولا يستحقرون ما فيه من سفه أو تسفل.

خوارق اللاشعور او اسرار الشخصية الناجحة ١٩٥٢

كان الوردي اول عربي تحدث عن الباراسايكولوجي باعتباره علم له قواعده، وكان تناول هذا العلم من قبل شخص يدعي سيطرة العلم على الفكر وفي مجتمع يؤمن بالخرافة اشبه ما يكون بالسير على الحبل في سيرك مرعب وجمهور مترقب، فمن جهة انت داعية علم تجريبي حسي ملموس ومن جهة اخرى ان تنظر لعلم يعتد على جوهر الانسان وليس مظهره، وجوانية الانسان وقدراته فوق المحسوسة، فكيف استطاع الوردي ان يوفق بين الطرح والاعتقاد، والفكرة ونقيضها.

سلط الوردي الضوء على اللاشعور باعتباره العامل الاكبر في تكوين الشخصية الانسانية، وقد عبر عن ذلك بقضية جبل الجليد، حيث اشار ان جبل الجليد ترى منه العين المجردة نسبة عشرة بالمئة فقط فوق الماء اما التسعون بالمئة الاخرى فانها تحت الماء، وكذلك هو الشعور الانساني، الظاهر منه العشرة بالمئة الذي يتعامل مع العالم، ولكنه يستند الى التسعين بالمئة التي تغطس في اعماق البحر.

اعزى الدكتور علي الوردي اسباب النجاح والفشل الى المنطق المغروس في اللاشعور، قائلاً ان الانسان بطبيعته يبحث عن دراسة التجارب الناجحة ظناً منه انها ستقوده يوماً الى النجاح، في حين ان الانسان يجب ان يدرس تجاربه الفاشلة والتجارب الفاشلة الاخرى المقاربة له، ليجد لماذا فشلت هذه التجارب.

اعتبر الدكتور علي الوردي العقل البشري متحيزاً بطبيعته، وذلك بسبب العوامل اللاشعورية التي تقوده، وهي الايحاء الاجتماعي والمصلحة الخاصة والعاطفة، مركزا شروحاته حول هذه النقاط الثلاث، حيث لا يمكن للانسان ان يخالف ما ورثه من مجتمعه وانه سوف يتحيز له، ولذلك تجد ان هذا التحيز يكبر ويصغر حسب الوعي البشري، فمن يتحيز للانسانية الى الوطن الى القرية الى المحلة والحي او الى القبيلة والعشيرة والاصل، ثم هناك مصلحة الشخص الخاصة التي لا يمكن ان يعمل ضدها حتى وان كان هذا العمل يصب في صالح البشرية، فان طبيعة اللاشعور تقوده لتغليب المصلحة الخاصة على الصالح العام اذا ما تضاربا، وكذلك فان العاطفة في اغلب الاحيان هي من تقود الانسان من حيث لا يشعر، لذلك وجد القضاء حلاً لهذه المعضلة حيث منع اي قاض له علاقة بموضوع الدعوة البت فيها، لأن عاطفته من حيث اللاشعور ستذهب الى تأييد ذوي العلاقة على خصومهم.

يعتقد الوردي ان علاقة العقل الباطن بالعقل الظاهر علاقة تضاد، وقد خلع الوردي عن العقل كل تقديس، حيث عزى كثيراً من اسباب النجاح الى الاستلهام من اللاشعور والاصغاء الى وحيه الآتي من العقل الباطن الذي يقول فايزر: بانه منجم من الذهب وكومة من الاقذار، يرى الوردي كذلك ان العقل مقيد بالرغبات المعاشة والاجتماعية والجنسية، فهو يحددها بثلاثة قيود رئيسية نفسية واجتماعية وحضارية، وكلما تمسك الانسان بهذه القيود كلما شلت قدراته.

يرى الوردي ان الارادة وحدها لا تكفي لصنع النجاح، بل قد تكون الارادة عقبة في سبيل ذلك اذا كانت معاكسة للميول والمواهب الخاصة، فانت ما ان تومن بشئ فانك اعتقدت به، فاذا ما نجح شخص ما بما يملك من عبقرية في العقل الباطن اطلق الناس عليها الحظ.

وعاظ السلاطين ١٩٥٤

كتاب وعاظ السلاطين صنعه الوردي خصيصاً للوعاظ من رجال الدين متهماً اياهم بالوقوف إلى جانب الحكام وتجاهل مصالح الأمة على حساب مصالحهم الضيقة متخاذلين عن واجبهم الديني، مؤكداً على ان الاسلام يخالف هوى النفس والمصالح، وان بعض الوعاظ كما اسماهم يسيرون خلف الاهواء بعيدا عن روح الاسلام الاصيل، داعيا إلى نبذ الخلاف الطائفي بين السنة والشيعة معتبرا ان موضوع الخلاف في خلافة النبي بعد وفاته هو خلاف تاريخي تجاوزه الزمن، ويجب ان يخرج هذا الخلاف من مناقشة العامة من الناس الى المتخصصين الذين يستطيعون ابداء رأيهم والفصل فيه، خاصة وان التاريخ اعطى رأيه بوضوح في الاحداث وهي لا تحتاج الى ان ينبذ المتعصب تعصبه ويقرأ التاريخ بطريقة نقدية ليحكم على الحدث، اما استمرار النقاش بنفس الطريقة التي كانت تجري قبل الف سنة فانه يدل ان العقول قد تحجرت منذ الف سنة، ولكن الوردي ترك لقلمه العنان بعد اختلافات الخلافة الراشدة والصراع على الخلافة الاسلامية بعد وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

انتقد الوردي موقف قريش في الاحداث التي وقعت بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان وما رافق مقتله من صراع ما بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وخلاف قائم بين السنة والشيعة إلى يومنا هذا حول

هذا الأمر، ويؤكد الوردي على انه لم يكن الشيعة (روافض) في أول أمرهم وكذلك لم يكن السنة (نواصب) إنما هو التطرف أو ما اسماه بالتراكم الفكري الذي أدى بهما إلى هذه النتيجة المحزنة، وانتقد الدولة الأموية وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان، ووصفها بدولة العروبة التي تفشى فيها الظلم الاجتماعي والعنصرية، وانها اسست الواقع الذي لا مراء فيه حيث ان أمير المؤمنين لم يكن يختلف عن أمير الكافرين إلا من حيث المظاهر والطقوس والشعائر الشكلية، فتجد الخليفة يتهجد ويركع ويسجد ويكثر البكاء والعويل، وهذه كلها أمور ظاهرية لا تمس جوهر واقع الحياة بشيء، ولكن الجباة هم الجباة، والجلاوزة هم الجلاوزة، ولن تجد لطبيعة هؤلاء تبديلا، إن الخليفة كان يعبد الله وينهب عباد الله.

كان الوردي يركز تماما على ان الخطاب الوعظي، ويقول ان الدراسات اثبتت ان الوعظ يعطي عكس ما هو مطلوب منه، خاصة في مجتمع مصاب بمرض ازدواج الشخصية كالمجتمع العراقي، استشهد الوردي بمعركة كربلاء بين اهالي النجف واهالي الكاظمية، والتي حدثت اثناء زيارة ذكرى اربعينية استشهاد الامام الحسين عليه السلام، وما تسمى بزيارة الاربعين، اذا ان الجميع حضر الى كربلاء ليحيي روح الفداء والتضحية عند الامام الحسين، لكنهم تقاتلوا فيما بينهم، وقتل احد النجفيين، ولولا حكمة علماء النجف واعلان حرمة البقاء في كربلاء وسحب الوفود النجفية لحدث ما لا يحمد عقباه!

اختار الوردي بعض تناقضات المجتمع الاسلامي ليسلط الضوء عليها، مُتهماً الوعاظ بتركيزها في المجتمع، وهذه النقاط لا تخلو من جمالية، خاصة في طريقة الوردي ببسطها وهي: لقد صار الوعظ مهنة تدر على صاحبها الأموال، وتمنحه مركزاً اجتماعياً لا بأس به، وأخذ يحترف مهنة الوعظ كل من فشل في الحصول على مهنة أخرى، إنها مهنة سهلة على أي

حال، فهي لا تحتاج إلا إلى حفظ بعض الآيات والأحاديث، ثم ارتداء الألبسة الفضفاضة التي تملأ النظر وتخلبه، ويستحسن في الواعظ أن يكون ذا لحية كبيرة كثة وعمامة قوراء،! ثم يأخذ بعد ذلك بإعلان الويل والثبور على الناس، فيبكي ويستبكي، ويخرج الناس من عنده وهم واثقون بأن الله قد رضي عنهم وبنى لهم القصور الباذخة في جنة الفردوس، ويأتي المترفون والأغنياء والحكام فيغدقون على هذا الواعظ المؤمن ما يجعله مثلهم مترفاً سعيداً.

برع الفقهاء بما يسمونه بـالحيل الشرعية، فهم يستطيعون أن يجدوا مسوغاً شرعياً لكل عمل مهما كان دنيئاً، والسلطان الظالم لا يعمل عملاً إلا بعد أن يجمع الفقهاء ويعرض عليهم الأمر، وهم ينظرون حينذاك إلى السلطان، فإذا وجدوه مصمماً على ذلك العمل أسرعوا إلى ما في جعبتهم من الآيات والأحاديث المتناقضة فينفضونها أمامه ليختار منها ما يلائمه، والله غفور رحيم على كل حال.

الغريب أن نرى وعاظ السلاطين يستنزلون غضب الله وويلاته جميعاً على رأس ذلك الفقير الذي يغازل جارية من الجواري، بينما هم يباركون للغني ويهنئونه على تلك الجواري اللواتي اشتراهن بماله من السوق، كأن الفرق بين الحلال والحرام، في نظر هؤلاء، هو الفرق بين وجود المال وعدمه.

الواعظون لا يهتمون لو كان المغني يغني للخليفة فتهتز على صوته بطون الجواري، ولكنهم يهتمون كل الإهتمام إذا رأوا صعلوكاً يغني لنفسه أو لأهل قريته من الفقراء والمساكين.

الفقير إذا غمز لإمرأة في الطريق أقاموا الدنيا عليه وأقعدوها، أما إذا اشترى الغني مئات الجواري واشبعهن غمزاً ولمزاً كان ذلك عليه حلالاً طيباً.

وإذا خرج الطاغية عن تعاليم الدين قالوا عنه: إنه مجتهد، ومن أخطأ في إجتهاده فله حسنة، أما إذا جاء الفقير برأي جديد قالوا عنه: إنه زنديق، وأمروا بصلبه على جذوع النخل.

ويبدو لي أن هذا هو دأب الواعظين عندنا، فهم يتركون الطغاة والمترفين يفعلون ما يشاؤون، ويصبون جل اهتمامهم على الفقراء من الناس فيبحثون عن زلاتهم وينغصون عليهم عيشهم وينذرون بالويل والثبور في الدنيا والآخرة.

وسبب هذا التحيز في الوعظ، فيما أعتقده، راجع إلى أن الواعظين كانوا، ولا يزالون، يعيشون على فضلات موائد الأغنياء والطغاة، فكانت معائشهم متوقفة على رضاء أولياء الأمر، وتراهم لذلك يغضون الطرف عما يقوم به هؤلاء من التعسف والنهب والترف، ثم يدعون الله لهم فوق ذلك بطول العمر.

وختم الوردي نقده اللاذع لوعاظ السلاطين قائلا: من الممكن القول بأنه كلما كان الظلم الإجتماعي أشد، كان بناء المساجد وتشجيع الوعظ أكثر، فإذا بنى الظالم الغاصب مسجداً بنى الله له في الجنة قصراً فخماً، وإذا هو أغدق النعم على الوعاظ أعطاه الله الحور العِين والولدان المخلدين، ما يعوّض له عما فقده في هذه الدنيا من الجواري والغلمان.

سار الناس في هذا الطريق المزدوج، وهم لا يزالون يسيرون فيه حتى يومنا هذا. وربما جاز لنا أن نقول إن هذا الإزدواج يشتد في المراكز الدينية أكثر من غيرها، ففي المجتمع الذي يكثر فيه الواعظون والفقهاء يكون الناس فيه أولي وجهين، فهم في أعمالهم يشبهون سائر الناس، ولكنهم يمتازون في أنهم يتواعظون ويتفيقهون ويتصافعون بالويل والثبور أكثر من غيرهم.

واعتقد ان هذه الخاتمة هي اجود ما قاله الوردي في وعظه للوعاظ.

مهزلة العقل البشري ١٩٥٥

سبق الدكتور علي الوردي المفكرين العرب في مناقشة العقل العربي الجمعي ونقده، من خلال ما توارثه هذا العقل الجدلي على المنطق الارسطي وفلسفة الطروحات بدلاً من حلها بواسطة العلم الحديث الذي وفر بادواته واساليبه ومناهجه حلولاً لكل المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفلسفية، وهو يسير باتجاه التكامل العلمي والتوافق على الادوات المؤدية اليه.

أشار الوردي إلى أن كتاب مهزلة العقل البشري أُلف كرد فعل على ردود الأفعال التي ظهرت على كتابه وعّاظ السلاطين، ولكنه انكر على نفسه استطاعة ايصال افكاره الى من خالفوه او اعتادوا المنطق الارسطي في مناقشته بقوله انهم يكتبون بواد وانا اكتب بواد، لذلك سوف يكون الحكم على اختلافنا امر صعب في هذا الزمن، حيث يجب ان نتركه للتاريخ.

قال الوردي قلت لوعاظ السلاطين أن الانحراف الجنسي يزداد بين الناس كلما اشتدت عندهم عادة الفصل بين الجنسين، فلم يفهم إخواننا هذا القول، وسخروا به، وكان دليلهم في ذلك أن الانحراف موجود في جميع البلاد شرقية وغربية، وجاءوا بأمثلة تدل على وجود الانحراف الجنسي في المجتمعات التي لاحجاب فيها وذكروا أن معظم العواصم الأوربية نواد وجمعيات خاصة باللواط، ويعقب الدكتور الوردي على دليل الخصوم بقوله: (أن دليلهم هذا واه من أساسه .. لأنني لم اقل بان الانحراف الجنسي معدوم في البلاد التي لا حجاب فيها، إنما قلت بان نسبته تقل في تلك البلاد، وهذا أمر بحثه العلماء ووصلوا فيه إلى نتائج تكاد تكون قاطعة، أن الانحراف الجنسي لا يمكن التخلص منه في أي مجتمع مهما كان، يقول الأستاذ هافلوك المختص بالأبحاث الجنسية: أن هناك اثنين بالمئة من الناس مصابون

بالانحراف الجنسي طبيعة لا اكتسابا، وسبب ذلك يرجع إلى وجود نقص في تكوينهم البيولوجي فهم ميالون بطبعهم إلى الانحراف الجنسي من تلقاء أنفسهم حتى لو أحيطوا بالحسان الكواعب منذ صباهم الباكر.

ثم ينتقل الوردي الى مناقشة الفلسفة القديمة، فيقول: لا يجوز أن ننكر ما للفلسفة القديمة من فضل في تقدم الفكر البشري، ولكن اعترافنا هذا لا يمنعنا من التطور بأفكارنا حسب مقتضيات الزمان الجديد، ويعرف الدكتور الوردي التجديد على انه لا يعني التمشدق بالمصطلحات الحديثة، انه بالأحرى تغير عام في المقاييس الذهنية التي يجري عليها المرء في تفكيره.

ويرسم الوردي صورة العجز الفكري العربي في التعامل مع النصوص القرآنية مسبباً هذا القصور الفكري الى الاعتماد على الفلسفة القديمة والمنطق الارسطي، يقول: ومن يتمعن في النص القرآني يرى انه تعامل بمنطق النفعية مع الكثير من القضايا الفاعلة والحساسة، ومنها قضية الخمر (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما منافع للناس ولكن اثمهما اكبر)، وقضية العبادة (اتعبدون من دون الله ما لاينفعكم ولايضركم)، وهذا هو تحديدا مراد المنطق الحديث، ولكن يبدوا أن بدائية العقل العربي ألقت بظلالها على منطق النص القرآني، كما يمكن للمتتبع أن يشهد ملامح النسبية في النص القرآني من خلال قصة الصراع الفكري بين موسى الرسول والعبد الصالح، فالمعروف عن موسى انه نبي، ذو فكرٍ رسالي الهي معصوم، في حين جرد النص ألقراني العبد الصالح عمدا من الهوية والانتماء، ألا أن نتيجة الصراع بين الفكرين كانت للشخصية غير المعروفة، على اعتبار أن أطروحته كانت الأقدر على تقديم المنافع في حينها، وبدل أن يتعامل المسلمون مع هذين النصين وغيرهما من النصوص الكثيرة، بشكل كان يمكن أن يؤسس لبناء نظرية معرفة متطورة وفاعلة، ألا أن بدائية العقل العربي كانت حاضرة ولها

الغلبة حيث صرفت مثل هذه النصوص باتجاه الخرافة، وأوغلوا في بحر الفلسفة يمخرون عبابها متخذين المنطق الأرسطوي شراعا علّه يقود سفينة الفكر لديهم إلى شاطئان الحقيقة المطلقة، وما دروا أنهم أبحروا باتجاه الوهم والضياع، ويرى الوردي في ختام كتابه ان الظواهر الاجتماعية موجودة حتى لو غضضنا الطرف عنها وان التغيير في عقلية الشرقي قادم ولا يمكن ان تبقى الامور العقلية موروثة عن الاسلاف الى الابد.

واعتقد شخصيا ان طلب الوردي من الفكر العربي او الاسلامي في ذلك الوقت بان يتعامل بادوات لم تكن متاحة في زمانه، على اعتبار امكانية استخراج نص يؤسس نظرية معرفية متطورة وفاعلة، وهو العالم الذي يعلم بان الفكر الاسلامي خضع لأدارة سلطات الخلافة حتى نهاية العصر العباسي ثم تحول الى حكم الدويلات ثم دخل الى عصوره المظلمة، وما طلبه الوردي ومع عدم تطور المجتمع الفكري تبدو فكرة غير مقبولة.

اسطورة الادب الرفيع ١٩٥٧

كان كتاب اسطورة الادب الرفيع عبارة عن مقالات نشرها الوردي في الصحف ينتقد فيها التمسك بالاسلوب القديم من اللغة في ايصال الافكار الى الناس، فانبرى له اللغوي المعروف الدكتور عبدالرزاق محي الدين(الدكتور عبد الرزاق محي الدين ١٩١٠-١٩٨٣، ولد في أسرة علمية دينية نزحت إلى النجف من لبنان، كان وزير وحدة في حكومة عبدالسلام عارف، وله مجلس ادبي معروف في بغداد، مؤلف مكثر، من مؤلفاته: أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره. أدب المرتضى من سيرته وآثاره، من أجل الإنسان في العراق. خواطر وملاحظات حول التعليم العالي في العراق، أسطورة الأدب الرفيع بالمشاركة مع الدكتور على الوردي...)، قام الدكتور

عبدالرزاق محي الدين بالرد على الوردي بمقالات نشرها في الصحف ايضا، جمع الوردي مقالاته وردود الدكتور عبدالرزاق محي الدين عليها ووضعها في كتاب واحد اسماه اسطورة الادب الرفيع.

كان انتقاد الوردي ينصب على الخطاب الادبي حيث يعتبر ان هذا الخطاب لم يتطور مع الزمان لمخاطبة الانسان العادي، بل جعل ادواته صعبة مدعياً ان الادب يجب ان يكون للادب، مما جعله ادباً خاصاً بالمتخصصين، ولا ينجح الا من يقلد الادب القديم، يقول الوردي حتى انا في شبابي كنت احاول تقليد الزيات في اسلوب كتابته، وكان هو نفسه يحاول تقليد الجاحظ وابي حيان التوحيدي، ويؤكد الوردي بان اسلوب الجاحظ كان عظيما، ولكن هذا لا يعني اننا يجب ان نقلده في عصرنا هذا، فان الشيء الذي يعتبر صالح في زمان معين قد يفقد صلاحيته في زمن آخر.

فالكاتب الناجح من وجهة نظر الوردي هو الكاتب الذي يندمج معه القارئ أثناء القراءة، ولا يكاد القارئ يبدأ بقراءة السطر الأوَّل حتى يشعر أنـه مشدود لمتابعة القراءة، وإذا انتهى الكتاب بين يديه يشعر بالأسف ويتمنـَّى أنْ يكون الكتاب أطول، إنَّ الكتابة الحديثة فنٌّ صعبٌ جدا، لا يقدر عليها إلا مَن يملك المواهب اللازمة.

يرى الوردي ان البلاغة العربية قد حددت مفهوما للكتابة يتناسب مع كل زمان وهى(خير الكلام ما قلَّ ودلَّ)، وهذا هو ما سار عليه العرب فى صدر الإسلام، وهو يشبه ما يُسمَّى اليوم (الأسلوب التلغرافى)، حيث يحاول الكاتب أنْ يضع اللفظ على قدر المعنى، فلا يزيد أو ينقص فيه، وهو الأسلوب السائد في الحضارة الحديثة.

استنتج الوردي ان اللغة التى لا تناسب العصر سوف تلقن طلابها من الجيل الجديد نماذج من (الأسلوب البليغ)، فإذا ما تخرَّج الطالب أخذ ينحو

فى كتابته أسلوب الجاحظ والتوحيدي، وتراه عند ذاك يُحَلِّق فى عالم (النثر الفنى) كما يُحَلِّق الشعراء، وبذلك ينفصل عن مجتمعه بكل مشاكله وازماته وينسى واقعه الراهن، حيث دلالات الكلمات الطوبائية لا تتناسب مع واقع مشاكل المجتمع، ويهيم الشاعر والاديب فى كل واد يتحدث بلغة غير مستخدمة ومتكلفة، وهذه جميعها تنسيهم الواقع الرديء الذي يعيشونه.

الاحلام بين العقيدة والعلم ١٩٥٩

كتاب الاحلام يكاد ان يكون تكملة لكتاب خوارق اللاشعور وقد قسمه الوردي الى ما يمكن ان نطلق عليه ثلاثة فصول، تناول في الفصل الاول الاحلام من الناحية الاجتماعية والعقائدية، وقد ذكر آراء الفلاسفة في الاحلام مركزاً ان البشر البدائيين يؤمنون بالاحلام اكثر من غيرهم، معتبراً ارسطو اول فيلسوف يدرس الاحلام دراسة فلسفية بعيداً عن عالم الغيب وتدخل الالهة، معتبراً ان الاحلام تنشأ من مؤثرات حسية اثناء اليقظة ولكن الانسان لا يهتم بها، فاذا ما استسلم الى النوم ظهر له ذلك في الاحلام، وفطن ارسطو الى اثر الميول والعواطف والامزجة في تشكيل الاحلام، فالمحب يرى في المنام ما يناسب نزعات هواه والخائف يرى الاشياء التي تستوجب الخوف والعاشق والولهان يرى حبيبته وهكذا...، اما الرواقيون فقد اختلفوا مع ارسطو، اذ انهم يعتبرون الرؤيا الصادقة وحياً الهيا وقالوا ان النفس البشرية تكون فريسة للاهواء البشرية والضغوطات النفسية اثناء اليقظة، لكنها عند النوم تتحرر من الضغوط والشهوات وتصبح مهيأة على التنبوء واستشفاف الغيب.

وفي الفصل الثاني درس الاحلام من ناحية نفسية وباراسايكولوجية

مركزا على آراء علماء المسلمين في هذا المضمار، فقد ذكر ان المعتزلة انكروا كل صلة الهية بالاحلام ووصفوها بانها مجرد اضغاث واوهام ويستدلون على ذلك ان الادراك الصحيح لا يتأتى للانسان الا في اليقظة حين يكون العقل في عنفوانه ويقولون ان الادراك والنوم ضدان لا يجتمعان وليس من الممكن ان يدرك العقل حقائق الكون اثناء نومه، اما الصوفية فانهم يعتقدون ان النوم يقظة واليقظة نوم، ويقولون ان النفس البشرية مشغولة اثناء اليقظة بصور المحسوسات وهموم البدن اما في النوم فينجلي عن بصرها الغشاء وتحلق في سماء المعرفة طليقة لا يشغلها شاغل وبذلك نجد ان رأيهم في ذلك يشابه رأي الرواقيين.

ثم يجرد الوردي سيفه كالعادة في ذكر تأثير الاحلام في العقيدة الاسلامية، مركزا على ان الاحلام لعبت دوراً كبيرا في ترسيخ بعض الاعتقادات الباطلة في الاسلام، اذ كان من عادة اتباع المذاهب الاسلامية انهم اذا اردوا الترويج لإمامهم او التبشير بمذهبه ان نسبوا بعض الاحلام الى بعض الصالحين بانهم رأوا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الحلم او ما يسميه بعضهم بعالم الرؤيا، وانه عليه الصلاة والسلام اوصاهم بابلاغ سلامه الى الامام الفلاني او توصيل رسالة بان الفرقة الفلانية هي على الحق المبين.

وفي الفصل الثالث ناقش بعض النظريات الفلسفية الحديثة مثل نظرية هنري برجسون الذي قال ان الحواس لا تتعطل عن اداء وظيفتها عند النوم وكل اثر يقع عليها يؤدي بالنائم الى رؤية حلم مستمد منه، فيما يرى فرويد ان تحقق الرغبة قد لا يظهر في الحلم على شكل سافر مفضوح انما هو يظهر في كثير من الاحيان مقنعاً او رمزياً، وان الحلم لا يحقق جميع الرغبات التي يشعر بها الانسان، بل هو يحقق منها تلك التي كبتها الانسان اثناء يقظته ولم يستطع اشباعها لسبب من الاسباب.

وتسائل الوردي عن العلاقة بين الاحلام والعبقرية في فصله الاخير وهو خوارق الاحلام، وهل صحيح ان هناك عباقرة ومبدعون توصلوا الى اكتشافاتهم واختراعاتهم من خلال الاحلام، وقد اتى بامثلة من هؤلاء ومنهم الفيلسوف الالماني ديكارت والباحث الكندي فردريك غرانت وقصة اكتشافه للانسولين، وقد عزى الوردي ذلك الى ان المفكرين لا يكتفون بما تأتي به الاحلام من فائدة على سبيل المصادفة بل يعمدون الى شيء من التدبير قبل النوم يهيئون به اذهانهم نفسياً لأقتناص الفائدة المتوقعة من الاحلام.

منطق ابن خلدون ١٩٦٢

كتاب استله الدكتور علي الوردي من رسالته في الدكتوراه التي قدمها في جامعة تكساس ونال عليها درجة الامتياز، وقد قام هو شخصيا بترجمته الى اللغة العربية مع اختصارات لبعض مواضيعه وزيادات احوجتها اللغة او البيئة العربية من شروح، وقد خلع عنه رداء الاكاديمية الدقيقة ليجعله مقروءاً لجميع الناس، وكان قد قدمه الى مؤتمر ابن خلدون الذي عقد في تونس.

قسم الوردي الكتاب الى فصلين، حيث يتناول الفصل الاول منه دراسة المنطق الذي اتبعه ابن خلدون عند إنشاء نظريته وما واجهه من المتزمتين في عصره، وكان يجب عليه ان يقف امام تيار الفكر اليوناني القديم والمنطق الارسطي، ويرى الوردي انهم استطاعوا التأثير على فكر ابن خلدون حين وضع مقدمته، في الفصل الثاني نرى ان ابن خلدون قد تخلى عن مثاليات منطق ارسطو واتجهه بفكره نحو الواقعية الاجتماعية وان المجتمع او ما كان ابن خلدون يطلق عليه مصطلح العمران محكوم بمصالح وتجاذبات مختلفة تجعله في حراك مستمر لا يخضع للمنطق بقدر ما تحركه العصبيات وصراع الحضارة والبداوة وما بينهما من كر وفر وغيرها من العوامل الاقتصادية والسياسية.

ويثبت الوردي لصالح ابن خلدون انه تنبه مبكراً لفكرة ان العلماء والفقهاء لا يصلحون لأدارة الدولة، فهم مثاليون بشكل مبالغ فيه وبعيدون عن الواقعية التي يجب ان يتحلى بها الحاكم مراعاة للمصالح الآنية والوقائع المباشرة.

وكما هي عادة الوردي فقد استعرض الفلسفة اليونانية في عصر ابن خلدون ومدى تأثيرها على الفقهاء والعلماء وغيرهم في عصره، ثم ومن خلال هذه الخلفية البيئية والاجتماعية انتقل الوردي الى حياة ابن خلدون ملقيا الضوء على الظروف الجغرافية والاجتماعية والسلوكية التي عاشها.

درس الوردي ابن خلدون باعتباره عبقرياً قد اضاعته عبقريته، لأنه لم يستطع التوفيق بين العلم الذي يحمله وطلب الجاه والسلطة التي كانت تؤرقه، فعاش تناقضاً حاداً في حياته ادى ظهر هذا التناقض جلياً في مقدمته المعروفة، وانتقد الوردي ابن خلدون في طرحه عن قيام الدول على العصبيه ايضاً، فرد الوردي قائلا: بان هذا الزمن زمن الحضاره والتطور فالعصبيات ممكن ان تتفرق بسلاح متطور فيجب ان تقوم الدول على الحضاره بدلاً مما كانت عليه من قبل، ويعتبر الوردي ان ابن خلدون ابتدع علم العمران لدراسة التاريخ فقام بدراسة المجتمعات وطبائع البشر بطريقة لم يألفها مجتمعه ولا الطبقة المتعلمة التي تقوم بالوعظ وتنادي بالمثل العليا، وما زال النص للوردي، حيث طرح ابن خلدون فكرته عن ان المنطق القديم بات مستهلكاً ويجب تطويره.

حاول الوردي في خاتمة كتابه ان يربط بين الواقع العربي الحالي والواقع الذي كان يعيشه ابن خلدون، وهذه زيادات على رسالته العلمية، حيث يخبيء الوردي رسائله الملغومة لتطوير المجتمع فيها، مشددا على ضرورة الاهتمام بعلم الاجتماع الحديث لكي يستطيع النشأ والجيل الجديد ان يقرأ المجتمع بصورة اقرب الى الواقعية.

درس الوردي الشخصية العراقية دراسة ميدانية وطبق عليها مفاهيمه العلمية التي تثبت ان قيم البداوة والحضارة قيمتان متناقضتان، وقد تكونت هاتان القيمتان بحسب الجغرافية العراقية حيث يلتقي النهر الذي يستوعب النماء والخضرة والاستقرار، مع الصحراء التي تدعو الى الترحال والبيداء غير الآمنة والغزو، فظهرت الشخصية العراقية شخصية ازدواجية، فهي من ناحية تنادي بقيم الصحراء من غلبة وانتصار وفخر بالقبيلة والعشيرة والاصل والمحتد، ومن ناحية اخرى فهي تتوق الى التمدن والحضارة مع حب للاستقرار والمدنية، وكما عبر هو في تلخيصه لهذه الحالة بقوله: (الشخص العراقي يعشق مثل روميو ويتزوج مثل الملا عليوي)، ويؤكد الوردي على ان الحضارة التي بنيت في العراق بناها اهل المدن وهدمها اهل الصحراء بغاراتهم المتكررة.

كان الوردي قد نوه ان الشخصية العراقية لا يمكن ان تدرس ميدانياً، لأن المجتمع العراقي يختلف عن المجتمع الامريكي، فما زال الخوف قائما من الافندي الذي يحمل قلما ودفترا عند اوساط العامة، اذا رأوا افنديا قادما اليهم وبيده قلم ودفتر حسبوه قد جاءهم لجباية الضريبة او التجنيد او لسوقهم الى الحبوس، وهم قد اعتادوا ان يكذبوا في جوابهم له بشتى الطرق خشية ان يصيبهم مكروه

كان الدكتور الوردي اول من وضع دراسة الشخصية في اطارها العلمي في العالم العربي، من خلال دراسته المنهجية عن طبيعة نشأة وتركيب المجتمع العراقي الحديث والمعاصر تاريخيا، اي مرحلة ما بعد العهد العثماني وفيضانات دجلة وموجات أمراض الطاعون التي فتكت بأعداد هائلة من العراقيين (منهم عائلة الوردي نفسه التي كاد ان يقضي عليهم الطاعون)،

وقد أدت هذه الامراض إلى ان تهاجر أعداد غفيرة من اهل العراق إلى الولايات العثمانية الاخرى شرق نجد والخليج العربي أو إلى الشام القديمة، فيما تسمى الان بدول سوريا ولبنان والأردن وفلسطين أو إلى مصر وشمال افريقيا حيث ما زالت العوائل تحتفظ بالقابها العراقية كما في بيت (العراقي والبغدادي) في مصر والمغرب العربي.

اهتم الوردي في تحليل أصول المهاجرين من العراق او اليه، لنقل الحضارة منه او لأستيراد البداوة اليه وتميزت مؤلفات وأبحاث الوردي بالصبغة الانثرولوجية حيث ما أنفك يبحث في واقع مجتمع العراق والمجتمع البغدادي وعاداته وتقاليده منذ الخلافة العباسية الى يوم توفاه الله.

ويعتقد الوردي ان الذي جعل المجتمع العراقي يختلف عن باقي المجتمعات العربية المجاورة له، هو ان المجتمع العراقي له ميل غير طبيعي بالجدل، هذا الجدل الذي طبع التراث الفكري بطابع مثالي بعيداً عن الواقع الملموس، حتى لقب العراق ببلد الشقاق والنفاق، وهي من الصفات غير الاصيلة في المجتمع، بل جاءت لكثرة جدلهم مع الحجاج الذي اطلق عليهم هذا اللقب.

درس الوردي المجتمع العراقي من خلال الحوادث التاريخية وتأثير السلوك الجمعي في تكوين طبيعة المجتمع، ظهر الوردي باحثاً عن حدث اجتماعي لتسجيله، فربما توقف على قصص ليست ذات تأثير، وصنع منها منهجا يقيس عليه في دراسته، واللمحة هذه حسب اختياره وتأثيرها ايضا، فعلى سبيل المثال طرحه لقضية ظهور الشيخية والبابية في العراق، وبروز شخصية قرة العين بصفتها امرأة تكشف عن وجهها في ذلك الحين وتجلس لمناقشة الرجال في المسائل الدينية، جعلت الوردي يعلن اعجابه بها، وتوقعه انها لو كانت تعيش في قرننا لكانت قد حازت على جوائز وكانت من اشهر

السيدات المؤثرات في مجتمعهن، ولم يسبر غور الدين الجديد (البهائية) وملامح هذا الدين التي تكونت في منطقة قريبة من الكاظمية حيث يسكن الوردي وهي منطقة الكرخ، ومن ثم تأثيراته المستقبلية في ايران حيث نشأ، وفي العراق في حيث ترعرع في كنف الدولة العثمانية.

اخبرت الوردي يوما باني حصلت على صورة لقرة العين في كتاب صدر في اوائل ايام الثورة في ايران بعنوان(بهائيت به روايت تاريخ)، وهو طبعا باللغة الفارسية ويحكي قصة ظهور البهائية تاريخيا، فطلب الوردي مني ان يرى صورتها، وعندما نظر الى الصورة تغزل بها، وقال فعلت الافاعيل وفوقها حلوة، اي فوق كل ما فعلت وهي جميلة، لم يناقش الوردي كيفية ظهور البهائية وانتشارها من فارس الى العراق العثماني ثم تدخل الدولة القيصرية الروسية وحكومة التاج البريطاني في تثبيت هذا الدين والدفاع عنه، بل انفرد بقصة قرة العين في العراق، ثم تتبع حركتها حتى مقتلها في ايران بطريقة بشعة كما يقال.

يبحث الوردي عن العوامل المؤثرة في بناء الشخصية كما يراها، ثم يربطها بفكرته ليؤسس من خلالها خلفية داعمة لنظريته التي تبناها، وهي المؤثرات المتناقضة الخارجية والداخلية والتي يزعم الوردي انها تشكل الشخصية العراقية، وان اقر الوردي اخيراً بان التطورات الاجتماعية الخطيرة التي اصابت المجتمع العراقي بعد ثورة تموز يوليو ١٩٥٨ غيرت وبدلت كثيرا من وجهة نظره عن هذا المجتمع.

للحقيقة والتاريخ اقول، من حيث لم ينشر الوردي هذا الرأي في كتبه، الا انه صرح به في مجالسه الخاصة، وخاصة في ايامه الاخيرة، وهو: انه فقد الامل في المجتمع العراقي بعد ان تجاوزت سرعة الاحداث بعد ثورات ١٩٥٨ و١٩٦٣ و١٩٦٨ ومن ثم صعود نجم صدام حسين في عام ١٩٧٥

ودخول الحرب السنوات الثمانية مع ايران عام ١٩٨٠ ومن ثم دخول حرب الكويت عام ١٩٩٠-١٩٩١ ثم الحصار الدولي الذي اشتد قساوة ١٩٩٣ وظهور برجوازية الحكام البدو في بغداد (كما كان يسمي الوردي نظام الحكم آنذاك)، افقدته الامل في ان يرى مجتمعاً يمكن ان تقاس عليه اي نظرية علمية، ولم يخش الوردي من الجهر برأيه امام المجتمع وقيادته، كما نقل ذلك الاستاذ سلام الشماع عن ندوة امانة بغداد، حينما علم الوردي من امين بغداد ان محاضرته تسجل ليسمعها شخص صدام حسين، قال: لقد خربتم المجتمع اذا ما تعرفون تحكمون اتركوا الحكم لغيركم، كان الوردي يؤمن بانهيار منظومة المجتمع العراقي الخلقية في الحرب العراقية الايرانية، ثم بدا له بعد غزو الكويت ان العراق رجع الى حكم البداوة حيث الغزو والغارات والسلب والنهب، ولا اخفي القاريء الكريم انه توقع للعراق ما حدث!!

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث في ستة اجزاء من العام ١٩٦٩ الى ١٩٧٩

اعتبر الوردي كتاب اللمحات الاجتماعية كتاب عمره، وقد استمد العون من الله سبحانه وتعالى لأتمامه، حيث صرح في مقدمة الجزء الاول منه بالتالي: (ان هذا الكتاب قد يجوز ان اعده كتاب العمر بالنسبة لي فقد بذلت فيه من الجهد والوقت اكثر مما بذلت في اي كتاب آخر سابق له، وقد جعلته عدة اجزاء...حتى اصل الى الوقت الحاضر الذي نعيش فيه وهذا ما استمد العون عليه منه تعالى).

يقول الوردي عن كتاب اللمحات: عند دراستي للمجتمع العراقي وهو الموضوع الذي اولعت به زمنا غير قصير، ادركت انني لا استطيع ان افهم المجتمع في وضعه الراهن ما لم افهم الاحداث التي مرت به في عهوده

الماضية، فكل حدث من تلك الاحداث لا بد ان يكون له شيء من التاثير قليلا او كثيرا في سلوك الناس حاليا وفي تفكيرهم.

من الممكن تشبيه المجتمع في هذا الشأن بشخصية الانسان البالغ، اذ هي في حاضرها تتأثر بما حدث لها في ماضيها وهذا التأثير قد يكون لا شعوريا انما هو موجود على اي حال وهو قد يظهر بمظهر العقدة النفسية التي تدفع الانسان نحو بعض الاعمال السخيفة اذ هو يفعلها مرغما بتاثير حافز لا ارادي يسيطر عليه، واكاد اعتقد ان المجتمع لا يختلف عن الفرد في هذا، فكثيرا ما تخلق الاحداث الماضية في المجتمع عقدة كالعقدة النفسية حيث ترى الناس يندفعون ببعض العادات والافكار الموروثة اندفاعا لا شعوريا، وقد يؤدي ذلك بهم الى المهالك بينما هم يحسبون انهم يحسنون صنعا وسوف نرى في هذا الكتاب نماذج واقعية من هذا الطراز.

يقول الوردي في مقدمة اللمحات: اقتصرت في هذا الكتاب على دراسة الاحداث التاريخية منذ بداية العهد العثماني، وكنت اود ان ادرس ما قبل ذلك لان عهود التاريخ في الواقع مترابطة ومتشابكة، وان كل عهد منها يصعب فهمه بغير الرجوع الى دراسة ما قبله، ولكني وجدت ان ذلك يشبه ان يكون مستحيلا من الناحية العملية اذ هو يضطرنا الى استقراء الاحداث الماضية خطوة وراء خطوة حتى نصل بها الى ابينا آدم..

قد يصح القول ان دراسة العهد العثماني هي اشد الدراسات علاقة بواقع مجتمعنا الراهن، فنحن لا نزال نعيش في تراثه الاجتماعي ولا يزال الكثيرون منا يفكرون على نمط ما كان يفكرون عليه في ذلك العهد، وقد ادركت في صباي اناسا يحنون اليه ويترنمون بامجاده ويتمنون ان يعود اليهم.

وفي ثنائية الاجتماع والتاريخ التي يعتمده الوردي في دراسته يصرح بانه كان قد حاول: في كتابي السابق دراسة ما كان عليه العراق في العهد العثماني

من وضع اجتماعي عام، وسأحاول الان دراسة الاحداث التاريخية التي وقعت في ذلك العهد، ولا حاجة بي الى القول ان هذين الامرين مترابطان ترابطا وثيقا يصعب الفصل بينهما ولهذا سوف يجد القاريء في الكتاب الحالي كثيرا من التحليل كمثل ما وجد في الكتاب السابق كثيرا من السرد التاريخي، ان هذا الكتاب على اي حال يشبه ان يكون كتاب تاريخ بيد انه يختلف عن كتب التاريخ المعتادة بكونه لا يهتم بالاحداث الماضية لذاتها على منوال ما يفعل المؤرحون بل هو يهتم في الدرجة الاولى بما تنطوي عليه الاحداث من دلالة فكرية واجتماعية، اما الاستقراء التاريخي فيأتي في اهميته بالدرجة الثانية.

اني لست مؤرخا انما اعتمد فيما اكتبه على المؤرخين، وقد عانيت في ذلك صعوبة غير قليلة اذ ان تاريخ العراق في العهد العثماني لا يزال يكتنفه الغموض من بعض نواحيه، ولابد للباحث من التحري في الكثير من المراجع لكي يعثر على حادثة لها دلالتها الاجتماعية او الفكرية، وهناك صعوبة اخرى تواجهنا في هذا الشأن هو ان تاريخ العراق متشابك مع تواريخ البلاد المجاورة وهذا يقتضي البحث في تلك التواريخ علاوة على بحث التاريخ الخاص بالعراق، سيجد القاريء اني اطنبت احيانا في سرد الاحداث التي وقعت في ايران وتركيا، ثم في نجد ومصر وبلاد الشام، وهذا امر احسبه ضروريا لفهم احداث العراق، وقد يصح القول ان كثيرا من احداث العراق لم يكن سوى صدى لما حدث في الاقطار المجاورة.

اما ما يعانيه الوردي في كتابه هذا فهو مشكلة الموضوعية، حيث يقول: اشير الى مشكلة طالما عانيت منها في كتبي السابقة وهي مشكلة الموضوعية والحياد في الدراسة، فسوف نأتي في بعض فصول هذا الكتاب على امور تعتبر حساسة جدا في نظر الكثيرين في العراق، وقد اعتاد هؤلاء ان ينظروا

في احداث التاريخ كمثل ما ينظرون نحو هرم (له عدة اوجه) فكل فريق منهم يركز نظره على وجه واحد منه بينما هو يهمل الاوجه الاخرى.

صدر كتاب (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث بستة مجلدات في ثمانية كتب، حيث صدر الجزء الخامس بقسمين الاول والثاني في كتاب منفرد، وصدر الجزء السادس بملحق في كتاب منفرد ايضا، وبهذا نستطيع ان نقول انها بثمانية اجزاء او بستة اجزاء وملحقين)

الجزء الاول اهتم من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، وقد اهتم فيه باحداث ايران لما كان لها من علاقة وثيقة باحداث العراق.

الجزء الثاني من سنة ١٨٣١ الى ١٨٧٢

نصف قرن من بداية ولاية علي رضا باشا عام ١٨٣١ الى نهاية ولاية مدحت باشا عام ١٨٧٢

وقد اهتم الجزء الثاني باحداث مصر والشام اذ ان المجتمع العراقي اخذ منذ القرن التاسع عشر يتحول في اتجاهاته الاجتماعية والفكرية من الشرق الى الغرب او بعبارة اخرى من الوعي الطائفي الى الوعي القومي.

وقد جاءته رياح التمدن من جهة الغرب عن طريق مصر والشام ووقع العراق تحت تأثيرها شيئا فشيئا، ومعنى هذا ان العراق بدأ يشهد ظاهرة اجتماعية جديدة لا عهد له بها من قبل، فبعد ان كان الصراع الطائفي هو الذي يشغل الاذهان فيه ظهرت بوادر صراع من نوع جديد، هو الصراع بين القديم والجديد.

الجزء الثالث من ١٨٧٦ الى ١٩١٤

ان هذا الجزء يستوعب فترة امدها ثمانية وثلاثون عاما تبدأ من عام ١٨٧٦ حين تسنم السلطان عبدالحميد عرش آل عثمان وتنتهي ١٩١٤ حين اعلنت الحرب العالمية الاولى، وهي فترة مهمة جدا من الناحية الاجتماعية حيث تعرض العراق فيها لتيار من الافكار والمخترعات والنظم الاوربية الحديثة مما ادى الى حدوث تغيير ملحوظ في حياة السكان المعنوية والمادية، ان السنوات القليلة التي سبقت تلك الفترة شهدت بداية دخول بعض المخترعات الى العراق كالبواخر النهرية ومحطة التغلراف ومراكز البريد، وهذه كانت بمثابة رفع الحواجز التي كانت تحجب المجتمع العراقي عن تيار الحضارة الحديثة واخراجه من العزلة الاجتماعية التي كان يعيش فيها.

يقول الوردي: في عام ١٨٦٩ حدث امران كان لهما كل الاثر في هذا الاتجاه: اولهما مجيء مدحت باشا واليا الى العراق والمعروف عن هذا الوالي انه ادخل الكثير من معالم الحضارة الحديثة الى العراق، كالمدرسة والمستشفى والمطبعة والجريدة والمصنع وسكة الترام والحديقة العامة والشارع المبلط وغيرها والامر الثاني هو فتح قناة السويس، والواقع ان هذه القناة كان لها تأثير عظيم من الناحية الاقتصادية والفكرية.

الجزء الرابع من عام١٩١٤ الى عام ١٩١٨

لقد هزت الحرب العالمية الاولى العراق هزا عنيفا وكانت ايذانا ببدء مرحلة انتقالية اجتماعية كبرى، يقول الوردي اننا لا نزال نعيش فيها وسنظل نعيش فيها فترة لا نعرف مداها!، خصص الفصلين الاول والثاني من هذا الجزء لدراسة بعض ما جرى من احداث هامة في تركيا والشام والحجاز لما لها من علاقة مباشرة وغير مباشرة باحداث العراق، وقد خصص الفصل الثالث عن احوال العراق اثناء الحرب نظرة عامة، والفصل الرابع عن بواكير الحرب في البصرة، وذلك عندما اعلنت تركيا حالة النفير العام في ٢ آب

١٩١٤ بدأت الاخبار تتسرب الى القناصل البريطانيين في البصرة وبوشهر والمحمرة بان الاتراك مزمعون على دخول الحرب الى جانب المانيا قريبا وانهم يعدون العدة لذلك.

في ٢٩ ايلول وصل الى شط العرب مركب حربي انكليزي اسمه (اسبيكل) فالقى مراسيه تجاه قصر الشيخ خزعل في المحمرة قريبا من مصب نهر كارون، فاعترض قائد حامية البصرة صبحي بك على ذلك وكانت حجته ان المركب يرسو في المياه الاقليمية العثمانية، في يوم ٧ تشرين الاول ذهب ضابط تركي الى المركب وهو يحمل اليه خطابا ينتهي بالعبارة التالية (يرجى مغادرة شط العرب في غضون اربع وعشرين ساعة) فاجابه قائد المركب بانه لا يستطيع مغادرة الشط الا باذن من وزارة الحربية البريطانية، وكانت تلك بداية الحرب.

الجزء الخامس حول ثورة العشرين القسم الاول والثاني

يقول الوردي في مقدمة الجزء الخامس: لا اكتم القاريء اني ترددت طويلا في اصدار هذا الجزء لأني اعلم ان هذا المنهج سوف يثير امتعاض الكثيرين من القراء الذين اعتادوا منهج التمجيد والحماس فليس من الهين عليهم ان يروا منهجا اخر يتبع في دراسة ثورة العشرين، وربما اتهموني بخيانة الوطن او التحييز للاستعمار وهي تهمة فظيعة كما لا يخفى، ولا انكر ان ثورة العشرين تستحق التمجيد وتستحق ان يفتخر بها العراقيون ويطنبوا في الثناء عليها والتغني بمحاسنها، ولكني مع ذلك اعتقد ان ليس من المصلحة الوطنية ان نظل نواصل التمجيد للثورة دون ان نقف قليلا لنستخلص ما فيها من عبر اجتماعية.

الجزء السادس من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٤

يعتبرها الوردي فترة مهمة وهي فترة تأسيس الحكومة العراقية، وقد اعتمد الوردي في دراسة هذه الفترة على عدة مصادر نشرها، فبالاضافة الى اعتماده على بحوث المؤرخين فقد كانت له مصادر اخرى هي:

١ الوثائق البريطانية.

٢ رسائل المس بيل التي تتولى منصب السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي البريطاني.

٣ الرسائل الجامعية وهي اطروحات طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد.

٤ مذكرات الساسة العراقيين.

٥ احاديث المسنين الذين عاصروا تلك الفترة.

٧ الجرائد المحلية القديمة.

٨ الوثائق العراقية التي أُسست عام ١٩٦٣ باسم دائرة الوثائق العامة (المركز الوطني للوثائق) وهي تضم نحو نصف مليون اضبارة جمعت من مختلف الدوائر واهمها اضابير البلاط الملكي.

واخيراً وليس آخرا، ملحق الجزء السادس قصة الاشراف وابن سعود.

هذا الملحق يصلح ان يكون ملحقا لجميع اجزاء الكتاب السابقة واللاحقة معا، انه بحث في احداث وقعت في الحجاز ونجد وسوريا وكلها ذات صلة وثيقة بالمجتمع العراقي واحداثه ابتداء من الصراع الصفوي العثماني حتى ثورة الرابع عشر من تموز، يقول الوردي: وقد يصح ان اقول ان تلك الاحداث تلقي ضوءا غير قليل على احداث العراق وتساعد على

فهمها كما انها تساعد القاريء على فهم بعض خفايا الطبيعة البشرية وعقدها ومشاكلها بوجه عام.

اما لماذا قلت ليس آخرا والكلام لي وليس للوردي، ذلك لأن الوردي اتمم كما اعرف منه شخصياً لمحاته الاجتماعية، وكان منشغلاً بها، وطلب مني بعض المصادر واتيت له بها من خارج العراق، لكنه لسوء الحظ لم تظهر للعيان الى يومنا هذا.

ارجو العلي القدير ان يمكن للذين حصلوا على تكملة اللمحات ان يخرجوها الى النور، وان كان فيها ما يرونه غير مناسب، فليس هناك من ضير، فالوردي ليس معصوماً وما كتبه رأيه العلمي الذي تكون ونضج بعد ثمانين عاما من الجهد والعمل، لذلك سوف يكون رأيه مهماً، واعتقد ان ما سوف ينشر ان شاء الله سوف يكون رأي الدكتور علي الوردي الشخصي كما يراه هو، وهذا الرأي غير ملزم لغيره من عائلته واهله.

تأثر بهم قبل التخصص

لم يكن علم الدكتور علي الوردي علماً لدنياً حباه الله لعبده الذي اطاعه، بل كان علما مستفاداً ومستقياً من مصادر العلوم المتعددة، وان الوردي كان قد تمرد في اواخر الثلاثينات على علم الاجتماع الذي سوف يتخصص به بعد ذلك، ومن ثم يكون من اكبر علماءه، حيث لم يوافق على تدريسه في المدارس باعتبار انه ليس مادة تخصصه الدقيق، وكانت مادته الاختصاص هي الاقتصاد.

لقد حبى الله الوردي ذهنية وقادة متدربة منذ الطفولة على ايجاد البدائل والبحث عن التغيير وقد زاده العمل بالاضافة الى ما يملك من خزين موهبة الالتقاط الفكري والمقارنة المجتمعية والبيئة بسبب دراسته المتعمقة للتاريخ

والمجتمع، بان يصبح العالِم الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، وكان الوردي من معارضي الخرافات وتعظيم الاشخاص، بل يضع اللاشعور والبيئة والصدفة والدراسة من مكونات الشخص العلمية، وهو يعترف بمن اثروا فيه وتأثر بهم، حتى ان اذا ما جوبه بمناقشة حادة من احدهم قال بحدة جملته المشهورة: (يا عمي العلم يقول، انا شعليه)، اي هذا رأي علمي انقله لك، وانا غير مسؤول عنه.

مصطفى جواد

تأثر الوردي اول ما تأثر بالتاريخ ثم بالمجتمع، اما من البشر فقد تأثر بالعلامة والمؤرخ اللغوي الدكتور مصطفى جواد (مصطفى جواد ١٩٠٤-١٩٦٩ لغوي ومؤرخ موسوعي، ولد في بغداد، حاز على الدكتوراه من جامعة السوربون ١٩٤٩، اصبح عضواً في عدة مجامع علمية عربية ونائباً لرئيس المجمع العلمي العراقي)، جواد وجد في الوردي المادة الخام لأستيعاب العلوم الحديثة، وطالما ان مصطفى جواد كان مؤرخاً لغويا موسوعياً فقد بهر الوردي بتنوع معلوماته ومتابعاته، فشده اليه، وكان يرافقه في كل المجالس التي حضرها، فاتسعت آراء الوردي من خلال توجيهات الدكتور مصطفى جواد الثقافية.

السيد هبة الدين الشهرستاني

في المجالس تعرف على مجلس الفقيه المصلح هبة الدين الشهرستاني (هبة الدين الشهرستاني١٨٨٤-١٩٦٧مجتهد وفقيه شيعي ولد في سامراء، رائد حركة الاصلاح والتحريض ضد الجمود الديني، له مواقف مؤيدة للثورتين الدستوريتين الايرانية والعثمانية، شارك في معركة الشعيبة وثورة

العشرين ضد الاحتلال البريطاني، وتسنم وزارة المعارف في الحكم الوطني)، وفي مجلس الفقيه الشهرستاني تعرف الوردي على الاصلاح الديني والطروحات الاصلاحية التي كان ينادي به الشهرستاني او يدعو اليها، وقد استخرج الدكتور علاء حسين الرهيمي في بحثه عن السيد هبة الدين الشهرستاني وجهوده الفكرية، (العالم هبة الدين في الذاكرة)، رسالة كتبها الوردي عام ١٩٤٣ للسيد الشهرستاني ونصها هو: (اذا كانت اياديك سيدي في سبيل هذا الدين وفي سبيل المجتمع كثيرة ومتنوعة، فأن يدك في محاربة العادات البالية لجلى والتاريخ سيذكر، بلا ريب وعساني أكون من شهوده)، حدثني الوردي يوما انه من خلال هذا المجلس تعرف على كتابات السيد جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده وافكار السيد محسن الامين العاملي.

السيد محسن الامين العاملي

يعتبر السيد محسن الامين العاملي (محسن أمين العاملي١٨٦٥-١٩٢٥، ولد في لبنان سافر في شبابه الى النجف لطلب العلم حتى تميز على اقرانه، غادرها الى دمشق وهناك لقب بالمجتهد الاكبر، عرف بثورته الاصلاحية توفي ودفن في دمشق)، السيد الامين كان ثالث من تأثر به الوردي في مقتبل شبابه، ويبدو ان التمرد الذي يحمله الوردي في عقله الباطن منذ طفولته قد لاقى قبولا لأراء السيد محسن الامين العاملي، حيث دعى الى اخراج الدين من القشور والعادات والتقاليد البالية ليستطيع مواكبة العصر، وهو ما استمر الوردي يستند عليه كمصدر مهم من مصادر دراسته بعد ذلك.

الملك فيصل الاول

الملك فيصل الاول ابن الحسين وهو (فيصل بن الشريف حسين بن الشريف علي الهاشمي١٨٨٣-١٩٣٣، ولد في مدينة الطائف، كان الابن الثالث لشريف مكة حسين الهاشمي، كان فيصل الاول ملكاً على سوريا لفترة قصيرة من ١٩١٨ الى ١٩٢١ ثم اصبح ملكاً على العراق من ١٩٢١ إلى ١٩٣٣)، وقد اخبرني الوردي بانه تأثر بشخصية الملك فيصل الاول الكاريزمية، وكذلك طريقة ادارته للبلاد، فقد عركته السياسة مع والده في مكة ومن ثم في الثورة العربية، وخاصة فترة بقاءه في الآستانة حيث تعلم اللغات التركية والانكليزية والفرنسية وتربى على ايدي امهر الاساتذة، لينتقل الى الحجاز وسوريا، وقد لاقى هناك من الفشل والانتكاسات اكثر مما لقاه من النجاح والتوفيق، وخاصة بعد خسارته لمعركة ميسلون.

يقول الوردي ان فيصل الاول اتى بكل هذه الخبرات الحياتية السياسية مع كبار مستشاريه من امثال نوري سعيد ورستم حيدر والدكتور أحمد قدري، وفائز الغصين وتوماس إدوارد لورنس، ليكّون حكومة ناجحة في العراق استطاع من خلالها تأسيس البنية التحتية للمملكة العراقية، ويمارس السياسة مع الشعب العراقي الذي كان ينتظر من الملك كثيرا، خاصة والعراق قد خرج لتوه من الاستعمار الانكليزي بثورة دموية دامت لأكثر من اربع سنوات وكللت بالنجاح في تأسيس الحكم الوطني، وقد تعامل فيصل الاول مع ثنائية البريطانيين والعراقيين باسلوب (خذ وطالب) وذلك من اجل اخذ حقوق العراقيين من بريطانيا، وعدم اغضاب بريطانيا من العراق، وهي التي انحسر احتلالها الى مجموعة مستشارين يحاولون ادارة اللبلاد، حتى لا يتأزم الوضع، الى ان عقد في عام ١٩٣٠ معاهدة مع بريطانيا، سميت بمعاهدة ١٩٣٠ أقرت بموجبها بريطانيا استقلال العراق عن التاج البريطاني وإنهاء حالة

الانتداب، كان خلالها الملك فيصل الاول قد ادار العملية السياسية في الداخل والخارج بنجاح باهر، وقد اتهمت صحف المعارضة العراقية بريطانيا بقتله مسببة الوفاة الى الممرضة البريطانية التي كانت ترافقه في رحلة علاجه إلى بيرن في سويسرا بحقنه بالسم او انها وضعت له السم في الشاي، في حين ان تقرير الوفاة ذكر ان السبب هو تصلب الشرايين، الى ان الوردي وان لم يستبعد القتل، لكنه لم يكن يعتقد انه قتل، بل لقد حصل على خبر حصري من احد افراد الوفد الذي يرافق الملك بانه توفي لبذله جهداً (..) لا يتناسب مع عمره!

سلامه موسى

نستطيع اعتبار سلامه موسى (سلامة موسى ١٨٨٨-١٩٥٨، مفكر واديب مصري، ولد في القاهرة، اكمل دراسته في لندن وباريس، من مؤلفاته اليوم والغد والادب والحياة)، من الشخصيات التي اثرت في الوردي من حيث اسلوب الكتابة السهل الممتنع البعيد عن التنميق، وان كان معاصرا له، فقد امتدح سلامة موسى فكر الوردي واسلوبه في الكتابة، وقد اشاد الوردي بسلامة موسى في كتابه اسطورة الادب الرفيع، يقول الوردي ان سلامة موسى ادرك دور المجتمع في الثقافة، وكان يتمنى ان يرى مجتمعاً راقياً يؤمن بحرية الثقافة ويسن القوانين ويضع الأنظمة التي تساعد على رواج الكتب والمجلات بل والجرائد أيضاً، ويتفق الوردي مع سلامة موسى بان الثقافة في المدارس والجامعات أسلوبية تسير على قواعد وكثيراً ما تجمد الذهن، ولكن الشاب الذي يربي نفسه في المجتمع يتجه اتجاهاً ابتكارياً في ثقافته، وهو لهذا السبب أكثر حرية في تفكيره من طالب الجامعة ثم أن القواعد الببغاوية في استظهار البرنامج المدرسي وأحياناً الجامعي تمنع الطالب من التوسع في

الموضوع الذي يدرس أو الاستطراد من خلاله لدراسات أخرى يستمتع بها الطالب الحر الذي لا يتقيد بامتحان.

تأثر بهم في الدراسات الاجتماعية

تميز الدكتور علي الوردي عن اغلب الباحثين بذكر مصادره والتعويل على افكارهم في بعض الاحيان، لذلك يستطيع الدارس اذا ما اراد ان يعرف مصادر دراسة الوردي ان يعود الى كتب الوردي نفسها، حيث يعطي لكل ذي حق حقه، وينسب النظرية لصاحبها، اما اذا اراد ان يظهر رأياً لنفسه فانه يقول هذه فرضية انا افترضها، وكم اتمنى لو ان الباحثين في علم الاجتماع فككوا نظريات العلماء والفلاسفة الذين اعتمدهم الوردي عن فرضياته التي افترضها في كتبه، واعتقد اعتقاداً يقارب الجزم، بانهم سوف يرون ان كثير من هذه الفرضيات يمكن ان تكون نظريات علمية في المجتمع والتاريخ والطبيعة البشرية.

لقد تأثر الوردي بالفكر الغربي في علم الاجتماع، فهو نهل الدراسة المنهجية من مدرسة الولايات المتحدة الامريكية وهي في ذروتها العلمية تاريخياً، وقد رسم لنفسه منهجا اكاديمياً خاصا به ميزه عن اقرانه، وجعله قبلة لطلبة الاقسام والكليات والجامعات العراقية، وكذلك فان توحيد مادة التاريخ الاجتماعي كمادة مفروضة ضمن مواد جميع التخصصات فتحت افاقاً امام الوردي ليؤكد على منهجه الخاص.

يستطيع الباحث ان يرى تأثيرات بعض المفكرين والفلاسفة الغربيين (باستثناء ابن خلدون، هو شرقى) فى آراء الوردي، وكذلك يدرك اي باحث فى فكر الوردي انه قد اقتبس مناهج وآليات البحث وتحليل الظواهر ومصادر دراسته العلمية من اساليب مناهج البحث الغربية، حيث تلقى علومه،

وكذلك فقد نقد بعض المفكرين وعدّل من آراءه فيهم، وبالطبع لم يكن كل مصدر استند عليه الوردي، بمثابة فكرة استقاها او منهج اتبعه، فهو كاي باحث علمي آخر يدعم آراءه بمصادر علمية، وقد بدا لي واتمنى ان اكون مخطئاً ان بعض الباحثين وضمن دراستهم لفكر الوردي، اعتبروا المصادر التي اعتمدها الوردي دعما لأفكاره او انه استند عليها في بحثه، اعتبروها مصادر لمناهج بحث اعتمدها الوردي لنفسه وسار على نهجها.

ان الوردي استقى بعض المناهج من مفكري الغرب، ولكن ليس كل مفكر غربي صاحب منهج خاص، وكذلك ليس بالضرورة ان يعتمد الوردي كل المناهج مصدرا لدراسته، وبذلك يكون قد سار على منهجهم جميعا، ولا يمكن القبول باي صورة من الصور مع طروحات بعض (الباحثين في فكر الوردي)، على ان هناك بعض المناهج الغربية التي طرحها الوردي في دراساته المتنوعة، تجبره على اتباعها لمجرد انه جعلها ضمن مصادره، فربما كانت تلك المناهج متناقضة ومتخالفة مع بعضها، ولا تتطابق مع مناهج البحث العلمية، وربما تتضارب فيما بينها، فمثلا المنهج الاستقرائي يستخلص القوانين العامة من المشاهدات التفصيلية وهو يناقض المنهج القياسي الذي يستنتج المعارف من تحليل المصطلحات والاحكام فهو على العكس يدلل من العام على الخاص، وكذلك مناهج بعض الفلاسفة تختلف في طرحها اختلافاً كليا كما بين منهج ديكارت البحثي في الشك المؤدي الى اليقين وما توصل اليه، ومنهج كانت البحثي الذي الغى الشك الفكري في ما وراء الطبيعة، واعتمد على المحسوسات، وما توصل اليه في اتجاه معاكس لمنهج لديكارت، وقد اعتمد الوردي كانت وديكارت من مصادر بحوثه، فهل هذا يعني انه استقى منهجه منهما، او انه حين كتب عن الماركسية، كان قد اتبع المنهج المادي في الكتابة، وكذلك هو كتب في المذهب العقلي الهيغلي، ومن ثم كتب في مذهب شوبنهور الذي يعارضه، وهذا الامر لا

يجوز اطلاقاً، فهناك فرق شاسع بين المصدر في الدراسة والمنهج المتبع.

حاولت في هذا الكتاب ان ادقق في الاسماء المطروحة من مفكري الغرب الذين اعتمدهم الوردي في دراساته سواء تأثر بهم على مستوى الطروحات الفكرية الفلسفية الاجتماعية والسياسية ام على مستوى مناهج البحث وآلياته، وقد وضعت السبب الذي جعلني ارى ان الوردي اتبع هذا النهج في الدراسة وهذا المنهج في البحث، راجياً المولى ان تكون هذه المقدمة الخطوة الاولى نحو دراسة الوردي من حيث الفكر والمنهج، ومن خلال هذا الطرح نسطيع تقسيم حركة الوردي العلمية على ثلاثة اتجاهات رئيسية:

الاتجاه الاول : المفكرين الذين تأثر بهم فكرياً.

الاتجاه الثاني : المفكرين الذين تأثر بمناهجهم البحثية.

الاتجاه الثالث : المفكرين الذين نقد فكرهم، او غير وبدل في اعتقاده بفكرهم.

ابن خلدون

وبناء على هذه المنهجية سوف يكون ابن خلدون اول شخص تأثر به الوردي (ابن خلدون٧٣٢-٨٠٨ هـ/١٣٣٢-١٤٠٦م، وهومؤرخ وفيلسوف اجتماعي، من اعلام عصره في الادارة والسياسة والقضاء والادب والعلوم، ولد في تونس وتقلد مناصب عدة في مراكش ومصر)، وقد ذكرنا في تفاصيل ذلك في كتاب الوردي عن منطق ابن خلدون، وانه جعل من ابن خلدون نطاق دراسته على الدكتوراه في الولايات المتحدة الامريكية، الا ان الوردي كان يعيب على ابن خلدون حبه للمناصب الدنيوية، ويقول لا ادري هل لو تفرغ ابن خلدون للكتابة دون اهتمامه بالسياسة والقضاء كان سيكون انتاجه

العلمي اكبر، ام ان هذه المناصب هي من جعلته كاتباً ومفكرا مجيداً.

مرر الوردي فكرته الذي اطلق عليها فرضية من خلال نظرية ابن خلدون الشهيرة بان صراع الحضارة والبداوة هو بين البوادي والمدن، وهما وان كانا متضادين الا انهما متفاعلين في بوتقة واحدة، اما الوردي فقد اختلف في اطروحته، حيث يعتقد ان هناك صراعا بين قيم البداوة وقيم المدينة (الحضارة)، وقد ضرب لذلك مثلاً عن المجتمع العراقي المتمدن وصراعه الدائم مع قيم وتقاليد البداوة القادمة من الجزيرة العربية، قبل الحرب العالمية الاولى، وثم صراع من نوع مختلف تماما بين الثوابت المجتمعية من العهد العثماني والحضارة الغربية الوافدة التي ظهرت بعد احتلال الانكليز للبصرة.

ويلاحظ كذلك انه بالرغم من ان الوردي امتدح ابن خلدون في عدم انجرافه او تسليمه لرجال الدين والساسة بعد كتابته للمقدمة وتحوله من المنطق الارسطي الى منهج مختلف، او كما قال بعد ان تخلى عن مثاليات منطق ارسطو واتجه بفكره نحو الواقعية الاجتماعية، وقد اشاد الوردي بهذا المنهج الجديد، الا انه حينما اراد دراسة ابن خلدون، لم يدرسه حسب منهجه الذي ابتدعه، بل اختار له آليات بحث عصرية او فلنقل غربية تقربه الى النتائج المرجوة من بحثه بعلمية اكثر.

وليم جراهام سمنر

يأتي (وليم جراهام سمنر ١٨٤٠-١٩١٠،عالم اجتماع امريكي، تخرج من جامعة بيل ١٨٦٣، وعمل استاذاً للعلوم السياسية والاجتماعية فيها، ترأس جمعية علم الاجتماع الأمريكية، ومن أشهر مؤلفاته كتاب العادات الشعبية وكتاب علم دراسة المجتمع) يأتي وليم سمنر، ثاني شخصية علمية تأثر بها الوردي، حيث كانت اصداء نظرياته تملأ الآفاق الثقافية والاجتماعية

المتخصصة في الجامعات الامريكية حين التحق بها الوردي، ولم يكن قد مر وقت طويل على وفاة سمنر آنذاك، ومما زاد اهتمام الوردي بسمنر هو ان البروفسور هاري مور الاستاذ في قسم الاجتماع بجامعة تكساس والمشرف على رسالة الوردي في الدكتوراه كان مولعا بسمنر وفكره.

الكتاب المنهجي الذي وضعه سمنر، وهو (علم دراسة المجتمع)، وهو مجموع محاضراته، والذي قال في مقدمته بانه لم يتمه على نحو ما ارتأى، وكان هو الكتاب المنهجي الذي سار عليه الدكتور علي الوردي، حيث رأى الوردي ان نظرية سمنر تخضع المجتمعات لقوانين معينة، هذه القوانين نابعة من سلوك الانسان، والذي يتكون بدوره من خلال الافكار والثقافات السائدة والمعتقدات الدينية، يرى سمنر ان مهمة عالم الاجتماع هي دراسة هذه القوانين، وعلى الإنسان أن يستجيب للقوانين الطبيعية ويطيعها، وكان لزاما وواجبا تعلم هذه القوانين وإطاعتها، فاذا ما سعى شخص ما الى تغييرها او التبروء منها، فان السلوك الجمعي سوف يرفضه رفضاً قاطعا.

حاول الوردي بعد ان عاد من الولايات المتحدة الى ان يخترق نظرية سمنر في السلوك الجمعي للمجتمعات، كما فعل مع نظرية البوادي والمدن لأبن خلدون وحورها الى البداوة والحضار، فبدأ بنفسه، محاولاً تجريب حظه في الوقوف والتغيير امام السلوك الجمعي لمجتمعه، ويبدو انه لم يوفق، فنراه يقول: ان الانسان يولد وقد ورث ميولا او اندفاعات بهيمية غير مهذبة، فتوضع هذه الاندفاعات العارمة تحت تاثير القيم الحضارية والقيود الاجتماعية حيث يبدا الطفل ساعيا في سبيل التوفيق بين ما يشتهي من حاجات انية وما يفرضه عليه المجتمع من اصلاحات واعتبارات وقيم، انها صراع متواصل بين قوتين متعاكستين: قوة بهيمية لا تفهم قيدا ولا تدرك معنى

وقوة اخرى اجتماعية تحاول ان تسيطر على تلك القوة الغاشمة وتسبكها في قوالب حضارية مقبولة.

آرنولد توينبي

ويظهر تأثر الدكتور الوردي الكبير بالثنائيات العلمية من خلال البداوة والحضارة عن ابن خلدون والقوات المتعاكسة عند وليام سنمر، فقد تأثر كذلك بثنائية قيم الحضارة التي حددها توينبي بالتحدي والاستجابة، (آرنولد توينبي ١٨٨٩-١٩٧٥، مؤرخ وعالم اجتماع وفيلسوف انكليزي، تخرج في جامعة اكسفورد وعمل فيها لثلاثة اعوام، وضع نظريته عن قيم الحضارة في التحدي والاستجابة في كتابه الاشهر دراسات في التاريخ)، اخذ توينبي من ابن خلدون في كتابه الضخم دراسة في التاريخ (١٢ مجلدا)، وقد ترجم اربع مجلدات منه الدكتور فؤاد محمد شبل الى اللغة العربية، نظريتة في البداوة والحضارة، ولكنه ابدل البداوة بالمجتمع البدائي، مدعياً ان معظم هذه المجتمعات قد اندثرت ولم يتبق منها الا سبع حضارات واغلبها حضارات استندت على الدين والقومية وهي في اعتقاده في طريقها الى الاضمحلال، ولم يحدد توينبي رأيه بالنسبة الى الحضارة الغربية.

واخذ توينبي كذلك من كارل يونغ العالم النفساني المشهور نظريته في التحدي والاستجابة بالنسبة للسلوك البشري وطبقها على سلوك المجتمعات بصورة عامة، فالمجتمعات كما الانسان تمر في فترة صدمة حضارية اما ان تكون ايجابية او سلبية، فاذا كانت سلبية تدعوها حركة التاريخ الى العودة الى الماضي، فتصبح شعوبا رحالة بدوية تسعى وراء الاكل والماء وترعى الانعام التي تعيش عليها، اما ان كانت ايجابية فهي تقبل بالصدمة وتبقى في ارضها وتحاول التغلب عليها واستعادة توازنها، وقد ضرب توينبي امثلة بالحضارة

السابقة كحضارة وادي الرافدين والحضارة المصرية من ناحية الاستجابة الايجابية للصدمة والتحدي لخلق حضارة وكان السهل الأفروآسيويّ جنوب شبه الجزيرة العربيِّة وصحراء الصين وافريقيا هي المناطق التي تعاملت سلبيا مع الصدمة الحضارية، لذلك هو يرى ان المجموعات البشرية في هذه الاماكن تعيش على شكل شراذم بشريِّة ولكنها تعيشُ عيشةً راضية على الصيِّد والقَنص وجمع الثمار والبذور.

وقد استقى الوردي هذه الفكرة من توينبي ثم صهرها في مجتمعه حيث نفس الثنائية ونفس الحال الذي اراده توينبي في طرحه وقد جاء الوردي بعد ذلك بامثلة عديدة من واقع المجتمع لتؤيد ما اراد الوصول اليه، ولم يخف الوردي تأثره بتوينبي في طروحاته.

كان الوردي في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، وبعد ان دخل العراق حروبه العبثية، يكرر ويردد دائما وعلى خلاف ما كانت الشعارات ترتفع في كل الوطن نحو الحرب والقوة والانتصار على العدو، كان الوردي يقول: ان الحروب اذا ما استمرت فان المجتمع سينهار وسوف يفقد المنظومة الاخلاقية الوهمية التي يستند عليها، وهذا هو ما بشر به توينبي قبل ذلك حيث قال في دراسة التاريخ: بأن الحروب هي السبب الجوهري لانهيار المجتمعات أو الحضارات، ولم يذهب توينبي بعيدا في اختياره للمجتمع الاشوري القديم مثلاً يذكره بقوله: لقد هوت آشور جثة هامدة، ولكنها مدججة بسلاحها. فقد انهارت ببساطة أمام هجمة الميديين والبابليين في القرن السابع قبل الميلاد.

في الحقيقة ان من يقرأ مؤلف توينبي الضخم دراسة التاريخ، وهو محاولة توينبي لأثبات ثنائيات مجتمعية بنى عليها افكاره وحاول من خلال الامثلة التي تشعبت وطالت ان يفلسف هذه الثنائيات على اساس ما يعتقد،

فسوف يترأى له الوردي في جميع ما يقرأ، ولم يخف الوردي كذلك اعجابه بتوينبي والتقاطاته الفنية التي صهرها باسلوب جديد في اطار علم الاجتماع، في حين انه اخذ اغلبها من التاريخ او من علوم اخرى، كعلم النفس وعلم الفلسفة.

دايل كارينجي

الوردي كان يردد دائما بان من يريد ان يعرف كيفية التعامل مع الناس عليه بقراءة كتاب كيف تكسب الاصدقاء وتؤثر في الناس لدايل كارينجي (دايل كارينجي ١٨٨٨-١٩٥٥ ولد في نيويورك، مؤلف أمريكي ومطور الدروس المشهورة في تحسين الذات ومدير معهد كارنيجي للعلاقات الإنسانية)، وقد تعامل الوردي مع المجتمع العراقي بالطرق التي اختارها دايل كارينجي، فاعطى وجهة نظره في مجتمع ناقم عليه، ولم يخش على نفسه، بل انه كان سعيداً بكثرة معارضيه، فدايل كارينجي يقول: تذكر أنه ما من أحد يرفس كلبا ميتا، كلما كان الكلب مهما، كلما ازداد الناس قناعة لرفسه، اذا كنت تميل الى القلق بسبب الانتقاد غير العادل، يجب ان تتبع هذه القاعدة: تذكر أن ما من أحد يرفس كلبا ميتا، افعل هذا و لن يؤذيك الانتقاد الناس لا تفكر بك أو بي، أو يهتمون لما يقال عنا، بل انهم يفكرون بأنفسهم وهم سيهتمون بألم في رأسهم مثلا ألف مرة مما يهتمون بنبأ وفاتي أو وفاتك، وحتى لو خدعنا وحيكت حولنا الأكاذيب وطعنا في الظهر وألقينا في النهر من قبل أقرب الأصدقاء، لنتجنب الغرق، بدلاً من رثاء الذات، فهل تسمح للاتهام الباطل أن يؤثر فيك.

قواعد آمن بها الوردي ونفذها، ولم يكن يخشى شيئا بعدها، كأنه كان يقول وبعدي الطوفان، وقد شاهدت هذه القناعة عند الوردي باسلوب

مكثف، فهو كان لا يهاب لو تعرض للقتل او الاغتيال بسبب آراءه، وقد حذرته من ذلك، فقال ليس احسن من ان يدخل اسمي ضمن العلماء الشهداء الذين دافعوا عن آرائهم امام المجتمع او السلطان الجائر، وان لم يتحقق له ذلك، وهو بذلك ينفذ اقوال دايل كارينجي في كتابه الشهير حيث يقول: أنظر لما حدث لسقراط، هل تتوقع نسبة أفضل، حيث انقلب أكثر من نصف تلامذته ضده أثناء محاكمته وحكم عليه بالموت بشرب السم بالعسل، اذن أبذل قصارى جهدك، ثم أمسك بمظلتك القديمة لتمنع المطر (الانتقاد) من الانزلاق داخل عنقك.

كل من يقرأ الوردي يجد ان احد مواضيعه الاساسية في معرفة الشخصية البشرية، تنطلق من الانوية، فالانسان بطبيعته يحب نفسه اكثر من الآخرين، وانه لا ينتقد في الواقع الا ما يراه مخالفا لميل وهوى الانا التي يحملها في داخله، ونص هذا ما دعا اليه كارينجي بقوله: ابدأ بنفسك، انطلاقا من الانانية، فقد قال براوننغ: حين يبدأ المرء بخلاف مع نفسه تصبح له قيمة، وهذا يستغرق وقتا وبعدئذ تستطيع تغيير الآخر، يقول كونفوشيوس: لا تتذمر من الثلج المتساقط على سقف جارك حين تكون عتبتك ملئة بالثلج.

وليم اوغبرن

كانت ثنائيات وليم اوغبرن (وليم اوغبرن ١٨٨٦-١٩٥٩ رائد المدرسة الامريكية في علم الاجتماع عمل رئيساً للجمعية الامريكية لعلم الاجتماع عام ١٩٢٩، تركز اهتمامه الرئيسي على دراسة عمليات التغيير الاجتماعي)، فكرة مناسبة بالنسبة للوردي الذي نشأ وترعرع على الثنائيات المتوافقة حيناً والمتخالفة معظم الاحيان، ولم تكن نظريات اوغبرن في فلسفة الاجتماع قد بردت بعد حين وصل الوردي الى الولايات المتحدة الامريكية، فقد طور

اوغبرن الهوة الثقافية في دراسته الشهيرة عن عمليات التغير الاجتماعي، وهي نظرية تكاد تكون سنداً لما اطلق عليه الوردي الازدواج في الشخصية والتناشز الاجتماعي، وقد سهلت العملية التي قام بها اوغبرن في حل مشكلة التداخل في استعمال المصطلحات والمفاهيم، بمصطلح متكامل اطلق عليه التغيير الاجتماعي، مما سهل على الوردي اختيار مصطلح الازدواج والتناشز من بنية التغيير الاجتماعي.

ولأجل التوضيح اقول ان اوغبرن قد حل بمصطلحه الجديد مشكلة التداخل في استعمال المصطلحات والمفاهيم المتداخلة، والمتضمنة في مفهوم التغير الشامل، حيث كان هناك مزجاً بن مفاهيم الثورة الاجتماعية والاصلاح الاجتماعي والنمو الاجتماعي والتطور الاجتماعي والتحضر والتنمية، ليجمعها في التغيير الاجتماعي، والذي يعتبر بالضرورة قد تبعته كل المصطلحات الناتجة عنه.

طرح اوغبرن ضمن هذا المفهوم ظاهرة التغير والحركة، واعتبرها ظاهرة ملموسة، ودائمة ومستمرة دون توقف، وقد اثرت مسألة التغيير والحركة في فكر الوردي كثيرا، حتى اننا نكاد ان نعثر عليها في كل كتبه تقريبا، معتبرا اياها في مكان الصدارة من التفكير البشري، وذلك منذ فجر الحضارات الإنسانية بصفة عامة وحتى يومنا هذا، فقد اجمع المفكرون على مفهوم التغير الاجتماعي بمنظورات وتصورات مختلفة، الا ان ما اتى به اوغبرن على ان التغيير ظاهرة اجتماعية، حقيقة لا تقبل الشك، كان الجديد في الطرح، فالمجتمع بطبيعته متغير، فهو يأخذ من الجيل السابق جوانب ثقافية ويضيف عليها تمشياً مع واقعه الاجتماعي ومتطلباته المستجدة، وذلك تبعاً للاتجاهات الفكرية ولأيديولوجيات السائدة في كل مجتمع، ومن خلال هذا الطرح قرأ الوردي اوغبرن بدقة واستنتج ان حدوث التغير لم يعد يسير

تلقائياً دون توجيه واع، وإنما يتم وفق خطة مدروسة، فهو إذا تغيير مقصود وإرادي وأصبحت المجتمعات في العصر الحاضر تستحدث المناهج والوسائل من أجل توجيه عملية التغير نحو إحداث وتحقيق التنمية بوجه عام، وهذا يستدعي تحديد مفهومه تحديداً موضوعياً دقيقاً، ومعرفة آلياته وأنماطه واتجاهاته وعوامله وموجهاته وعوائقـه، إلى غير ذلك من الجوانب التي من شأنها تعميق الفهم اللازم لهذه الظاهرة.

عرف اوغبرن التغير الاجتماعي على انه: التبدل الذي يحدث في بنية النسق الاجتماعي ووظيفته، أي الذي يصيب البناء الاجتماعي والقيم والعادات والأدوار خلال فترة من الزمن، هو كل ما يتغير في المجتمع سواء كان هذا التغير محدوداً أم واسعاً في ظواهر مادية أو معنوية، ولا يخفى على الباحث القاريء ان هذه النظرية كانت الاساس العلمي الذي بنى الوردي فكرته في طبيعة المجتمع العراقي عليها، وقد اضاف الوردي من خلال تجاربه والامثلة التي قدمها لدعم هذه النظرية، ما يمكن ان يسمى نبؤته للمجتمع العراقي في القابل من ايامه، حيث توقع له الاسوأ في ظل النظريات العلمية، وهو ما حدث فعلا بعد حين من الدهر!.

تأثر بهم في الدراسات السياسية الاجتماعية

لو قدر لأحد ان استمع للوردي في السنوات العشر الاخيرة وهو يتحدث في السياسة والمجتمع، لكرر على الفور مقولته الخالدة السياسة فن الممكن، كان الدكتور علي الوردي براغماتياً في السياسة، وقد دافع في محاضرة كاملة في مجلس الخاقاني عن ميكافيللي وكتابه الامير، كان يقول هناك مساحة مصالح امام كل سياسي وعليه ان يستغلها حسب الظرف والمكان، لينجح، فلا يوجد في السياسة صداقات دائمة ولا عدوات دائمة،

انما مصالح دائمة وهو ما يتطابق تماما مع البراغماتية او النفعية او الذرائعية كما ترجمت الى العربية، والمصطلح مشتق من (Pragmatism الاوربي الذي اخذه من اللغة اليونانية وهو pragma ويعني العمل، وقد ظهر هذا المذهب في القرن التاسع عشر)، وترى البراغماتية: ان معيار صدق القضية هو نتائجها العملية، وليس مطابقتها للواقع، ومعيار الحقيقة هو نجاح الفكرة عملياً، وينجم عن ربط الحقيقة وصدق الفكرة بالنتائج العملية والرضا والمصلحة نسبية الحقيقة وتعددها.

ولأجل انصاف الدكتور علي الوردي في معرفة اتجاهه السياسي الفكري، يجب ان اذكر ان الرجل وبالرغم من اعجابه بميكافيللي وقانونه الذي اشتهر عنه الغاية تبرر الوسيلة، وحذفه للاخلاق من السياسية، الا انه يختلف في بعض المواضع المفصلية مع افكار ميكافيللي، فالوردي الذي عاش بعد ميكافيللي بخمسة قرون اصبح يؤمن بصورة انصع لأدارة الدولة، وهي الليبرالية السياسية التي يؤمن بها ويرى ان تطبيقها يتم من خلال المبدأ البراغماتي، وكان دائما ما يقول ويكرر في كتبه، ان السياسة ليست موقعا صحيحا لأصحاب المباديء، فهي بلا مباديء، بل مركزها المصالح، فكيف تقبل باصحاب المباديء فيها، اذن فالوردي تأثر سياسياً بطروحات ميكافيللي بصفتها الواقعية، ولكنه اضاف على ما عنده من دراسة الليبرالية والنفعية كمباديء لا يجوز للسياسي ان يخالفهما.

ميكافيللي

تاثر الوردي بصورة واضحة بطروحات ميكافيللي (نيكولا ميكافيللي ١٤٦٩ -١٥٢٧، ولد في ايطاليا وعمل في حكومتها، وصل الى منصب السكرتير الاول لحكومة فلورنسا، قدم كتابه الامير لحاكم مديتشي الشاب،

مع ميكافيللي بدأت الفلسفة السياسية في العصر الحديث، ولكن كانت نهايته منفياً على يد البابا في مزرعته حتى مات)، يعتقد ميكافيللي ان المجتمع يتطور باسباب طبيعية وانما القوى المحركة للمجتمع هي المصلحة المادية والسلطة، ويجد ان الغاية تبرر الوسيلة في العلاقة بين الحاكم والشعب، حيث يحق للحاكم ان يقمع الاضطرابات الشعبية في سبيل تحصين حكمه، وقد دافع الوردي عن هذه الفكرة بقوله، انها كانت تناسب زمان ميكافيللي وربما كانت مصلحته السياسية تدعوه ان يتحدث بهذه الطريقة، وقال الوردي ان ميكافيللي توقع ان لا تكون هذه الفكرة سائدة بعد فترة زمنية، ووذلك لأن الاسباب الطبيعية لتطور المجتمع سوف تلغيها.

ويؤيد الوردي ميكافيللي في ان المصلحين على نوعين، نوع منهم يسعى إلى استمالة الآخرين لأجل الاصلاح، ونوع آخر يعتمد على قوته وسطوته (التسليح)، وهذا الأخير قلما يفشل، واكبر دليل على ذلك الأنبياء المسلحين الذين انتصروا فيما فشل فيه أخوانهم الانبياء من غير المسلحين! وقد قالها يوماً في محاضرة في جامعة الكوفة، ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يحمل السلاح لم يكن معه احد، وربما كانوا صحابته في اول الدعوة لا يتجاوزون السبعة اشخاص، واراد الوردي مداعبة الجمهور قائلا: الان لو دعوتكم انا على الخروج، لن احصل حتى على السبعة اشخاص! ان الحاكم عند ميكافيللي ليس ديكتاتورا مولعا بالقوة، وانما هو لاعب شطرنج سياسي، يدرك حسابات كل نقله من نقلاته، هدفه هو تثبيت الحكم، لذلك فالقاعدة الاهم في علاقته بالشعب، هي انه يجب ان يكون مرهوب الجانب، دون ان يكون مكروها، فالكره ينشأ من الطغيان والاحتقار ينشأ من الضعف، وكلاهما يهدد الحاكم، وكان الوردي يرى الملك فيصل الاول مصداقاً للحاكم السياسي الناجح او لاعب الشطرنج الذي يدرك حسابات كل نقلة من نقلاته.

يرى ميكافيللي ان الدولة كيان تنظيمي انجزه الناس بانفسهم، وتحاول ان تنظر الى العمل السياسي بدون نظارة اخلاقية، على الرغم من ان ميكافيللي لم يكن في ذلك غير اخلاقي، الا انه كان معارضاً للقيم الاخلاقية، فهو لايريد ان يشكك في الاخلاق بطريقة واعية متعمدة، لكنه يتركها في فلسفته السياسية بكل بساطة خارج الباب، ومن جهة اخرى فهو يدعو الحاكم ان يجمع بين حيلة الثعلب وقوة الأسد، حتى يتمكن من الانتصار والسيطرة، ولا يرعى عهدا يكون ضد مصلحته، وأن لا يستمر بوعد انتهت أسبابه، واذا خشي ان يقال عنه شرير، فان هذا الوصف يصح فقط، في حالة ماكان جميع البشر من الأخيار، والوردي يجد كما صرح اكثر من مرة ان السياسة هي ادارة امور الدولة حسب المصلحة، وقد ضرب امثلة كثيرة تؤيد نظرته هذه عن احداث صدر الاسلام وما بعد الخلافة الراشدة والفتن التي وقعت، وكيف استطاعت دول (بنو امية وبنو العباس) من الحكم لقرون من الزمن بسبب اختيارهم منهج المصلحة والقوة.

جون ستيوارت ميل

الليبرالية السياسية والنفعية البراغماتية ضمن اطار الديمقراطية هو الحل الامثل الذي توافق عليه البشر، ان السياسة لا تقبل مثاليات واخلاق، هذا هو رأي الوردي المختصر في السياسة، وهو متأثر بالفيلسوف الاجتماعي (جون ستيوارت ميل ١٨٠٦- ١٨٧٣، فيلسوف اجتماعي بريطاني كان من رواد منطق الاستقراء، من مؤلفاته مباديء الاقتصاد السياسي وعن الحرية وهو كتابه الاشهر وقد ترجمه الى العربية الدكتور عبدالله امين غيث، وكتابه اسس الليبرالية وقد حققه وترجمه الى العربية الدكتور امام عبدالفتاح امام وميشيل متياس واستعباد النساء)، ابتنت الليبرالية السياسية على ما قاله ستيوارت ميل في كتابه عن الحرية وهو ان كل ما يقيد المنافسة الحرة هو الشر المطلق، وكل

ما يطلقها هو الخير العميم، وفي هذا يقول جون ستوارت ميل: إن البشر جميعًا لو أجتمعوا على رأي، وخالفهم في هذا الرأي فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه، بنفس القدر الذي لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهم حتى لو كانت له القوة والسلطة، اي إننا إذا أسكتنا صوتاً فربما نكون قد أسكتنا الحقيقة، وإن الرأي الخاطئ ربما يحمل في جوانحهِ بذور الحقيقة الكامنة، وإن الرأي المجمع عليه لا يمكن قبوله على أسس عقلية إلا إذا دخل واقع التجربة والتمحيص، وإن هذا الرأي ما لم يواجه تحديًا من وقت لآخر فإنه سيفقد أهميته وتأثيره، فالسلوك البشري ما هو الا نتاج التأثيرات البيئية على الانسان والمجتمع.

ويقول الوردي نصا: إن العقل البشري بوجه عام لا يستطيع أن ينظر الأمور نظرة حيادية مطلقة، لأن هناك عوامل لا شعورية عديدة تؤثر تفكيره من حيث لا يدري، كالمعتقدات التي نشأ عليها والعاطفة والمصلحة والأنوية وحدود المعرفة والتجارب المنسية والعقد النفسية وغيرها، فالإنسان حين يفكر يتصور أنه حر مطلق تفكيره لأنه لا يعرف العوامل اللاشعورية المؤثرة عقله، فنحن حين نتهم المخالف لنا بالتعصب أو العناد أو الجهل لا ندري أنه هو نفسه يتهمنا بمثل ما اتهمناه به، وهذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم إذ قال: كل حزب بما لديهم فرحون، الا اننا يجب ان نحترم كل صاحب رأي.

يرى ميل: ان المجتمع الحر لا يتميز بتأثير الاغلبية على الاقلية وانما بحماية اولئك الذين يخالفون الاغلبية وان مركز هذه الحماية حرية الانسان، وان الهدف الوحيد الذي يجوز للانسان بسببه ممارسة الالزام طبقا للقانون ضد عضو مجتمع متحضر هو دفع الضرر عن الآخرين، وقد اشترك الدكتور علي الوردي في كل طروحاته السياسية الاجتماعية مع ستيوارت ميل خاصة في رؤيته التي تقول: نفترض اولا ان الراي المضاد خطأ، اذن يجب ان يسمح

بالتعبير عنه، لأنه سيرغمنا على ايجاد حجج افضل لرأينا، وبذلك ندعم ادعائنا للحقيقة بالحجج علنا بصورة افضل، ولنفترض ثانياً ان الرأي المضاد صحيح وحق، اذن يستحق ان يسمع فعلا، لأنه سيصرفنا عن الخطأ، ولنفترض ثالثاً ان الآراء المختلفة المضادة صحيحة جزئيا وخاطئة جزئيا، اذن يصبح الوصول الى الحقيقة من خلال التناول العلني للحجج والادلة مطلوباً في كل حال.

تأثر بمناهجهم البحثية

اولا : حديث قصير عن المنهج

احب قبل الولوج في موضوع آليات البحث ومناهج الدراسة، ان اوضح للقاريء غير المتخصص في دراسة مناهج البحث العلمي، اوضح له ما معنى مناهج البحث التي يعتمدها الباحث في دراسته، العلم عرف المناهج على انها: المجموعة المنظَّمة من المبادئ العامَّة، والطرق الفِعليَّة التي يستعين بها الباحثُ في حل مشكلات بحثه، والسَّيْر به حسبَ الخطة المنظَّمة لمادته، يعرض أجزاءه، ويستوفي جوانبه، محلِّلاً ومناقشًا، ومستدلاً ومبرهنًا، مرجحًا ومصوِّبًا بالمنطق وطرق الاستدلال والاستنتاج...اذن فالمناهج هي طرق البحث والاساليب والمصطلحات التي استخدمها العلماء في بحوثهم، وهي قابلة للنقد والتقويم ولذلك فهي تتطوَّر وتتعدَّل، وهي (المناهج) تختلف من علم لآخر.

اختص علم الاجتماع بمناهج بحث اجتماعية تختلف عن العلوم الاخرى، فهو يتخذ من المنهج التجريبي والتاريخي والمقارن والبنيوي والتفكيكي... منهجاً عملياً ينجز من خلاله انواع الدراسات الاستطلاعية والوصفية والتحليلية والنقدية... وباساليب كمية ونوعية او الممازجة بين

الاسلوبين ويستقي مصادره من الميدان التطبيقي كمصدر رئيسي للبحث ومن المصادر غير المباشرة والقراءات المنتخبة التي تدعم البحث ويجمع بيانات من خلال الاستبيان والمقابلة ودراسة الحالة والقياس الاجتماعي.

القراءة المتأنية غير المتحيزة لما كتب الدكتور علي الوردي من دراسات اجتماعية تثبت لنا انه قد استخدم مناهج البحث العلمي على اتم وجه من خلال تبنيه للمنهج النوعي في الدراسة والذي يصف الظاهرة الاجتماعية كما تحدث طبيعيا ويهتم بالآراء ووجهات النظر والتجارب والخبرات الانسانية التي بمجموعها تقدم لنا البيانات التي قد تبدو غير موضوعية اذا قرأت بعين غير محايدة، لذلك كان الوردي يقوم بالتحليل والتفسير، ويشرح طريقة بحثه بين الناس، وهو الاسلوب الذي نطلق عليه في الدراسات الانسانية العمل الميداني، وكان امينا مع نفسه ومع المجتمع، حيث وصف ما توصل اليه بالفرضية، قائلاً انها قابلة للتغير والتبديل، لأنه يدرك ان النظرية المؤسسة تحتاج الى بيانات دقيقة واستقرائية ومن خلال دراستهما (البيانات والاستقراءات العملية الدقيقة) يصل الى النظرية، ولم يستطع الدكتور علي الوردي في الوصول الى النظرية المؤسسة ضمن البحث العلمي وذلك لعدم ثقته في البيانات الاولية والاستقراء او حتى نتائج العمل الميداني الذي شكك فيه في مقدمة دراسته وعزا ذلك الى ازدواج الشخصية، فاذن اختار الوردي من خلال آالاليات المنهجية المطروحة قبله وباسلوب بحث الملاحظة النوعية التي استخدم فيها تصنيفات وأنماطًا محددة عن سابقيه من المفكرين الاجتماعيين، فسجل ملاحظاته بشكل طبيعي ومسترسل ناقلا صورة الواقع كما يحدث، واظهر النتائج بعد جمع المعلومات وتحليلها.

كان الدكتور علي الوردي في دراساته المجتمعية والفلسفية معجبا باصحاب الطروحات ثنائية البعد، كما فكرة البداوة والحضارة عند ابن

خلدون والمجتمع البدائي والمدني عند جون سنمر او نظرية الاستجابة والتحدي التي طرحها سنمر ايضاً، وقد اشرت في مقدمة هذا البحث عنها، وقد اختار الوردي منها ما يناسب بحثه في المجتمع العراقي ليضعها منهجاً سار عليه او آليات بحث طبقها.

ولكن الوردي لم يعتمد جميع الثنائيات الفلسفية والاجتماعية التي طرحها المفكرون الغربيون منهجاً ليسير عليه او آلية بحث قابلة للتطبيق، بل اختار ما يناسبه فهو مثلا لم يستعن بتصنيف فردناند تونيز الذي عرف المجتمع بقطبين، والذي يمثل أحد قطبية المجتمع الأولي الذي تسوده العلاقات الأولية والقرابية، بينما يمثل القطب الآخر المجتمع الذي تشيع فيه العلاقات الثانوية والتعاقدية، وكذلك لم يتأثر بثنائية ماكس فيبر بين النماذج التقليدية والنماذج العقلية، ولا ثنائية سوركين العائلية والتعاقدية، ولا ما اورده هوارد بيكر بين النموذج المقدس والنموذج العلماني، وروبرت ردفيلد بين المجتمع الشعبي والمجتمع الحضاري، ولذلك وبعد التدقيق المنهجي، وجدت ان منهجية الوردي وآليات بحثه تركزت على ثلاثة لا رابع لهم، حتى إشعار آخر، حين يقوم احد طلبة الوردي بتحقيق اوسع النطاق من التحقيق الهامشي الذي اجريته، ليستخرج تأثيرات منهجية اخرى.

تالكوت بارسونز

أثرت منهجية تالكوت بارسونز (تالكوت بارسونز ١٩٠٢-١٩٧٩ من علماء الاجتماع المعاصرين الذي احدثت نظرياته في علم الاجتماع دوياً في امريكا واوربا على السواء، تعددت مواضيع كتاباته في اكثر من مجال، واهم كتبه هو البدع والنقائض في علم الاجتماع الحديث، وانتقد فيه بعض علماء الاجتماع المعاصرين)، نظرية بارسونز ظهرت في كتابه بناء الفعل الاجتماعي

وحاول من خلاله ان يوفق بين افكار ماكس فايبر وومارشال باريتو ودوزكايم، وقد اعتمد مفهوم النظام المعياري العام، والذي يمثل في ارتباطه بمجموعة من المعايير او العناصر الاخرى، والنظام الواقعي والذي يمثل الحالة الواقعية التي يمكن ان تخضع للقانون العلمي في التحليل، اذ يعتبر ان الفعل الاجتماعي هو كل انواع السلوك البشري التي تحركها وتوجهها المعاني الموجودة في دنيا الفاعل، وهي معاني يدركها الفاعل ويستدمجها في ذاته، والفاعل هنا اما ان يكون فرداً او جماعة او تنظيماً او حتى مجتمعا.

الفاعل اي كيان كبر حجمه او صغر يسلك في ضوء المعاني التي توجد في بيئته وما دامت هذه المعاني لا يحتكرها فاعل بعينه بل يشترك فيها آخرون، فان الفعل الاجتماعي الذي يأتيه فاعل معين لا يتم الا داخل موقف وهناك مجموعة من العناصر داخل هذا الموقف يتخلق بينها التفاعل، والذي بدوره يوصل الى التكامل، بمعنى ان النسق يعتمد على مجموعة من المعايير التي تربط الفرد بالمجتمع، فينتج التكامل المعياري، في نسق المجتمع العام بصورة عامة، بعدها يأتي نمط المحافظة ويعني به النسق بما يتضمنه من معايير وقيم لها عموميتها يؤدي الى المحافظة على نمط التفاعل فلا يخرج او ينحرف عن حدود النسق، ثم التكيف ويعني ان كل نسق اجتماعي عليه ان يتكيف مع البيئة الاجتماعية والمادية التي يوجد فيها، ليصل الى تحقيق الهدف ويقصد به اساليب الافراد الفاعلين من اجل تحقيق الهدف، بمعنى ان الافراد اثناء اشباعهم لحاجاتهم يختلفون من حيث مكونات شخصية كل منهم، وبذلك تتحقق المشاركة المجتمعية ويعني بها تكامل المعايير ونمط المحافظة.ويعني به تكامل القيم، والسياسة تستخدم للحصول على الهدف اوتحقيقه والاقتصاد يستخدم للتكيف. (نقلت منهجية بارسونز عن كتاب تاريخ علم الاجتماع الدكتور محمد محمد).

ونلاحظ ان الدكتور علي الوردي قد طبق منهجية بارسونز بمعاييرها ونسقها ودراساتها للقيم وتكاملها المجتمعي، الوردي الذي استفاد من المنهج البحثي لم يتفق تماما مع النظرية خاصة فيما يتعلق بسيادة المصلحة الجمعية في الدول المتقدمة على عكس الدول المتخلفة والتي تطغى عليها المصلحة الذاتية، كذلك شكه الدائم بطغيان الوجدان في الدول المتخلفة مقابل الحياد الوجداني في الدول المتقدمة... ويؤسفني ان هذا الكتاب ليس متخصصاً لشرحها خشية ان يخرج عن موضوعه في الالمام بكل الجوانب الثقافية والعلمية والتخصيصة للدكتور علي الوردي، فقطفت من كل بستان من بساتينه المترامية الاطراف وردة لأجعل منها حديقة وردية تدل عليه، ولكني ادعو المتخصصين الى السير قدماً في دراسة فكر الوردي واتجاهاته المنهجية والبحثية والمدارس التي تأثر بها.

أميل دوركايم

تأثر الدكتور علي الوردي بثنائية عالم الاجتماع الفرنسي (اميل دوركايم ١٨٥٨-١٩١٧ يعد المؤسس للمدرسة الاجتماعية الفرنسية، يرجع اليه الفضل الاول في تحديد موضوع علم الاجتماع، ووضع منهجه وفروعه المختلفة، من كتبه قواعد المنهج الاجتماعي والسنة الاجتماعية)، فقد حدد مفهوم التحليل المنهجي بملاحظة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء، بمعنى التعامل مع الظواهر الاجتماعية دون التأثر بأفكار سابقة وإنما تحلل كما هي موجودة، فمنهجية تحليل الظواهر الاجتماعية تقتضي من الباحث في علم الاجتماع التحرر بصفة مطردة من كل فكرة سابقة، ليقف على الخواص الجوهرية في الظاهرة الاجتماعية محددا الآلية المنهجية التي تساعد على الوصول إلى تحديد الخواص الجوهرية للظاهرة هي الاعتماد على الخواص

الخارجية التي تمكنه من الاهتداء إلى الجوهر وعمق المسالة، وذلك من خلال البحث في اتجاه معين من الظاهرة الاجتماعية ليتم تعميم النتائج على الظواهر التي تشترك في الخصائص وتتحقق فيها نفس الشروط، ويجب على الباحث ان يكون من الدراية والمكنة والثقافة لتحليل الظاهرة المفردة لتبدو مستقلة بذاتها عن غيرها من الظواهر وان كان قد قاسها ابتداءا على ظاهرة اخرى تشترك معها في الخصائص والشروط.

لقد وضع دوركايم ثنائية تقابل بين نوعين من المجتمعات وفقا لشكل التضامن الاجتماعي، أولهما يقوم على التضامن الآلي بينما يقوم الثاني على التضامن العضوي، واضعا منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن واحد، وذلك من خلال نظريته في العقل الجمعي، الذي اسسها على التمييز بين ما يسميه التصورات الفردية التي ترتبط بالافراد والمجموعات في بيئات وثقافات معينة، والتي لا تصلح للتعميم زمانيًا أو مكانيًا، والتصوّرات الجمعية المشتركة بين الشعوب وبين الأجيال التي تؤثر في سلوكهم دون وعي مباشر بها، وتمثل تلك التصورات الروح أو المادة التي يقوم عليها المجتمع.

ولا يخفى على الباحث الكريم ان الوردي اعتمد في دراسته للمجتمع العراقي هذه المنهجية من دوركايم، وحاول ان يطبقها مع التطوير الذي اضافه بارسونز على هذه المنهجية ليخلق صورة متكاملة النسق عن المجتمع العراقي، وقد توفق الى حد كبير في الجمع بين المنهجين، مستفيداً من التكاملية التي طرحها بارسونز لنظرية دوركايم.

ويؤكد دوركايم على أنّ الحياة العقلية تتكون من تيار من التصورات القارة في أذهان الناس بعضها فردي وبعضها جمعي، وهي مجموع السلوك المكتسب للفرد داخل المجتمع، والذي تتحدد بموجب السلوك العام للفرد وللمجتمع، حيث لا يستطيع الفرد ان يتخلص من مؤثراته طيلة حياته،

وبغض النظر عن بنائه الثقافي والفكري، إن للتصورات الجمعية خصائص تميزها، فهي خارجة عن الشعور الفردي، فالمعرفة نتاج التعاون على نطاق واسع يفوق أي شيء يمكن أن يحفظه عقل الفرد، والأفكار الدينية تأتي إلى الفرد من الخارج، ولها استقلال خاص، والحركات الاجتماعية والأحداث كلها تأتي خارجة عن الشعور الفردي.

ركز دوركايم وكما كان الوردي يردد دائما، حيث لم تسمع نداءاته بان المريض يذهب الى الطبيب المختص ومن يحتاج الى تسليك الكهرباء يحتاج الى كهربائي وكلنا يحتاج الى صاحب اختصاص، لذا فان على الساسة الرجوع الى علم الاجتماع للتأشير على المشاكل الاجتماعية او للبحث عن حلول لها، كذلك كان نداء دوركايم الدائم أن يجعل من علم الاجتماع علمًا يسلّط الضوء على آفات المجتمع ويستعان به لحلّ بعض مشاكله عن طريق تحسين العلاقات بين الفرد والمجتمع، فلذلك أولى دوركايم عناية كبرى للمشاكل التربوية إذ أن التربية تلعب دورًا أساسياً في اندماج الفرد في المجتمع، قد تفسر لنا هذه التصورات اهتمام دوركايم بمشاكل زمنه إذ أن اثنين من أهم كتبه تتناول الاضطرابات الاجتماعية المتولدة عن التصنيع المفاجئ والكثيف الذي انتاب مجتمعات عصره.

كارل مانهايم

كان من الطبيعي ان يهتم الوردي بمنهج عالم الاجتماع الهنغاري (كارل مانهايم ١٨٩٣-١٩٤٧، وان كان هنغارياً فقد عاش في انكلترا طيلة حياته، عرض من خلال كتابه الايديولوجيا واليوتوبيا نظريته لترسيم واقع الانتماءات الاجتماعية في المجتمع الاوربي)، وذلك نظرا لأختياراته الثنائية، حيث حدد كارل مانهايم في كتابه الايديولوجيا واليوتوبيا مفهوم الايدلوجيا من خلال

مستويين: الاول هو المستوى التقويمي اما المستوى الثاني فهو المستوى الدينامي ويتعامل المستوى التقويمي مع الايدلوجيا على اساس انها تتضمن احكاما تعنى بواقع الافكار وبناءات الوعي اما المستوى الدينامي فيتناول الايديولوجيا من خلال سمتها الدينامية على اساس ان هذه الاحكام دائما تقاس عن طريق الواقع، ذلك الواقع الذي يحيى في ظل تدفق ثابت او جريان دائم، الا ان اطلق عليها ما اسماه بالنشوه الايدلوجية والوعي الزائف، اي التفسير غير الصادق الذي يضعه شخص ما.

وفرق مانهايم بين نمطين من الايديولوجية هما: الايديولوجيا الخاصة التي تعلق بمفهوم الافراد وتبريراتهم للمواقف التي تهدد مصالحهم الخاصة، والايديولوجيا الكلية التي تتعلق بالتفكير السائد داخل الطبقة او الحقبة التاريخية، كما هو الحال لنمط التفكير السائد لدى البرجوازية او البيروليتاريا الطبقة العاملة، وفي ضوء ذلك عرف الايديولوجيا بوصفها مجموعة قيم اساسية ونماذج للمعرفة والادراك، ترتبط ببعضها وتنشأ صلات بينها وبين القوى الاجتماعية والاقتصادية، وقد استند الدكتور الوردي على هذا المنهج البحثي اثناء دراسته لطبيعة الشخصية وما تحمله من قيم مجتمعية اساسية اصبحت نماذج للمعرفة والادراك حتى وان لم تكن في حقيقتها صائبة، حيث درس الوردي وفق هذه الرؤية، التباينات الاجتماعية للتجمعات البشرية من مجتمعٍ لآخر، اذ حدد أسس هذا التباين بالعادات والتقاليد والتركيبة السكانية فضلاً عن بنائها العشائري والقبلي، وكما قسم مانهايم المجتمعات البشرية على أساس النسب، كما هو سائد في التجمعات القبلية، وعلى أساس الدين واللغة في التجمعات المدنية، فقد وجد في هذه النظرية ما يمكن تطبيقه على المجتمع العراقي خلال الاحتلال العثماني للبلاد، ولاسيما ما تعلق منها بالصراعات العشائرية أو الطائفية.

الوردي لم يأخذ بتصور مانهايم لمفهوم الايديولوجيا، وان المجتمع طبقي، حيث تقسمه الى ايديولوجيتين، الاولى ايديولوجيا الجماعات الحاكمة التي تريد فرض تصوراتها وافكارها على بقية افراد المجتمع وتبرير الاوضاع الراهنة والدفاع عنها، والثانية: ايديولوجيا الجماعات الخاضعة التي تحاول تغيير هذه الاوضاع لصالحها واحداث تغيير في بناء القوة القائم، بما في ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية وتوزيع الدخل توزيعا عادلا، حيث لم يجد الوردي باب اشتراك بين نظرية مانهايم وطبيعة المجتمع العراقي، بالرغم من اقراره للمنهج المناهايمي وآليات بحثه في اغلب كتبه.

وخالف الفلسفة المادية الماركسية

ربما تكون مدرسة هيغل الفلسفية هي المدرسة الاقرب الى فكر الدكتور علي الوردي ويعتبر الفيلسوف الالماني (فيلهلم فريدريتش هيغل ١٧٧٠-١٨٣١ من اكثر الفلاسفة تأثيرا في تاريخ الفلسفة الحديثة، كتب عدة مؤلفات ومن اشهرها فينومولوجيا الذهن، المنطق في ثلاث مجلدات، موسوعة العلوم الفلسفية، دروس في فلسفة الدين، تاريخ الفلسفة، وفلسفة الجمال)، اما لماذا مدرسة هيغل الفلسفية هي الاقرب الى الوردي فهو بسبب انك لا يمكن أن تفهم الفلسفات الوجودية والماركسية والبراجماتية والفلسفة التحليلية والنزعة النقدية، من دون ان تفهم هيغل وتأثيره فيها جميعاً بالسلب والايجاب، حاول الوردي ان يحاكي كتاب هيغل المنطق الذي عرض فيه للمعاني الاساسية الميتافيزيقية والمنطقية، من خلال كتابه خوارق اللاشعور، واستطاع ان يبسط التعقيدات والابهامات التي تكتنف كتاب هيغل.

وبطبيعة الحال ان الذي يقتنع بمدرسة هيغل الفلسفية المثالية لا ينسجم مع المدرسة المادية التي اسسها الفيلسوف الالماني (كارل ماركس١٨١٨-

١٨٨٣، نظّر للدولة الشيوعية مع زميله انجلز، وهو مفكر اجتماعي واقتصادي، اعتبر العامل الاقتصادي المحرك الاساس لفهم حركة التاريخ ومراحل تطور المجتمع، من مؤلفاته رأس المال، وبؤس الفلسفة)، لم تقنع النظرية المادية الوردي، فنشر مقالة ملحق على الجزء السابع من كتاب لمحات اجتماعية رد فيها على الفلسفة المادية نظرية وتطبيقاً، وكلما حاولت ان اختصر شيئا مما نشره الوردي في رده لم استطع الى ذلك سبيلا، لذلك ساترك المجال لرد الوردي كاملا، وهو يكتب عن الماركسية: (بانه يندر ان نجد لها نظيرا في تاريخ البشر، ولكنها مع ذلك لا يمكن ان تكون كاملة خالية من العيوب تماما، فهي ما دامت من صنع البشر فلا بد ان تكون معرضة للخطأ والنقص على وجه من الوجوه.

يجب ان لا ننسي ان ماركس لم يأت بنظريته وحياً من السماء، بل هو استمدها من المعلومات التي توفرت لديه في حياته، ولهذا رأيناه يغير بعض الجوانب من نظريته مرة بعد مرة عند عثوره على معلومات جديدة، ومن الممكن القول انه لو امتد به العمر فترة اطول، وعثر على معلومات اخرى، لربما كانت نظريته بغير الصورة التي تركها عند موته.

يعتقد بعض الماركسيين ولاسيما المتعصبين منهم ان النظرية الماركسية في اسسها كاملة خالدة، وهم ينسبون اليها صفة (العلمية) ويعتقدون انها مادامت كذلك فلابد ان تكون صحيحة تماما لا عيب فيها ولا يجوز ان يشك فيها احد، انهم ينسون ان العلم في تغير مستمر، وانه لا يزال في بداية الطريق، ولا ندري ماذا يخبئ المستقبل لنا من اعاجيب، وربما صار الذي نعده اليوم صحيحا غير صحيح غدا. الواقع أني أجد في الماركسية جوانب مشرقة تجذبني اليها، وقد اتيح لي ان ازور بعض البلاد الاشتراكية، كروسيا والصين وجيكوسلوفاكيا وبولونيا، فلم املك نفسي من الاعجاب بما شاهدت

فيها من مزايا قلما نجد لها مثيلا في البلاد الرأسمالية، واعترف اني عندما درست مؤخرا بعض معالم الاشتراكية في بولونيا هتفت من أعماق نفسي قائلا: هنا يكمن مستقبل العالم!، فاني لم اجد فيها تلك المناظر البشعة التي توجد عادة في البلاد الرأسمالية فليس فيها جموع العاطلين الذين لا يجدون عملا او الاف الفقراء الذين يسكنون في بيوت لا تليق بالبشر، او حشود الواقفين الصابرين الذين ينتظرون وسائل النقل تحت وطأة الحر والبرد، او المرضى الذين لا يجدون من يداويهم، او الاطفال الذين يعملون في الاعمال المضنية بدلا من دخول المدارس إلخ، ان الهدف الرئيسي للماركسية هو ازالة استغلال الانسان لأخيه الانسان، وتوجيه الانتاج العام نحو مصلحة السواد الاعظم من المواطنين. واشهد ان الماركسية سارت في الطريق الي هذا الهدف خطوات واسعة، ولكن مشكلة الماركسية انها لم تكتف بالسعي نحو هذا الهدف الاعظم، بل رأيناها تتدخل في امور هي في غنى عنها، حيث انكرت وجود الله، واستهانت بالاديان وحاولت تفسير التاريخ والمجتمع وطبيعة الانسان حسب خطة ثابتة لا يجوز الخروج عليها، وبذلك خلقت الماركسية لها اعداء كان من الممكن ان يكونوا اصدقاء لها،

عاش ماركس في جو فكري كان الاتجاه السائد فيه يميل الى تفسير جميع ما في الكون بنظرية واحدة حيث يشمل بها طبيعة الكون والانسان والتاريخ والمجتمع معا، وقد جرى على ذلك الفيلسوف الكبير هيغل، ثم جاء ماركس من بعده فسار على سنته. ومن الجدير بالذكر ان ماركس كان في بداية امره هيغلياً، وقد استمد اخيرا من هيغل نظريته في الديالكتيك غير انه جردها من نزعتها المثالية وجعلها مادية.

مشاهدات في البلدان الاشتراكية.

قد يصح القول ان (الشمولية) في نظرية ماركس كانت من عناصر القوة

لها في زمانها، اذ هي كانت تمثل التيار السائد انذاك. ولو لم تكن نظرية ماركس شمولية لما كتب لها النجاح والانتشار تجاه النظريات المنافسة لها، ولكن هذه الشمولية اصبحت فيما بعد من عناصر الضعف فيها، فان اتباع الماركسية وخاصة المتعصبين منهم جعلوها عقيدة كالعقائد الدينية، واعتبروها مفتاحا يفسرون بها كل شيء، ولا يكادون يرون احدا يخالفهم في رأي حتي يسرعون الى توجيه شتي التهم اليه، كالرجعية والغيبية والبرجوازية والامبريالية وما اشبه، وتلك تشبه تهمة (الكفر) و(الزندقة) لدى المتعصبين من اهل الاديان.

اني بعد مشاهدتي للبلاد الاشتراكية وقراءتي لكتابات الماركسيين توصلت الى نتيجة هي ان الماركسية في التطبيق تختلف اختلافا كبيرا عنها في التنظير، فالماركسية في التطبيق تدعو الى الاعجاب حقا، كما ذكرته آنفا، اما الماركسية في التنظير فهي تدعو الى التقزز احيانا لما فيها من نصوصية جامدة وقوالب فكرية تكرر مرة بعد مرة الى مالا نهاية له، كأنما المقصود بها هو التلقين والتحفيظ وليس التطلع الى حقائق جديدة.

كثيرا ما سألت نفسي عن سبب هذا الفرق الكبير بين الماركسية في التطبيق والماركسية في التنظير، ويبدو لي ان قادة البلاد الاشتراكية مشغولون بمعالجة المشاكل العملية التي تواجههم دائما، وهم يسعون نحو حل تلك المشاكل بما ينفع الناس بغض النظر عما ورد في الكتب من نصوص جامدة. فانهم لو التزموا بالنصوص لفاتهم القطار، وهم مضطرون الى اتباع طريق التطوير والابداع لكي يتمكنوا من النجاح في خضم المعترك العالمي، اذكر في هذه المناسبة ما حصل للزعيم الماركسي المعروف لينين، فقد أراد هذا الرجل تحقيق مرحلة الاشتراكية في روسيا عقب ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ فعرضه في ذلك الكثير من الماركسيين اذ اعتبروا عمله مخالفا للنص

الماركسى الذي يقول بان الاشتراكية لا يمكن تحقيقها إلا فى البلاد التى وصلت فيها الرأسمالية اقصى نموها، وقد اتهم هؤلاء لينين بانه محرف للماركسية او مارق عنها، فرد عليهم لينين حيث اخرج كتابه المشهور: مرض الطفولة اليساري فى الشيوعية، انقل فيما يلى نبذة من الكتاب توضح موقف لينين من النصوصية الجامدة، حيث قال: قال ماركس وانجلز ان نظريتنا ليست عقيدة جامدة، بل هى هادية للعمل، ان اعظم غلطة واعظم جريمة ارتكبها الماركسيون (من الماركة المسجلة) امثال كارل كاوتسكى واوتو باور، ومن فى شاكلتهم، هو ان هؤلاء لم يفهموا هذا الامر ولم يستطيعوا تطبيقه فى اللحظات الفاصلة من ثورة البروليتاريا..

ولقد دفع الثوريون الروس، من عهد تشيرونيفيسكى ضحايا لا تحصى جزاء تجاهلهم او نسيانهم هذه الحقيقة، ينبغى ان نسعى باي ثمن كان لنمنع الشيوعيين اليساريين والثوريين فى اوروبا الغربية وامريكا، ممن كرسوا انفسهم للطبقة العاملة من ان يدفعوا لاستيعاب هذه الحقيقة مثل الثمن الباهظ الذي دفعه الروس المتأخرون، من المؤسف ان هذه الصرخة من لينين لم يستنفذ منها سوى القليل من الماركسيين فان الذين كانوا يلتزمون نصوص ماركس وانجلز من قبل جاء بعدهم اناس ساروا على خطتهم غير انهم اضافوا الى النصوص الاولى نصوصا جديدة هي التي جاء بها لينين نفسه..

يمكن القول ان التنظير الماركسى فى وضعه الحالى يحتوي على صنفين من الاخطاء صنف وقع فيه مؤسسو الماركسية، اي ماركس وانجلز ولينين ومن فى مستواهم، فهم بشر كغيرهم من الناس يصيبون ويخطئون ونحن حين ننقد اخطاءهم لا يعنى ذلك اننا أعظم منهم تفكيرا، فان المفكرين العظام قد يتورطون في اخطاء لا يمكن اكتشافها إلا بمرور الزمن.

حول العامل الاقتصادي.

اما الصنف الثانى من الاخطاء فهو الذي يقع فيه اتباع الماركسية اذ هم يخالفون ما جاء به المؤسسون احيانا بينما هم يحسبون انهم سائرون فى طريقهم، وهذا أمر لا ينحصر فى اتباع الماركسية وحدهم، بل هو ظاهرة اجتماعية عامة نلاحظها لدى جميع الاتباع فى كل زمان ومكان، وقد رأينا امثلة واضحة عليها لدي المسلمين فى عهودهم المتأخرة اذ هم يظنون انهم سائرون على سنة النبى واصحابه بينما هم فى حقيقة امرهم على النقيض منهم فى كثير من الامور، سأحاول فيما يلى من هذا الملحق وفى الملاحق التالية مناقشة بعض الاخطاء الماركسية من كلا الصنفين حسب تصوري لها، او بمقدار فهمى لها ولست ادعى الصواب فى ذلك، فربما كان فهمى لتلك الاخطاء مغلوطا، اي ان الخطأ ربما كان فى ذهنى وليس فى النظرية الماركسية واني ارجو من المتفقهين في الماركسية ان ينوروني عنها

يعزى الى ماركس فضل توجيه الفكر البشري لاول مرة فى التاريخ الى اهمية العامل الاقتصادي فى الحياة الاجتماعية، فقد كان المفكرون قبله لا يعيرون هذا العامل الاهمية التى يستحقها وجاء ماركس أخيراً فوجه الانظار اليه بشكل مركز شديد بحيث جعله المحور الاساسى فى المجتمع والمحرك الاول للتاريخ، ان هذا التركيز من ماركس على اهمية العامل الاقتصادي قد ادى لدى بعض الاتباع الى التطرف فيه كما هو شأن المتطرفين من الاتباع دائما، وقد لاحظ انجلز بوادر هذا التطرف لدى شبان الماركسيين فى زمانه فاعلن انتقاده له وشجبه، ان انجلز يعزو قسطا من مسؤولية هذا التطرف الى نفسه والى رفيقه ماركس حيث يقول ما نصه: ماركس وأنا نحمل جزئيا مسؤولية كون الشبان يعطون الجانب الاقتصادي وزنا اكبر مما يجب، ففى مواجهتنا لخصومنا كان علينا ان نؤكد المبدأ الاساسي الذي ينكرونه، وفي

هذه الحال لم نجد دائما الوقت والموضع والظرف الذي يتيح لنا اعطاء العوامل الاخرى التي تشترك في الفعل المتبادل مكانها..

وقد ذكر انجلز كيف ان العوامل الاخرى لها اهميتها التي لا تنكر في تفسير الاحداث كعامل الحروب والسياسة والدين والافكار وغيرها، وهو يقول في ذلك: اذا ما قام احد بتشويه هذا الموقف بمعنى انه جعل العامل الاقتصادي العامل المقرر الوحيد فانه بذلك يحوله الى جملة فارغة مجردة حمقاء، ويأتي انجلز بامثلة من تاريخ المانيا كظهور الدولة البروسية أو كيف تشكلت الامارات الصغيرة التي كانت قائمة في المانيا حينذاك، او كيف انقسم الالمان في لهجاتهم تبعا لمواقع سلاسل الجبال، فهذه أمور لا يمكن تفسيرها في رأي انجلز بالعامل الاقتصادي وحده، بل لابد من ان تكون هناك عوامل اخري تعمل عملها.

تطور المجتمع.

خلاصة رأي ماركس في المجتمع البشري انه يقوم على اساس مادي اقتصادي، فالبشر حين يعملون في انتاج المواد الضرورية لحياتهم يدخلون في علاقات تنظم انتاجهم، وان مجموع هذه العلاقات يؤلف القاعدة التي يبني عليها المجتمع. ويقوم على هذه القاعدة ما يسميه ماركس بـ (البناء الفوقي) وهو الذي يتكون من جميع مظاهر التراث الاجتماعي كالعادات والتقاليد والعقائد والقوانين وقواعد الاخلاق والفنون والفلسفة وما اشبه، ان البناء الفوقي يستمد جذوره من القاعدة التي يقوم عليها، وهو يتغير بتغيرها، وفي رأي ماركس ان التاريخ البشري هو نتاج الصراع بين الطبقات ويفسر ماركس هذا الصراع بانه نتيجة التناقض الذي يحصل بين القوي المنتجة وعلاقات الانتاج، فالقوى المنتجة تتألف من البشر الذين يعملون في الانتاج مع ادواتهم، وهذه القوى تسير في سبيل التحسن والتطور بمرور الزمن،

ولكن علاقات الانتاج لا تستطيع ان تماشي هذا التطور في القوى المنتجة، ومن هنا ينشأ التناقض بينهما حيث يظهر الصراع بين الطبقة المستغلة (بفتح الغين) والطبقة المستغلة (بكسر الغين)، مرة اخرى عبر التاريخ.

ويعتقد ماركس ان المجتمعات البشرية تمر في تاريخها بمراحل أو انظمة خمسة هي: المشاغبة البدائية، الرق، الاقطاع، الرأسمالية، الاشتراكية، فكل مرحلة من هذه المراحل تعد تقدمية بالنسبة الى المرحلة السابقة لها، وذلك لحصول الانسجام فيها بين القوي المنتجة وعلاقات الانتاج، ولكن هذا الانسجام لا يدوم الي الابد، ولابد ان يتضاءل بمرور الزمن ليحل محله التناقض، وبذا يبدا الصراع وتنشب الثورات التي تؤدي في نهاية المطاف الى قيام مرحلة جديدة.

سُميت هذه النظرية بـ (المادية التاريخية) وهي كانت في الواقع اعظم نظرية اجتماعية في حينها وقد لقيت رواجا كبيرا في اوساط المثقفين التقدميين في اوربا، واعتبرها انصارها صنوا لنظرية داروين تلك لعلم الاحياء وهذه لعلم الاجتماع، مشكلة هذه النظرية تكمن في اتباعها وليست فيها فقد اراد لها ماركس ان تكون مرشدة للعمل، ولكن اتباعها، او بعضهم على الاقل، جعلوها عقيدة ثابتة لا تقبل الشك او التغير، لقد اصبحت فرضية المراحل الخمس التي جاء بها ماركس بمثابة (المسطرة) يلجأ اليها الاتباع كلما أرادوا دراسة مجتمع من المجتمعات او دراسة تاريخية، فليس عليهم سوى وضع تلك (المسطرة) على المجتمع ليروا اية مرحلة هو فيها، ثم يبدأون بعدئذ بالبحث عن القرائن والادلة التي تؤيدهم في ذلك، ان هذا هو ما فعله كوتلوف في كتابه عن ثورة العشرين، فهو لكي يدرس تلك الثورة وجد من الضروري ان يضع (المسطرة) على المجتمع العراقي في زمن نشوب الثورة، وقد توصل كوتلوف الى نتيجة هي ان المجتمع العراقي كان حينذاك يعيش في

مرحلة الاقطاع، ولهذا كانت ثورة العشرين فى رأيه نتاج الصراع بين طبقة الجماهير الكادحة كالبدو والفلاحين والحرفيين من جهة، وطبقة الاسياد المستغلين لهم من الجهة الاخرى، نحن لا ننكر اهمية الصراع الطبقى فى تفسير احداث التاريخ، ولكننا مع ذلك لا يجوز ان نحشره فى كل حادثة ونفسر به كل شيء، فان المجتمعات تختلف بعضها عن بعض فى نوع الصراع القائم فيها، كما ان الاحداث التى تقع فيها تختلف واحدة عن الاخرى فى طبيعة الدافع الرئيسى لها، خذ ثورة العشرين مثلا، فهى اذا كانت نتاج الصراع الطبقى على نحو ما قال به كوتلوف فمعنى ذلك ان الصراع يجب ان يكون بين الشيوخ وأفراد عشائرهم باعتبار ان الافراد كانوا الاقنان الكادحين، وان الشيوخ كانوا المستغلين لهم، هذا ولكن الواقع الذي شهدناه كان على النقيض من ذلك).

هذا كل ما قاله الوردي فى النظرية الماركسية نظرية وتطبيقاً، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وعلى الذين نظروا ان الوردي تأثر بالنظرية المادية لم يقرءوا الوردي جيدا، فالرجل اوضح الفرق بين مثالية هيغل ومادية ماركس، ووضح ان ماركس كان هيغيلا قبل ان يؤسس نظريته.

فكر الوردي في ايران

الشعب الايراني يختلف بطبيعته الاجتماعية والسياسية عن الشعب العراقي بالرغم من ان الشعبين يتجاوران الاف الكليومترات المربعة، الا ان هذا التقارب الجغرافي تفصله عوامل الطبيعة المؤثرة متمثلة بجبال زاكروس الايرانية التي تمتد لأطول مسافة فاصلة بين شعبين وعنصرين هم الفرس والكرد عن السهل العربي في وسط العراق وجنوبه ومن ثم يأتي نهر كارون مندمجا مع شط العرب، حيث يسكن ضفتيه الايرانية والعراقية نفس القبائل

العربية منفتحين على الخليج العربي الذي يقطع الصلة بين الشعبين، الا من ذكريات حروب مآسي واحتلالات متبادلة... لذلك لم تكن الجغرافية عاملا مساعدا في التقارب الاجتماعي والسياسي بين الشعبين في القرن الفائت، ويجب الاخذ بنظر الاعتبار انه لم تكن الثورة الرقمية والانترنت قد حدثت في القرن الماضي

المتابع للاحداث الاجتماعية والسياسية في القرن الفائت يستطيع ان يرى بوضوح تبعية ايرانية للاحداث العربية او العراقية سياسيا واجتماعيا، شريطة ان يقرأ الاحداث بعين متابع محايد، دون تحيز عرقي او طائفي، ولأجل توضيح هذه النقطة من خلال المتابعة المحايدة، نذكر الدلائل التالية:

اولا : اول حركة قادها الجيش العراقي في مايو ١٩٤١ بما اطلق عليه حركة مايس بقيادة رشيد عالي الكيلاني ضد حكم الوصي في العراق، وقد لاقت الحركة تأييدا شعبيا جارفا، حتى انك الى هذا اليوم لا تستطيع مناقشة تفاصيل هذه الثورة، التي يطلق عليها (ثورة مايس الوطنية) في العراق.

الا ان الجارة ايران لم تشهد بعد انقضاض رضا (خان) بهلوي على الحكم فيها، اية حركة تمرد سواء في الجيش او عند الشعب، وقد استطاع الشاه رضا ان يوحد البلاد الايرانية ويبسط فيها النظام، ويضع ولده الغض آنذاك محمد رضا وليا للعهد، وقد شهدت ايران في عهده نهضة عمرانية اسست بنية تحتية لدولة ايران العصرية، ما زال التاريخ يسجلها له، لكنه اخطأ في حساباته السياسية حينما وقف مؤيدا ومساعدا لقوات المحور (المانيا النازية، ايطاليا واليابان) في الحرب العالمية الثانية، حيث اضطرته قوات التحالف (الولايات المتحدة الامريكية، روسيا، بريطانيا وفرنسا) على التنازل عن الحكم لصالح ولده (محمد رضا) وابعدته منفيا الى جزيرة موريس

ولم تظهر اي حركة مطالبة بالتغيير سواء الملكي او الديمقراطي في تلك

الفرصة التاريخية، ولم يتحرك الشعب الايراني ضد الشاه الجديد (محمد رضا) الا حين انفرد الدكتور محمد مصدق رئيس الوزراء الايراني برأيه في تقنين بيع النفط الايراني والمشاركة فيه وذلك عام ١٩٥١.

الدكتور محمد مصدق اراد ان يلبس المعارضة الدينية الايرانية الكلاسكيكة ممثلة بآية الله كاشاني معطف الجبهة الوطنية، ولكن رجال الدين خذلوه في منتصف طريق الثورة، بعد ان هرب الشاه الصغير من ايران، وتدخلت الولايات المتحدة بانقلابها العسكري، ليواجه (مصدق) المحاكمة ثم الاقامة الجبرية في القرية التي ولد فيها وتمت محاكمة اركان نظامه، واعدم وزير خارجيته حسين فاطمي!!، يتضح لكل قاريء مدقق، من خلال التسلسل الزمني للتاريخ ان الحركة الوطنية في ايران ضد النظام الملكي تأخرت عن مثيلتها في العراق عشر سنوات.

ثانيا: بعد ثورة مصر عام ١٩٥٢ وتوالي الثورات العسكرية والشعبية في العالم العربي، اطاحت ثورة ١٤ تموز يوليو العراقية عام ١٩٥٨ بالنظام الملكي في العراق وجاءت الجمهورية العراقية الاولى برئاسة عبدالكريم قاسم، ودخلت بعدها العراق الى ثورات متعددة لأجل استلام السلطة فيها حتى وصلت في ذروتها الى الاحتلال الامريكي الذي ازاح نظاما واتى بنظام آخر.

توقف الشعب الايراني منذ حركة مصدق عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٦٢ عن المطالبة الشعبية بالتغيير، ولا ينكر ان هناك بعض الاحزاب اليسارية والدينية التي اعتمدت العنف في طهران حاولت ان تتحرك، ونفذت بعض الاغتيالات السياسية، لكن حركتها كانت محدودة جدا، حيث لم يصل صداها الى بعض المدن القريبة من طهران، ومثل هذه الحركات لا يمكن ان تحسب على انها ثورات عسكرية او شعبية، حتى جاء الوقت الذي تأثر فيه

المناخ الايراني الديني بالحركات الثرية العراقية بين انقلاب على الملكية وانقلاب على الجمهورية الوليدة

ظهرت حركة الامام الخميني حيث بدأ ثورته من مدينة قم المقدسة ايرانيا، وحاول ان يدخل الوطنين الايرانيين تحت عباءاته، ولم ينجح، كما لم ينجح سلفه مصدق في ادخال رجال الدين في ثورته، ... هذه المرة كان الشاه متمرسا ومسنودا، فتعامل (الشاه) بقسوة مع هذه الثورة الشعبية واجهضها، مبعدا قادئها الخميني الى تركيا ومن ثم الى العراق.

وغط الشعب الايراني بعد فشل حركة الخميني مرة اخرى في سبات طويل دام حتى العام ١٩٧٨ لتشتعل الثورة في انحاء ايران، حيث أتلفت قوى الشعب الايراني لأول مرة تحت خيمة (الامام) في باريس... ويعود الخميني بعد عام مسقطا نظام الشاه الهش، مؤسسا اول جمهورية في ايران، هذه الجمهورية جاءت متاخرة عن اول جمهورية في العراق بعقدين من الزمن.

وهكذا هو الحال الان حيث تمور الدول العربية بثورات محلية الصنع واجنبية التصنيع، تتوالى فيها سقوط الانظمة التي حاول الشعب الايراني ان يحاكيها، لكن سلطات المرشد (خامنئي) اسالت الدماء واوقفت المد الثوري مؤقتا... وانت عزيزي القاريء في اي وقت تقرأ هذا الكتاب بعد ان خرج من يدي تستطيع ان تكمل الصورة البعدية للمشهد والذي هو في وقتنا الحاضر (اثناء الكتابة عام ٢٠١٣) من عالم الغيب.

هذا من الجانب السياسي وكذلك نرى ان الجانب الديني لا يختلف كثيرا، فثورة التنباكو في ايران صدرت بفتوى امام يسكن في العراق، وثورة العشرين العراقية استمدت جماهيريتها الجارفة بفتوى الجهاد الصادرة من المراجع وعلماء الدين في النجف وكربلاء وسامراء، اما الفقيه المتخرج من المدرسة النجفية فهو عند الايرانيين اكثر قيمة من فقيه قم، وكذلك المصادر

العلمية في غالبها تصدر عربية من النجف لتدرس في قم، فالتأثير الاجتماعي والثقافي العراقي كان واضحا على الحوزة العلمية في مدينة قم.

فالحوزة العلمية في مدينة قم تقدر من يدرس في مدارس النجف تقديرا خاصا، وربما احتفظ بعض المراجع في مدينة قم بلقبهم النجفي بالاضافة الى لقبهم الاصلي، كالمرجع السيد المرعشي النجفي، فالتقدير يختلف بين عالم درس في النجف عن عالم لم يدرس فيها، وربما ما زالت النجف الى يومنا هذا تمثل عبئا ثقيلا على القيادات الدينية الايرانية، حتى لو كان المرجع في النجف ايرانيا، وحتى لو كان مراجع ايران لهم سلطة سياسية عليه، الا انه يمثل المدرسة النجفية الام، وهذا ما يجعله مميزا، لذلك فان المدرسة الثقافية الايرانية والدينية منها على وجه الخصوص كانت وما زالت تتلقف الكتب والاصدارات من النجف وكأنها كنوز اومراجع ومصادر يستمد منها الفكر وعيه.

كان الدكتور علي الوردي من الاسماء العربية التي نقلت ايران كتبه الى اللغة الفارسية، كان وعاظ السلاطين اول ما ترجم الى الفارسية ولسوء الحظ، فقد ترجم عنوانه خاطئا وجاء اسمه بالفارسية (نقش وعاظ در اسلام، دكتر على الوردى، ترجمه محمد على خليلى) ما يعني اسم الكتاب (دور الوعاظ في الاسلام)، المؤلف الدكتور علي الوردي والمترجم محمد علي خليلي، واعتقد ان القاريء العزيز يفطن لمستوى التدليس الذي سيدخل الى ذهن القاريء من جراء العنوان الجديد، الذي يختلف تماما عما اراده الوردي، ولم اطلع شخصيا الا على اسم الكتاب من خلال اخذه مصدرا في بعض الكتابات الايرانية، لذلك لا استطيع المقارنة بين الاصل والترجمة، ولكن من خلال العنوان (المزور) لا يمكن الاعتماد على بقية الترجمة.

وارى وبناء على هذا العنوان ومن خلاله، فقد اتجه علماء فارس

يأخذون من الوردي ما يناسب قضيتهم، واضطرادا وللتاريخ اقول: ان الوردي الذي كان يحب ان تطبع كتبه وتنتشر بين الناس بابخس الاثمان، الا انه لم يكن موافقا ولا راضيا بان تطبع له اغلب المطابع الايرانية كتبه دون اخذ رأيه او اعطاءه اي حقوق، وقد تأثر بعض علماء فارس وكتابها بافكار الدكتور الوردي، وخاصة الدكتور علي شريعتي الثائر الذي كان يسمى فيلسوف الثورة الايرانية، والشيخ مرتضى مطهري احد منظري الثورة الذي اغتيل في بدايتها.

الشيخ مرتضى مطهري

تأثر الشيخ مرتضى مطهري وهو (آية الله مرتضى مطهري ١٩٢٠ - ١٩٧٩ عالم دين وفيلسوف اسلامي من ايران، له مؤلفات عديدة في العقيدة والفقه والفلسفة، كان احد قادة الثورة الايرانية ومن المقربين من الامام الخميني، اغتالته منظمة فرقان في بدايات ايام الثورة عام ١٩٧٩)، تأثر بافكار الوردي التي تحرض على الحركة ضد الجمود الفكري والتحجر، خاصة وان البيئة الايرانية يومها كما قدمت اعلاه، كانت قد تجمدت عن الحركة امام النجاحات التي حققها الشاه على جميع الاصعدة السياسية والاجتماعية.

يعتبر آية الله مطهري من رجال الدين الكلاسيكين، وقد اخذ من الوردي ما ينفع اتجاهه الفكري، فقد ذكر الشهيد مرتضى مطهري في الطبعة السادسة من كتابه (مقدمه اى بر جهان بينى اسلامى، وحى ونبوت) واترجم شخصيا عنوان الكتاب الى اللغة العربية بعنوان (رؤية الاسلام العالمية، الوحي والنبوة) وفي الصفحة ٢٩ منه النص التالي: (على قهرمان تيغ وتسبيح است، هم مرد تيغ است وهم مرد تسبيح، اما براى مغلوب كردن كدام طبقه؟ طبقه زير دست ومحكوم يا طبقه زبر دست وحاكم؟ شعار على چيست؟ شعار على (كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا) است، على در تمام

عمر دوست تيغ وتسبيح بود ودشمن طلا تيغ او عليه خداوندان زر وزور به كار رفت به قول (دكتر على الوردى) در كتاب مهزلة العقل البشرى على با شخصيت خود فلسفه ماركس را نقض كرده است.

يستند الشيخ المطهري على رأي الوردي من كتابه مهزلة العقل البشري بقوله بأن شعار علي بن ابي طالب عليه السلام كان السيف والمسبحة، فهو كان خصما لكل ظالم ويؤكد ان الدكتور الوردي قال في مهزلة العقل البشري ان سلوك وشخصية الامام علي قد نقضت فلسفة كارل ماركس المادية.

يؤسفنا ان الكتب التي ترجمت للوردي الى اللغة الفارسية كانت وعاظ السلاطين وقد عبث في معنى اسم الكتاب اثناء الترجمة، وكذلك مهزلة العقل البشري، وبالرغم من هذا الكم القليل الا ان اسم الوردي بل فكره واحيانا فكرته كانت منهجا اتبعه الشيخ المطهري لأيصال افكاره الى الناس، فهو في رؤية الاسلام العالمية وهو اشهر مؤلفاته، يذكر ان الاسلام المحمدي الحقيقي انتشر بفكر وتصرفات علي بن ابي طالب عليه السلام، حيث كان قدوة بالنسبة للذين دخلوا الى الاسلام، مستنداً في ذلك الى آراء الوردي في مهزلة العقل البشري، حيث ان الناس قد تركت المحجة البيضاء وسار كل في طريق وكل فرقة تدعي انها الفرقة الناجية، كما كان يقول الوردي.

الدكتور علي شريعتي

اما الدكتور علي شريعتي وهو (علي شريعتي١٩٣٣ - ١٩٧٧، مفكر اسلامي إيراني مشهور ويعتبر ملهم الثورة في ايران، التي قامت بعد مقتله بعامين، تخرج من كلية الآداب بجامعة طهران، اتم دراسته في الجامعات الفرنسية حيث حصل على الدكتوراه في تاريخ الإسلام وعلم الاجتماع من اشهر مؤلفاته التشيع العلوي والتشيع الصفوي، الاسس الاسلامية، ابتاه اماه

نحن متهمون، فاطمة هي فاطمة)، كان شريعتي قد تأثر بكتب وافكار وآراء الوردي وخاصة انه لم يكن رجل دين او انما كان استاذا قد حاز على الدكتوراه من جامعة فرنسية وعاش في الغرب، وجاء بافكار اصلاحية اجتماعية رفضتها النخبة الدينية في ايران في باديء الامر، فقد اتفق الدكتور علي شريعتي في كتابه (زير بناى اسلام) او اسس الاسلام، الذي تطابق فيه مع كتاب وعاظ السلاطين لعلي الوردي حينما حدد انه لا يمكن اصلاح المجتمعات الاسلامية بالوعظ فحسب، خاصة اذا كان نفس الوعاظ لا يتبعون النصائح التي يسدونها الى الناس، وهو نص ما قاله الوردي قبل خطب شريعتي بعشرة اعوام في وعاظ السلاطين بقوله: ان الوعاظ يعتمدون المنطق الافلاطوني في الوعظ الارشاد، والطبيعة البشرية لا يمكن إصلاحها بالوعظ وحده، وان الوعاظ انفسهم لا يتبعون النصائح التي ينادون بها وهم يعيشون على موائد المترفين.

الوردي نأى بنفسه عن انتقاد الدين بل كان ينتقد وعاظ الدين، الا ان شريعتي انتقد استخدام الدين مطية للسيطرة على المجتمع، زاعما انه باستحمار الناس تستطيع ان تلوي عنق الدين فيما يناسبك، ولم يحدد (شريعتي) الوعاظ عن غيرهم من رجال الدين، خاصة وان الوعاظ في ايران معرفون باسم (روضه خوان) وتلفظ الضاد زآء باللغة الفارسية، فكان ان فتح على نفسه ابواب النقد اللاذع من الجميع، ونرى ان الوردي قد قال في كتبه ان التسنن المحمدي والتشيع العلوي فكر واحد انما الاختلاف جاء بين التسنن الاموي التشيع الصفوي، ومات الوردي وهو على هذه العقيدة، وقالها في احدى محاضراته يوماً: (انا اعتقد ان دين محمد الحق قد دفن في قبر علي يوم مقتله)، الدكتور علي شريعتي وضمن رواية تاريخية مطولة استخرج من عنوان الوردي هذا كتابا اسماه (التشيع العلوي والتشيع الصفوي)، اكد فيه ان التشيع العلوي والتسنن المحمدي هما في الواقع فكرة

واحدة، ولكن الاختلاف بين التسنن الاموي والتشيع الصفوي هو من خلق الاختلاف، الى هنا كان التطابق بين المفكرين واضحا ان كان الوردي سبق شريعتي باكثر من عشرة اعوام، ولا استطيع ان القول بان شريعتي لم يطلع على كتب الوردي، فهو قد ذكرها وذكر مؤلفها في اكثر من مكان.

وقد وجدت هذا النص الذي ذكره الوردي فى الجزء الاول من لمحات اجتماعية مترجما الى اللغة الفارسية بالكامل فى كتاب الدكتور على شريعتى، والنص هو: (لم يكن الشيعة روافض فى أول أمرهم، وكذلك السنة نواصب، إنما هو التطرف، أو ما أسميناه بالتراكم الفكري، الذي أدى بهما إلى هذه النتيجة المحزنة، وإذا أردا الشيعة وأهل السنة فى هذا العصر أن يتحدوا فليرجعوا إلى شعارهم القديم الذي اتخذه زيد بن على وابو حنيفة، أي شعار الثورة على الظلم فى شتى صوره...، لا فرق فى ذلك بين الظالم الشيعى أو الظالم السنى، إن هدف الدين هو العدل الإجتماعى، وما الرجال فيه إلا وسائل لذلك الهدف العظيم (مأخوذة عن وعاظ السلاطين).

يقول شريعتى: اين بود كه تشيع صفوي كه نه تنها هيچ وجه مشتركي با تسنن نداشت بلكه در قبال آن بوجود آمده بود، وهميشه تشيع وتسنن يكى بود، ولى متعصبان آن را ساختند، ومن ثم يقول الوردي: كان سلاطين الصفويين لا يختلفون اختلافا اساسيا عن سلاطين العثمانيين، كلهم يعبدون الله وينهبون عباد الله، ويقول الدكتور شريعتي: زيرا همانطور كه صفويه براى جنگ با عثمانى به يك نوع تشيع ايراني نيازمند بود، عثماني نيز براي جنگ با صفويه به يك نوع تسنن تركي تكيه ميكرد وبدين گونه بود كه اسلام واحد، به دو دين متخاصم مستقل شد، ويقول الوردي: قالوا "ان السياسة مادخلت فى شىء الا افسدته " فدخلت وافسدت مختلف المذاهب والاديان، لقد ان لابناء الجيل الجديد، ان يتعظوا بعبر الماضي، وان يسلكوا

من جديد مسلك قادتهم الاولين فى ثورتهم على الظلم بشتى صوره، ان الاخلاق ماهى الا نتيجة من نتائج الظروف الاجتماعية، فالغربيون لم تتحسن اخلاقهم، الا بعد ان تحسنت ظروفهم الحضارية والاقتصادية، وقال شريعتي: ودرست در حالى كه مسيحيت با رنسانس وبورژوازي تازه بپا جان مي رفت وبا علم وصنعت وثروت مجهز ميشد واسلام را تهديد ميكرد، اسلام به جان اسلام افتاده بود ودشمن را فراموش كرده بود، با مليت ايرانى يك نهضت تازه ونيرومند بوجود آورد، واين دو قدرت در اين نهضت چنان در هم جوش خوردند كه قابل انفكاك نبودند.

ارجو من القاريء العربى ان لا يستغرب عدم ترجمتى للنصوص الفارسية، لأنها ان لم تكن مطابقة نصاً، فانها تتفق تماما فى طرحها، وكأن المتحدث يترجم كتابا بتصرف فقط لا غير، ويؤخذ على الدكتور على شريعتى وهو المتخرج من الجامعات الاوربية فى عدم نسبة الاقوال المنقولة لأصحابها، وبالاخص الدكتور على الوردي، ربما اجد له شخصيا العذر، حيث كان يخطب فى الحسينية، وتطبع خطاباته على شكل كراس ثم تجمع فى كتاب، وقد كانت حياته السياسية معقدة جدا فى ظل النظام الشاهنشاهى فى ايران، حيث التنقل الدائم بين المدن والمطاردة المستمرة، حتى هروبه من ايران الى بريطانيا واغتياله هناك، لكن على الذين تكفلوا بتراثه ان يعيدوا اخراجه وتنظيمه وتبويبه مرة اخرى.

كانت هذه صورة عن بعض ما نقل في بلاد فارس من كتب وما نقل عنه، وقد اخذ منه كل من اراد بما يتناسب مع ذوقه العلمي والاجتماعي والسياسي والديني

مناقشات الوردي في مجلس الخاقاني

فكرة تأسيس مجلس الخاقاني التي طرحها الوردي كانت ترتكز على ايجاد مكان يمتلك فيه الوردي حرية الكلام دون مقاطعة ومن ثم طرح الاسئلة من قبل الحضور، ليقوم بالرد عليها، لأن المجلس اليومي كان مرهقاً وغير قابل للتطبيق عملياً، فان الوردي اختار يوم الخميس لمجلس الخاقاني واستمر الحال لثلاثة اشهر فذاع صيت المجلس وبدأ الادباء والكتاب يقصدونه، ويوم الخميس يتضارب مع موعد انعقاد احد اهم المجالس البغدادية واعرقها وهو مجلس الشعرباف، الذي يشترك جمهوره من حيث الذائقة الادبية مع مجلس الخاقاني حديث التأسيس، فبحثنا عن يوم آخر، ولم يكن هناك يوم متاح الا يوم الاثنين، ليلة الثلاثاء من كل اسبوع، اذ كانت الايام مقسمة على المجالس البغدادية صباح الجمعة للدكتور عبدالحميد الهلالي والاستاذ مكي السيد جاسم السبت منتدى ابي حنيفة الاحد للاستاذ محمد جواد الغبان الثلاثاء مجلس آل محي الدين الاربعاء منتدى بغداد والخميس آل الشعرباف، و(مجلس الدكتور رشيد العبيدي ومجلس الدكتور خالد العزي الشهري ويعقد كل اول اربعاء من بداية الاشهر الميلادية ومجلس الاستاذ علي الحيدري النصف شهري، وهذه المجالس الثلاث لم يكتب لها الاستمرارية مع الاسف الشديد، كما ان مجلس الاستاذ الغبان اغلق ابوابه في ذروة ايام الحصار من عام ١٩٩٤، وقد اسس الدكتور راجي التكريتي مجلساً شهرياً حديثاً يسجل المحاضرات بالفيديو، لكنه انتهى بعد اربعة اشهر من تأسيسه بسبب اعدام الدكتور التكريتي.

دخل الوردي في مجلس الخاقاني في مناقشات عديدة، اغلبها كانت من طرف واحد، اي انها تنتهي بانتصار ساحق للوردي على مناقشه بسبب عدم دخول المتخصصين في علم الاجتماعي والباراسايكولوجي والتاريخ في

مناقشات مع الوردي، وعدم دخول الوردي في مناقشات مع المتخصصين في غير علمه، بل دائما كان يكرر استفدت كثيرا من هذه المحاضرات وخاصة الطبية، وكان سؤاله الدائم للمحاضر بما يمكن ان يشكل في ذهنه العبقري على المحاضرة، وكل ما سأله الوردي للمحاضرين كان مفيداً، واضع هذه المعلومة للتاريخ، ولكي يتعلم منها التسقيطيون الذين يبحثون عن الثغرات في كل شيء ليسألوا مدعاة منهم بمعرفة بعلم او بفهم لا يملكه الغير.

لكن الوردي اذعن لبعض مناقشيه بحجة ان العلم يتطور، وانه لم يطلع على ما قالوه، وانه يختلف معهم في الرأي ويؤيد ما ذهبوا اليه، او انه استغرب من امر لم يكن يدري به، وقد اخترت هذه المناقشات لما فيها من معلومات تفيد القاريء والباحث، وان كانت دلالتها الكبرى هي الخلق العالي الذي يميز العلماء المتناقشين والقبول بالرأي الآخر، وكل المناقشات انتهت بالمحبة والمودة التي ابتدأت بها.

مناقشة العلامة الدكتور حسين علي محفوظ

طرح العلامة الدكتور (حسين علي محفوظ ١٩٢٦-٢٠٠٧ عالم موسوعي عراقي، حاز على الدكتوراه في الادب المقارن من جامعة طهران، كان استاذا محاضراً في جامعة سان بطرسبورغ لسنوات والاستاذ الاول في جامعة بغداد، له اكثر من الف عمل منشور بين مقالة ومحاضرة وكتاب، وكان عضوا مشاركا في اغلب المجامع العلمية العربية والشرقية والاوربية، فيما عدا المجمع العلمي العراقي!) طرح على الدكتور الوردي فكرة غاية في الاهمية تتعلق بشخصية الوردي، وهي ان الوردي دائما ما يشيد بدايل كارينجي وكتابه الشهير كيف تكسب الاصدقاء وتؤثر في الناس، ويرى الوردي ان النقاط الاساسية التي اعتمدها كارينجي تنفع كل انسان ان يعيش

مع الآخرين بفهم ووعي كامل، فأيد الوردي ما قاله محفوظ، فسأله محفوظ اذن فمن الاولى ان تطبق هذه المفاهيم التي طرحها كارينجي والتي تؤيدها على نفسك؟.

واسقط في يد الوردي، فهو بطبيعته لا يستقبل احداً في بيته حتى لو كانت الزيارة لعيادته وهو مريض، ولا يرضى ان يقاطعه احد، ولا يقبل اغلب الدعوات التي توجه اليه، ولا يحب المصافحة باليد ويكره التقبيل اثناء السلام، وربما لو قمت بتقبيله، استاء وقال بصوت مسموع: يبوس وعرقان فوقها، اي انه يقبل الناس ووجهه متعرق، وكما هو معروف منهج كارينجي لم يكن كذلك، بل كان العكس على ذلك تماما، بعد ان اكد الوردي ما قاله محفوظ، بكلمة اي والله، استدرك قائلا، وباللهجة العراقية واترجمها هنا: انا لا افعل ذلك، الا لأني ارى ان مجتمعنا العراقي قد افاض واسرف في المجاملات، وهو عكس المجتمع الامريكي الذي يشكو البرودة وقلة المجاملات فكتب كارينجي يدعوهم للعودة اليها، فاردت ان انفي هذه الصفات عن نفسي اولا، وادعو لها في المجتمع العراقي ثانيا، فالشخص في المجتمع الغربي قد يحيّك بايمأة رأس او برفعة يد، او قد لا يحيك او يسلم عليك اذا وجدك مشغولا او كان هو مشغول بعمل يقوم به، ولكن الشخص العراقي قد يترك عمله ويأتي ليسلم عليك، وان كان مضمخاً بالعرق فانه يقوم بتقبيلك على وجنتيك اكثر من مرة، ويسالك لأكثر من مرة (شلونك)، اي كيف حالك فتجيبه بانك بخير، فيعاود السؤال نفسه (شلونك بعد)، واذا كنت تتحدث في مجلس ما، فان الشخص العراقي يدخل الى المجلس مسلما على الناس بصوت عال، قائلاً (السلام عليكم) فيرد عليه الجميع بنفس الصوت، بل بعضهم يتبارز لكي يكون صوته اعلى واجابته اطول حتى لا تفوته السنة فالرد بالتحية باحسن منها، ولا يكتفي بذلك بل يمد يده ليسلم على الحضور، او ربما قام بتبادل القبل مع اغلبهم، ثم ما ان يستريح في

كرسيه، حتى تتعالى الاصوات من جديد الله بالخير، ومن اراد ان يجود قال مساكم الله بالخير، فيرد الضيف عليهم، قل لي بربك ماذا تتذكر من المحاضرة التي كانت تلقى والحديث الذي كان يدور، بعد ان اضعنا اكثر من ربع ساعة في استقبال شخص واحد، جاء متأخراً للمجلس، فكيف لو جاء اربعة اشخاص، هل نقف لهم ساعة كاملة ليتموا سلامهم وتحيتهم، علامتنا الغالي واستاذنا محفوظ، لو كان دايل كارينجي عرف بهذا السلوك العراقي في التحية والسلام، لكتب كتاباً في ادانته!!.

سأل العلامة محفوظ الوردي قائلاً دكتور: لقد شخصت على مدى نصف قرن امراض المجتمع العراقي، وقد سلطت الضوء عليها، ربما اختلفنا معك او اتفقنا، وقلت بازدواج الشخصية العراقية، نسألك ما علاج هذه الامراض بصفتك عالم اجتماع، وكيف يمكن للمجتمع ان يتخلص منها؟، قال الوردي: ليس من واجب عالم الاجتماع ان يكون مربياً للمجتمع، بل هو كشاف للعلة، بل هو باحث ودارس للمجتمع ووظيفته الاشارة الى الداء واسبابه، الدواء فعلى المصلح الأجتماعي وصاحب السلطة، المصلح يوصل الافكار الى الناس ويحاول اصلاحهم، وصاحب السلطة يصدر القوانين المتوافقة مع الاصلاح المجتمعي، لكي يتحول المجتمع بالتزامه بالقانون الى مجتمع نافع، لكن اذا كان مصلحلنا مخرباً، وسلطتنا تصدر القوانين العكسية، بل ربما سعت لتخريب المجتمع لأجل فائدة وقتية تتواخاها، فتلك هي المصيبة.

واخيراً انقل نصاً من مقابلة اجرتها الصحفية القديرة نجاة عبدالله مع العلامة الدكتور حسين علي محفوظ قبل وفاته رحمة الله عليه، سألته عن الوردي فاجاب: الدكتور علي الوردي ابن عم والدي وتلميذه وربيبه، وكثر اختلاف الناس فيه، كان الوردي من اساتذة الثانوية المركزية في مطلع الاربعينيات وتتلمذت على يديه فيها برهه من الزمن، وقد كان الوردي تلميذ

القرآن واحاديث النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وله نظريات في علم الاجتماع (الحضارة والبداوة)، (ازدواج الشخصية)، (نظرية العقل) وكذلك كتابه (طبيعة المجتمع العراقي)، والنظريات بالاضافة الى الكتب هي اهم ما ترك، وهذه الكتابات التي خلفها تعد كتب العصر في مادتها وموضوعاتها وابوابها، بل تعد اهم ما الف في هذا الزمان ومن ابرز معتقدات الوردي هي ان الاسلام دفن عندما دفن علي عليه السلام وان المجتمع يحتاج الى ثورة اخلاقية.

اهتم بمصدرين أساسيين في معرفته وهما القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة النبوية، ومن المؤسف ان بعض الناس يقولون انه كان بعيداً عن الدين... وهو لم يكن كذلك أبدا.. وهنا لا أتحدث عن الالتزام فالالتزام قضية أخرى.. كان تشخيصه للمجتمعات المعاصرة تشخيصاً دقيقاً ومن الأمور الدقيقة جدا لديه هي شخصية الفرد العراقي، وموضوع العقل البشري، والحضارة والبداوة، وازدواج الشخصية وهذه أمور بنى عليها نظريته الاجتماعية.. كان الوردي صديق المجتمع وهو يجالس ويعاشر بسطاء الناس وكان يعتمد على التدوين حين يسمع موضوعا يستحق ذلك يخرج ورقة من جيبه يكتب ما يحتاجه بدقة وإمعان.. وهو رحمه الله لا يرضى ان يتحدث أحد في محاضرته.. ومرة شاهد أحدهم يتحدث مع زميله وحين سأله قال اريد ان اطلب منه ورقة فرد عليه انت تستمع لمحاضرة وتريد ورقة وقلماً.. وهذا هو الطبيعي لدى من يحضر محاضرة علمية، نعم كان الوردي يكره النحو مع ان كتاباته لا تحمل خطأ نحويا.. كان يأتي من بيته في منطقة الأعظمية ماشيا وهو يقرأ (والليل إذا سجى) يكررها مع نفسه بصوت مسموع وحين سأل قال انا أصلي ويقصد مروره على الجسر وهو يردد تلك الآية.. وتنقل عنه رحمه الله نكات ونوادر كثيرة.

هذا كان رأي العلامة محفوظ في الدكتور الوردي تعمدت ان انقله كاملا وبدون تصرف، لكي يضعنا امام مفترق طريق مع من كتب عن الوردي وقال انه يعاقر الخمر ولا يصلي!!، وقد التبست عليه نكات كان يطلقها الوردي ليرى ردود الافعال على ما يقول ويتهكم فيها على بعض افراد المجتمع الذين يظهرون امام الناس غير ما هم عليه في الواقع، ولكن من لا يملك في المنهج البحثي للوردي، ترجمها كما قيلت، ظناً منه انه حقق سبقاً صحفياً، وارى ان الوردي يحتاج الى قاموس وخبرة سنين لتفكيك افكاره ومعرفة كنه ما اراد ان يبلغه للمجتمع، ورأي العلامة محفوظ في ابن خاله وابن مدينته ومعلمه ومن عاش معه اكثر من ستين سنة، اذا افترضنا انهما افترقا للدراسة لبضع سنين فاحدهما يمم باتجاه الشرق ايران وروسيا والآخر باتجاه الغرب الولايات المتحدة وبولندا، هو القول الفصل في هذه المسألة.

مناقشته مع العلامة الدكتور الشيخ عيسى الخاقاني

القى الدكتور علي الوردي محاضرة عن العقل البشري في مجلس الخاقاني، وقد حضر العلامة الدكتور (الشيخ عيسى بن عبدالحميد الخاقاني ١٩٤٠ –...عالم دين وفلسفة، درس في النجف وقم، كان استاذا لجامعة دار التبليغ الاسلامية في قم، واتم دراسته الاكاديمية الى الدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا، كان من قادة الثورة في ايران ولكنه انفصل عنها بعد ان حادت عن اهدافها، مؤلف له اكثر من اربعة عشر كتابا مطبوعا، منها كنتم خير امة، الاطر المركزية، الفكر الاسلامي، الامن الاجتماعي، الاسرة...) حضر العلامة الخاقاني وافداً علينا من الامارات ليستمع لمحاضرة الوردي، وكان ان اغنى المجلس بمناقشة علمية رائعة بينه وبين الوردي، ما زال كل الاحبة الحضور يتذكرونها حيث كانت ليلة لا تنسى من ليالي مجلس الخاقاني، في هذه المحاضرة اتهم الوردي العقل بأنه سبب للشرور الواقعة

في العالم ومنه اشتعلت نيران الحروب فهو المسؤول عما حل في الكرة الأرضية من دمار شامل بسبب ما اخترعه واكتشفه من الأسلحة الفتاكة، وان النجاح والفشل لا يتعلق بالعقل وانما يتعلق بالمنطق المغروس في اللاشعور، معتبرا ان العقل البشري متحيز بطبيعته لصالح الايحاء الاجتماعي والمصلحة الخاصة والعاطفة، مؤكداً ان هناك علاقة تضاد بين العقل الباطن والعقل الظاهر للانسان، فالعقل الظاهر مقيد بالرغبات المعاشة الاجتماعية والجنسية وهي قد تشل قدرات الانسان عن ابراز ما عنده.

لقد كان العقل البشري بلاء على الانسانية جمعاء، فلولا عقل نيتشه ما ظهر فكر هتلر، ولولا ان قرأ موسيوليني كتاب الامير لما اتفق مع هتلر لغزو العالم، ان الانسان يسلك طريقا موحشا بالعقل، وقد يزداد شراسة اذا ما جوبه من علماء التربية ومن المصلحين بالنصح والارشاد على الطريقة الافلاطونية المتوارثة، فربما نسبت نجاحات المرء الى ما يطلق عليه الناس الحظ، وهو لا دخل للعقل فيه، وانما مجموعة مصادفات اوصلت الشخص الى النجاح، وهو لا يمتلك ذلك العقل العبقري.

الشيخ عيسى الخاقاني بدأ رده على محاضرة الدكتور الوردي بالقول، باننا لن نطلب من الناس بالوعظ والارشاد ان يتبعوا العقل، بل سوف نستخدم ادوات البحث العلمي الحديث وآلياته في الوصول الى قيمة العقل من خلال التجربة والخطأ التي يؤمن بها الدكتور الوردي، وتأخذها البشرية منهجاً وشرعة في بحثها نحو الرقي، ولذا نقول ان نسبة الكوارث التي حلت بالمجتمعات البشرية وإحالتها إلى العقل كما يراه الوردي، ان دل على شيء فانه يدل على عدم التفرقة بين عمل العقل وعمل الغرائز الغضبية والبهيمية والشهوية، فالعقل اخترع وابتدع واشترع وقدم ذلك هدية متواضعة لبني الإنسان هذا صحيح!، ثم ان أبناء آدم أساؤا الاستفادة من هذه الفضائل فاستخدموا هذه الوسائل في طريق التدمير والرذائل فهذا صحيح أيضا، فمن

الديناميك إلى الذرة والهيدروجين نماذج هائلة على التوصل العقلي إلى ذرى المجد العلمي، لكن العقل لم يأمر أربابه باستخدام تلك المكتشفات على تدمير الأرض ومن عليها، بل الإنسان الشرير ركن إلى الغريزة الغضبية المودعة فيه من أجل الدفاع عن نفسه فاستخدمها في غير ما أودعت له.

وبالجملة: ان الغريزة الغضبية هي المسؤول الأول في أية حرب وقعت في الأرض وسفكت الدماء، ان الغريزة الغضبية دفعت الطغاة إلى نصب المظالم ونهب الثروات معاني العدل ومفاهيم التصفية الجسدية، ان الغريزة الغضبية هي التي دفعت بجبابرة الأرض إلى أن يغاروا على الديار ويحدثوا الدمار باسم الاستعمار، وان الاستعمار لاسم جائر استعمل في غير ما وضع له في اللغات فهل وجدتم الطغاة عمروا ما (استعمروا) أو أنهم دمروا؟، ان الأستاذ الوردي قد اكتسب العلم بفضل العقل وظهرت منه الشطحات بدافع من الغرائز الغضبية تارة والشهوية أخرى.

العقل يستنبط معناه المطابق من حاق اللفظ الذي وضع له في رقي اللغة العربية فهو يعقل الأمور ويربطها ويشدها من أن تشط أو تشذ أو أن تنفلت يمثل له للتقريب بعقال الناقة الذي يمنعها من الجموح والانفلات، كذا العقل إذا عرضت عليه الأمور ضبطها بعدما عقلها وادركها وأحاط بحقيقتها، وللعقل معنيان إيجابي وسلبي انك ستراه يدرك الشيء ويتوصل إلى أعماق ذاته وذاتياته وما يتبعها من شؤون وصفات ثم يربطها بعقال مشيئته ويضبطها بضابطة إرادته.

لذا ترى أن الوحي يكشف عن معلومة كانت في كتم الخفاء، ولها ابعادها المعرفية، هي أن بداية التكوين ونقطة انطلاق حركة الإيجاد كان هو العقل، وهو الكلمة المشار إليها في الكتاب المقدس: (في البدء كان الكلمة) فأول ما خلق الله العقل، وخلقه مدركا واعيا تلقائيا، فقال له: أقبل فأقبل، ثم

قال له أدبر فأدبر، وحينها – ولا حين هناك – أقسم الباريء: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحسن منك وفي خبر: ما خلقت خلقا أعز منك وفي خبر: ما خلقت خلقا أكرم منك وفي خبر: ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك وفي خبر: اياك آمر واياك أنهى واياك أثيب واياك أعاقب...الخ، فكان العقل مدار التكليف لمن عليه التكليف وعليه مدار الحركة لقافلة الإنسانية في المسير وفي المصير، إذ خصص صانع هذا الوجود العقل للإنسان فحسب وجعل له حركة، وحركته هي الفكر.

وقد استفاضت الأخبار وتواترت حتى جلت عن الإحصاء، نورد منها ملخصاً: قال (ص): قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له، وقال (ص): حسب المرء دينه ومرؤته وخلقه وأصله عقله، وقال (ص) في حديث طويل: ما قسم الله شيئا للعباد أفضل من العقل، وقال أمير المؤمنين (ع): العقل أقوى أساس، وهكذا استفاضت حكمة علي (ع) بذكر العقل، فأتحف العقل بما وصف بالعقل: العقل صلاح كل أمر، وبالعقل صلاح كل أمر، والعقل ثوب جديد لا يبلى، والعقل رسول الحق، العقل أفضل موجود، الجهل أنكى عدو، والعقل يصلح الروية، والعقل مركب العلم والعلم مركب الحلم، والعقل يهدي وينجي، والجهل يغوي ويردي، وزينة الرجل عقله، ولا يستعان على الدهر إلا بالعقل، وقال عليه السلام: العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء، فكما أن الإمام يرشد الأمة وهو مرجعها كذلك العقل تنبعث منه الأفكار، فالفكر حركة العقل ولا يتحرك الفكر إلا بعد عقلانية تمر بالقلب الذي هو عبارة عن مرحلة التمحيص في النفس الإنسانية تقلب الأشياء فتختار الصالح إليها الإشارة بقوله (ع): والأفكار أئمة القلوب، أما الحواس فادراكها للأشياء يأتي من قنوات القلب فهو المسير والمسدد.

لقد نحى الدكتور علي الوردي على العقل باتهامه أنه السبب في الشرور والضرر الواقع بين البشر ذلك لشبهة قامت أشواكها في باحة فكره، فهو إن لم يطلع على ما تقدم من آثار الأخبار الدينية فرضا فانه على علم بإطراء الحكماء العقل وتحديد هويته ومدى امتداد إشعاعاته، فقد قال فيلسوف العرب الكندي في وصف العقل: ان العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها، وكذا وصف الفارابي العقل بأنه جوهر بسيط مقارن للمادة يبقى بعد موت البدن وهو جوهر أَحَدِيّ وهو الإنسان في الحقيقة، وقال الشيخ الرئيس: ان العقل ليس مادة وليس مركبا من قوة قابلة للفساد، وذكر أنه جوهر سماه بالمتبرئ أي: من المواد من كل جهة عقلا، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله (أنا)، وفي تعريفات الجرجاني جاء أن العقل مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله.

يمكن وصف العقل وتموجه في دنيا المعرفة بأنه قوتان للنفس: قوة تصويرية وقوة تأليفية، فهو الذي يصور المعاني ما لا يمكن للحس أن يصورها وهو الذي يؤلف القضايا والأقيسة وهو الذي يجرد الصورة عن المادة ويجردها عن لواحق المادة وهذا خارج عن نطاق الحس الذي يعجزه معرفة المعاني الكلية مثل الجوهر والعرض، فهل العين تفرق بين الجوهر والعرض أو الأذن أو اليد ليس من شأنها ذلك كما أن الحواس تنوء بمعرفة العلة والمعلول وترجو معرفة ذلك من المعقول وهي لا تعرف الغاية والوسيلة وإدراك الخير والشر بل كل ذلك يعود ادراكه والوصول إلى كنهه إلى العقل ليس غير، فهو الذي يجرد المعاني أو الصور الكلية من لواحقها الحسية الجزئية كما أُثِر عن أرسطو، وقد عبر ديكارت عن نشاطات العقل بأنها: قوة الإصابة في الحكم، أي بسبب إشراقات نور العقل نميز بين الحق والباطل وببركة العقل نتوصل إلى جمالية الجميل، وحسن الحسن، وقبح القبيح، ان

هذا التمييز لا يحصل عن قياس وفكر بل يحصل مباشرة وبالطبع، وكان ديكارت في مسيرة حياته الفكرية وحركاته العلمية لا يتلقى شيئا من الأشياء مهما كان على أنه حق اطلاقا حتى يتبين له ببداهة العقل انه حق كذلك!، ويثمر هذا القول ان العقل لا يصدر منه حكم مشوب بهوى، فالهوى مانع وسد رادع عن الوصول إلى الحكم العدل وحتى ترى صحة ما يرى اقرأ وصية رب الورى: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.

ارجو ان لا يكون الدكتور الوردي قد نسي ما قاله ابن خلدون في مقدمته وهو الذي كتب فيه رسالة الدكتوراه، حيث عرف في مقدمته (العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هو العلوم الحكمية والفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقف نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر، والثاني هو العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول)، وكان صاحبه (صاحب المقدمة) عين للعقل درجات من عند نفسه: (١)درجة العقل التمييزي، (٢) درجة العقل التجربي، (٣) درجة العقل النظري، ويبدو ان الدكتور الوردي قد نسي ان بلوغه لدرجات العلى في التحصيل والمعرفة العلمية كان منوطا بتلك القوة الطبيعية الكامنة في نفسه المنبعثة من العقل أو هي العقل ذاته والتي عرف بواسطتها أن يقدم رسالة الدكتوارة في فلسفة ابن خلدون.

ولا يخفى إلى أن العقل يدعو السيد علي الوردي إلى المحاكمة بصفته

المالك لمجموع المبادئ القبلية (appiopi) والتي تنظم المعرفة ومن مجالاتها عدم التناقض ومبدأ السببية ومبدأ الغائية بحكم ضرورتها وكليتها واستقلالها عن محك التجربة تقف في ساحة ضميره لتتهمه بمخالفة قوانينها الثابتة غير المتغيرة وذلك في حكمه على أكبر شخصية أفرزتها مدرسة النبوة المحمدية (علي بن أبي طالب) بأنه عليه السلام كان سبب الفتنة والقلق الإسلامي، والتناقض يأتي في اعتقاده في علي ذلك وهو قائل بإمامته وذا هو صريح التناقض، ومبدأ السببية يناهض اتهامه للإمام مع توفر الأسباب الداعية للخراب الذي حل في البناء للهيكل الإسلامي بعد تداعيات الإنقلاب الذي حل بالمسلمين بعد غياب سيد المرسلين (ص).

وهذه حقائق ضرورية وأبدية يدركها الإنسان بعدما يتولد فيه العقل والعلم وبها يسمو إلى درجات العلى فيعرف ذاته ويعرف ربه ويعرف العالم بمدركاته الفطرية والتجريبية فإن كل المعاني والمبادئ الأولية موجودة في العقل يكشفها الفكر فإن العقل خزانة لمجموع المبادئ الضرورية والمعاني الكلية التي يرجع إليها في تنظيم المعرفة، أما الفكر فهو حركة النفس، وانت تعلم أن النفس مجال حركتها المعقولات لا المحسوسات، وحركتها ذهابا وإيابا تتحرك من المطالب إلى المبادئ، ومن المبادئ إلى المطالب، وقد حاول أحد الحكماء أن يصف هذه الحركة برجز فقال: الفكر حركة من المبادى ومن مبادىً إلى المراد.

وقد خالف العربية بتسكين الراء في (حركة) وبتبديل المبادئ إلى (مبادىً) مفتوحة الياء، تجاوز لا يرضاه سمو علمه، ولا يرتضيه علو فضله!، وختاما: نستخلص القول بأن العقل نور يدرك المبادئ الضرورية بذاته إدراكا حدسيا مباشرا نور يضيء الدرب للسالكين.

وانتهت محاضرة العلامة الخاقاني بهذه الكلمة، فنظرت الى الوردي لأرى وجهة نظره في المحاضرة، الا انه شاركني الاعجاب بما قاله الشيخ، وقال قد لا اتفق مع كل ما قاله الشيخ، فانا اعتقد ان هذا العقل يذهب بنا الى التهلكة ولم نرى منه الا المصائب، وقد قال الشيخ باني استخدمت عقلي للوصول الى ما وصلت اليه وهو على حق في ذلك، لكن هذا يدل على اني واحد من مصائب العقل!!.

وحينما اخذنا استراحة في المجلس، اخبرني الوردي انه سعيد جداً بمناقشة العلامة الشيخ، وانه قد استفاد منها كثيرا، وكان الاستاذ سلام الشماع يستمع الى اقوال الوردي، حينما قال لي: تصورت الشيخ عيسى الخاقاني حين رأيته اول مرة بزيه الديني، بانه رجل دين كلاسيكي، وسوف يكفرني عندما القى هذه المحاضرة، ولكنه فاجأني في مناقشتي باسلوب البحث العلمي الحديث، واستناده في طروحاته على افكار الفلاسفة الغربيين من امثال كانت وديكارت، عمي الصراحة انا اول مرة اشوف معمم يحكي في المعضلات الفلسفية لديكارت!.

مناقشته مع الشيخ علي طهراني

كان لقاء الوردي بالشيخ (علي طهراني من مواليد مدينة مشهد في محافظة خراسان الايرانية عام ١٩٣٢- ...، درس في النجف الاشرف واصبح استاذا للعرفان في المدارس الدينية في طهران ومشهد، شارك في الثورة الايرانية ضد الشاه ليصبح ممثلا للامام الخميني في مشهد، تحول الى المعارضة الايرانية ضد الحكومة الايرانية والتجأ الى العراق اثناء الحرب العراقية الايرانية، متزوج من شقيقة علي خامنئي مرشد الثورة الايرانية)، كان لقاء الوردي بالشيخ علي طهراني لقاء عاصفا وعجيبا، لم يحضره احد

سواي، ولكن الوردي عليه رحمة الله وانا نقلناه للاحبة والاصدقاء.

شاءت الاقدار ان يطلب الشيخ علي طهراني من الحكومة العراقية ان يسكن في الكاظمية المقدسة، وجاءت به الحكومة الى بيت على شارع المحيط، كانت قد استولت عليه بعد تسفير اهله، واسكنت فيه الشيخ علي طهراني، تعرفت على ولده محمود بحكم الجيرة واللغة الفارسية وعلاقات والدي الشيخ السابقة بقادة النظام الاسلامي في ايران، وكان آنذاك طالبا في كلية الاداب، قسم اللغة الفرنسية، (ويعمل حالياً طبيب في باريس)، طلبت منه ان يعرفني على والده الشيخ، وقد فعل، وتعرفت عن قرب على الشيخ علي طهراني وسمعت منه كلاما في السياسة لم يقله في الاعلام، وسألته في الفلسفة والعرفان، وتعلمت منه ما لم اقرأه في الجامعة، سألني عن المجلس والحضور، فاخبرته بالاسماء، واعجبه كثيرا ان يتعرف على اهم شخصيتين في المجلس العلامة حسين علي محفوظ والدكتور علي الوردي، ولكن الامر كان يبدو صعباً، فلم اكن مؤهلاً سياسياً في ان اطلب من الحكومة العراقية السماح لمعارض ايراني بحضور مجلس ادبي عراقي، وربما تسبب طلبي باغلاق المجلس آنذاك، فاعتذرت منه، وقدر الرجل الوضع، لأني شخصيا كنت التقيه بحجة لقاء ولده الشاب، وقد سألت الجهات المختصة ولده حول لقاءاته معي، فبرر لهم معرفتي باللغة الفارسية، واوضاع ايران، وانه ليس له اي صديق في العراق...، طلب مني الشيخ الطهراني كتب الدكتور الوردي، وهذا الامر كان سهلا، فاحضرتها له، وبعد ان قراها باسبوع واحد فقط، سألني عن ترتيب موعد مع الدكتور الوردي، لأنه وجد ان هناك بعض الاخطاء في كتب الوردي ويحب ان يناقشه فيها، وله بعض الملاحظات التي يجب ان يطلعه عليها، فرتبت موعداً صباحيا لهما في المجلس.

كان الشيخ علي طهراني يصر على الحديث باللغة العربية، معتقداً انه

يلفظها بطريقة صحيحة، وكنت مصراً على الترجمة، لأن حركات وجه الوردي في محاولة استيعاب ما يقول الشيخ، كادت تخرجني من اتزاني، حيث ان الدكتور الوردي يذهب بفمه الى جهة اليمين ان لم يفهم الفكرة، وعندما يعود الشيخ الى شرح الفكرة كان فم الوردي ينتقل الى جهة الشمال ثم يوجه الكلام لي وبنبرة حادة وآمرة يقول (لك ترجم)، فاجيبه دكتور ان الشيخ يتحدث العربية وهو يصر على الاستمرار بالحديث بها، وايمم وجهي صوب الشيخ واقول له بالفارسية: سيدي الشيخ من الافضل ان تتحدثوا بالفارسية واترجم للدكتور الوردي، ولكنه يستمر، واليكم جانباً من النقاش، قبل ان يقتنع الشيخ الطهراني بترك العربية والتحدث بالفارسية، واقوم بالترجمة وتنتهي الازمة.

الشيخ علي طهراني: دكتر هناك خلتون ما ايندكم بين ما هو فلسفتون وما هو منتغون.

الدكتور علي الوردي يذهب بفمه الى جهة اليمين مستغربا.

الشيخ علي طهراني: وزعو العالمي في بيزتن فلسفتون اما كيفيتو وزعي العالما في بيزتن منطغون.

الدكتور علي الوردي يذهب بفمه الى جهة الشمال، ويوجه كلامه لي لك ترجم شيقول الشيخ مبين كلامه علمي!!

محمد الخاقاني موجهاً كلامه للشيخ الطهراني وباللغة الفارسية: شيخنا اعدتم الموضوع اكثر من مرة ولم يستوعبه الدكتور الوردي، فهلا تسمحوا لي بالترجمة.

الشيخ علي طهراني وباللغة الفارسية: يبدو ان الدكتور الوردي لا يعرف العربية الفصحى!

محمد الخاقاني: نعم كما يبدو سيدي الشيخ فاسمحوا لي ان اترجم له الى اللغة العربية العامية وليس الفصحى!

وبدأت بالترجمة، دكتورنا الغالي: يقول الشيخ الطهراني، بانكم قد خلطتم بين الفلسفة والمنطق في كتابكم، وكان يجب ان تأتوا لكل علم تعريفه، ولأجل التفريق بينهما نذهب الى المثل التالي: وضع العالم في بيضةٍ فلسفةٌ، اما كيفية وضع العالم في بيضةٍ فهو منطقٌ.

الدكتور علي الوردي: والله، اي هسه افتهمت!!، ثم اجاب: في العلم الحديث يعتبر المنطق فرع من الفلسفة، وانما كان ارسطو اول من كتب عن المنطق بوصفه علم قائم بذاته، وقد وضع ارسطو القياس صورة للاستدلال، وقد تمسكت الدرسة القديمة بالمنطق الارسطي الذي انتقدته انا في كتابي، حيث مع قيام النهضة الاوربية اصبح المنطق علم مختلف تماما عن منطق ارسطو، حيث ظهر الاستقراء واصبحت له مدرسة قائمة.

الشيخ الطهراني: علم المنطق لا يمكن التنازل عنه، فهو قوانين منطقية تعصم الذهن من الزلل وتوصل الى الرأي الصواب مما توافقت العقول السليمة على صحته، ويتميز بواسطته الخطأ من الصواب، وعلم الفلسفة هو البحث عن حقائق الموجوادت وطبائع الاشياء وفي كل شيء وهو في الالهيات البحث عن العلة والمحرك وهو الله سبحانه، وليس بالضرورة ان تبحث الفلسفة في الدين، ولكنها افراغ الوسع في سبيل المعرفة الخالصة ولا فرق ما كانت هذه الحقيقة طبيعية او رياضية...

نعم كان نقاشاً في القديم والجديد، بين مدرستين، الشيخ الطهراني الذي درّس المنطق القديم لأكثر من اربعين عاما في الحوزات الدينية الايرانية والدكتور علي الوردي الذي ينادي منذ اربعين عاماً بالغاء المنطق الارسطي القديم واحلال المذاهب الجديدة بدلاً عنه، ويجب قبل ان اختم هذه

المناقشة ان انوه الى قضية مهمة، حيث اشار الشيخ الطهراني على الدكتور علي الوردي انه اورد اسم الشيخ عبدالكريم الجزائري في الجزء الرابع من اللمحات، تحت اسم السيد عبدالكريم الجزائري، وهو لم يكن سيداً من آل بيت النبي، فقال الوردي اعلم انه شيخ، ولا اعتقد انني ذكرته سيداً في الكتاب، وطلب مني ان احضر الكتاب، فاحضرته، وظهر ان الوردي كتبه السيد عبدالكريم الجزائري لمرة واحدة فقط، فاعتذر الوردي، واشار لي قائلا: منين جبت هذا المصيبة!، كل العراق قرأ هذا الكتاب ولم ينتبه احد لهذا الخطأ غير المقصود، الا الشيخ الطهراني، رغم كثرة الآراء الناقدة لي الا ان احدا لم يشر الى هذا الخطأ.

مناقشته مع السيد عبدالرزاق الحسني

احتفى مجلس الخاقاني في احدى امسياته عام ١٩٩٠ بالمؤرخ العراقي الكبير المرحوم السيد (عبد الرزاق الحسني ١٩٠٣ - ١٩٩٧، مؤرخ العراق الاول، من مؤلفاته: العراق قديماً وحديثاً، العراق بين الاحتلال والانتداب، الثورة العراقية الكبرى، تاريخ الوزارات العراقية في مجلدات، تاريخ الصحافة العراقية، الاسرار الخفية في حركة سنة١٩٤١ التحررية، الصابئيون، اليزيديون،االبهائيون..)، وكان العلامة الوالد الشيخ عيسى الخاقاني والعلامة محفوظ والدكتور الوردي باستقبال السيد عبدالرزاق الحسني، والذي رافقته ابنته السيدة احلام التي تفرغت لخدمة والدها والبر به في ايامه الاخيرة، جزاها الله الف خير.

كنا وكان عبق التاريخ في المجلس، حيث الوردي والحسني في علم الاجتماع والتاريخ والخاقاني في الدين والفلسفة ومحفوظ بموسوعية العالم يلتقون تحت سقف واحد يحفهم علماء وادباء العراق، وتحدث الوردي عن

السيد عبدالرزاق الحسني قائلا: لو كان الحسني في بلد آخر لأقامت له الدولة تمثالاً، نظراً لخدماته الجليلة، فقد ارخ للعراق حين كتب عنه بين الاحتلال والانتداب ثم كتب عن ثورة العشرين، وتحدث عن تاريخ الصحافة العراقية وعن ثورات العراق واسرارها، وعن الاديان المختلفة في العراق، حيث لم ينشر ما تتناقله الكتب الاسلامية عن الاديان والمذاهب، بل ذهب اليهم وقابلهم واخذ من كتبهم ومؤلفاتهم ما يدعم موضوعه، وما زلت اتذكر كيف قامت عليه الدنيا حين نشر كتاب البيان وهو يحمل عقيدة البهائية مرفقاً لكتابه البهائيون، وقد اعتبر الكتاب من كتب الضلالة حينها، الا ان يبقى فضل الحسني الاكبر على التاريخ والمجتمع العراقي هو موسوعته الخالدة تاريخ الوزارات العراقية، وتصوروا لو لم يدون الحسني هذا التاريخ ويضعه في كتاب لما بقي منه شيء، حيث انه ومع تشكيل اول وزارة في العراق لم يكن هناك من يسجل ويرصد ما يجري، وقد كان الحسني من اهم المصادر التي استفدت منها في دراستي للمجتمع العراقي، واحب ان احي حضوره رغم مرضه واشكر ابنته التي ترعاه.

فاجاب الحسني على كلمة الوردي قائلاً: نعم لقد شعرنا بامانة تاريخ العراق في اعناقنا وقد حملنا هذه الامانة في المقدار الذي استطعناه من اعمارنا ونحن الان في اخريات الطريق، نتمنى ان يكمل غيرنا الطريق ليكون تاريخ هذه البلاد محفوظا، وعلى الرغم مما قاله الدكتور الوردي بحقي ووصفه اياي بمؤرخ العراق، الا اني اريد ان اوضح امراً مهما للتاريخ ايضاً، نعم لقد كنا في تاريخ العراق كمن يحمل الرمل والحصى والجص والآجر الى موقع البناء، فقد ذكرنا كل ما شاهدنا وتابعنا كل ما يجب ان نتابع وذلك هو عمل المؤرخ، انما من جمع الرمل والحصى وخلطها واكمل الجص والآجر وبنى في التاريخ كان الدكتور علي الوردي، فهو لم يكتف مثلنا بجمع ادوات البناء وبالقول انها هذه المواد الذي تجعلك تبني بيتاً، بل جمع واوعى وركّب

ونظم، ليكون اول عالم اجتماع تاريخي في منطقتنا العربية يدرس التاريخ ولا يرويه كما قال القدماء، وانا منهم، فالوردي وضع اللبنة الاولى للعلم في العراق في سبيل التطور حسب المناهج العلمية الحديثة...

لم تكن هذه الكلمات كلمات مجاملة بين عالمين يندر مثلهما في الزمان، بل كانت تحديداً دقيقا لأدوارهما العلمية البحثية التي تركت لنا تراثا كبيراً يعطي دلالة على قوة الامة العلمية، حيث تقاس الامم بعلمها وتطورها وليس شيء آخر.

مناقشته عبدالله فاضل السامرائي

كان المرحوم (عبدالله فاضل السامرائي وزير الاوقاف والشؤون الدينية في حقبة الثمانينات في العراق، عضو قيادة قطرية سابق لحزب البعث، اغتيل في سيارته عام ٢٠٠٠، حيث اطلق عليه الرصاص من قبل مجهول)، كان المرحوم يلتقي مرة واحدة شهرياً على الاقل في حجرة كليدار الحضرة الكاظمية الشيخ فاضل الشيبي رحمه الله، وقد نقلت هذه القصة لأهميتها بالرغم من انها نقاشاتها لم تحدث في مجلس الخاقاني بل في حجرة الكليدار التي تبعد عن مجلس الخاقاني باكثر من كيلومتر مربع واحد فحسب.

بعد المجاملات وتبادل التحايا، وجد الوردي عند الوزير قبولا لسماع الشكاوى والمشاكل، خاصة بعد ان سئل الكليدار عن المشاكل التي يواجهها، ويستطيع السامرائي بصفته وزيرا للاوقاف حلها، هنا وجدت ان الوردي استبشر خيرا بالوزير، فوجه كلامه لعبدالله فاضل السامرائي قائلا: استاذ هناك احتياجات للناس نتمنى لو وضعتم لها حلا جذرياً، فقال الوزير هات ما عندك واذا كان الحل بيدي سوف اقوم بذلك، فقال الوردي على الفور: انا ابحث عن قبر في الكاظمية لكي ادفن فيه، فاستغرب الوزير من هذا

الطرح، وقال بعد عمر طويل دكتور، فاستمر الوردي بعد ان تبسم ابتسامة من لا امل له في الحياة، وقال نحن اهالي بغداد ندفن موتنا في النجف، فقال الوزير ونعم المكان قرب جدنا الامام علي عليه السلام، فقال الوردي نعم ان كثير من الناس تتمنى ان تدفن في النجف قرب امير المؤمنين عليه السلام، لكن في ظل الحصار والوضع المادي الذي لا يخفى عن سيادتكم، فان نقل الجنازة الى النجف مكلف جداً على اهالي بغداد، فهل الانسان يحتار في العراق في حياته وموته الى اين يذهب؟ استغرب الوزير من الطرح الجريء للدكتور الوردي، ولكنه توافق مع ما في نفسه، فرد على الدكتور الوردي قائلاً: دكتور قد اعدت حكومة الثورة مقبرة كبيرة ومجهزة ومشجرة وقريبة على بوابة بغداد، اذ لا تبعد عن ضواحي بغداد بعشرين كيلومتر، هي مقبرة الكرخ او ما يطلق عليها الناس محمد السكران، فلماذا لا يذهبون بموتاهم الى هذه المقبرة، فقال الوردي ان هذه المقبرة خصصت للسنة من المسلمين، فقال الوزير: ولكن بعض الشيعة يدفنون موتاهم فيها، فقال الوردي: اعلم ذلك يا سيادة الوزير، لكني اتحدث عن الاغلبية التي لا تذهب الى مقبرة السكران، فاجاب الوزير: ان لا فرق بين السنة والشيعة والمقبرة اعدت لجميع الموتى، فقال الوردي: ايها الوزير انت رجل مثقف وترى لا فرق بين المذاهب وانا كذلك لا ارى ان هناك فرقاً بين الاديان، ولكني احدثك عن مشاكل عامة الناس وليس الاقلية المثقفة، احدثك عن اناس يحملون تراثاً وتاريخاً سيئاً، انهم الان يخشون بطش السلطة فلا يتكلمون، ولو ضعفت السلطة يوما ستجد اصوات كثيرة تطالب.

حاول الوزير ان يهدي من اندفاع الوردي فقال: اننا نحاول ان نبني ثقافة التعايش بين مكونات الشعب الدينية، وقد اعطى بعض ما قمنا به نتائج لا بأس بها دكتورنا العزيز، فقال الوردي: المشكلة هي قناعتكم بصحة ما تقومون به، وهو على عكس الواقع الذي نراه نحن، حيث الناس لا يخشون

منا، ويتكلمون عن معاناتهم ويشكون الينا، ولكن لو ذهبتم بزيكم العسكري هذا الان ومعكم افراد حمايتكم وسألتم الناس عن وضعهم، لصفق لكم الجميع وهتفوا باعلى اصواتهم في تمجيد ثورتكم، وشكروكم على خدماتكم الجليلة التي تقدمونها، وانه لا ينقصهم الا سلامتكم، قرأت كتاباً لمؤرخ لبناني(معجزة فوق الرمال، احمد عسه، بيروت-المطبعة الأهلية اللبنانية ١٩٧٢)، يفتخر فيه ان الوهابية حين هجموا على كربلاء هدموا قباب المساجد وجعلوا من القبور ضوارس، كما امر الرسول، ان هذا الكلام لا يجوز في حق الآخر، ومدح التصرف الاحمق كذلك لا يجوز، فلكل انسان معتقده، كما يراه هو وعلى الدولة ان تنظر للناس سواسية، لا ان تفرض عليهم عقائدهم على اعتبار انك لا تعتقد بالتفريق بين المذاهب، هذا يعتبر مصادرة للعقائد وفي هذا الزمان لا يجوز ذلك، انا اتحدث عن هؤلاء الذين ورثوا الدين والمذهب عن اجدادهم وتعبدوا به، ولا اتحدث عن المثقف الذي لا يرى فرقاً بين المذاهب، ولا يمكن ان تنقل المجتمع كله الى مجتمع مثقف كي تستطيع ان تتعامل معه وترضيه ويرضيك!

بذلك انتهى كلام الوردي الذي بدا لنا نحن الحاضرون في حجرة الكليدار انه اقتنع به، وقد ختم الوزير الجلسة بأن قال للوردي انه سوف يدرس امر المقبرة، ولكن القضية تحتاج الى موافقة القيادة، فاجاب الوردي فوراً: لا حصلناها لعد، اي لقد حصلنا على المقبرة اذن!، وحصلناها لعد مفردة عراقية تقال عن الشيء الذي لا يمكن ان تحصل عليه او من المستحيل ان تحصل عليه تهكماً.

كتب اجنبية اتخذت من الوردي مصدرا لها

البحث فى الكتب الاجنبية التى اتخذت من الدكتور على الوردي لم يكن سهلا، فقد احتاج الى صبر ومطاولة وجهد، وكذلك الاستعانة

بالانترنت، الذي لم يقصر معي، اضع نموذجاً لبعض الكتاب الذين اخذوا من الدكتور الوردي مصدراً في كتبهم ولكي اقل الجهد على من سوف يبحث بعدي، سوف اقوم بتقسيم هذه الكتابات الى ثلاثة اصناف، الصنف الاول سيكون للمؤلفين الاجانب الذين كان الوردي مصدراً لهم، والصنف الثاني هم المؤلفين العرب الذين كتبوا باللغة الانكليزية واخذوا من كتابات الدكتور الوردي كمصدر لكتاباتهم والصنف الثالث سيكون للموسوعات العلمية الاجنبية التي ذكرت الوردي، وكتبت عنه، ومن الله التوفيق

المؤلفين الاجانب

1- Ibn Khaldun and Islamic id — Bruce B. Lawrence

2- Political Thought in medir — Erwin Rosenthal

3- Ibn khaldun — Robert Simon

4- Ibn khaldun — Allen James Fromherz

5- Ibn Khaldun historian, soci — Nathaniel Schmidt

6- Beyond Eurocentrism: A New View of Modern World History
Peter Gran

7- In the Path of God: Islam and Political Power . Daniel Pipes – 1983

8- The meadows of gold: the Abbasids, Paul Lunde, Caroline Stone – 1989

9- The continuity of village and orban cultural patterns in 20^{th}
John Gulik

10- Sociology Oxford Brookes,Susan Jane Staffa - 1977

11- Coercion, capital, and European states, AD 990-1992, Charles Tilly – 1992

12- Inventing Iraq Toby Dodge

13- The Shi'Is of Iraq - Yitzhak Nakash – 2003

14- Fundamentalisms and Society: Reclaiming the Sciences, the Family, Martin E. Marty, R. Scott Appleby - 1997

وبعض الكتاب العرب الذين كتبوا باللغة الانكليزية، واخذوا الوردي مصدراً لهم:

1- Encounter of **History and Modernity ,Mohammed Jaber Al-Ansari, Riyad Y. Hamzah**

2- The occupation of Iraq: Winning the war, losing the peace Ali Allawi

3- Society, State, and Urbanism: *Ibn Khaldun*'s *Sociological* Thought Fuad Baali

4- In the Name of Identity: Violence and the Need to Belong, Amin Maalouf - 2001

5- Desiring Arabs Joseph A. Massad 2007

6- Extremist Shiites: the ghulat sects Matti Moosa 1987

وبعض الموسوعات ودائرة المعارف العالمية التي ذكرت الوردي وترجمت له

1. Tribes and power: nationalism and ethnicity in the Middle East - Volume 2001
2. Studies in Islam - Volumes 15-16
3. The science of human social organization4-
4. Social Policy & Sociology
5. Comparative studies of South Asia, Africa, and the Middle East - Volume 19, 1999
6. Encyclopaedic Historiography of the Muslim World

الفصل الرابع: الوردي والسياسة

من التاريخ: اختلاف المناهج

من الحاضر: السياسة فن الممكن... البراغماتية منهج صادم وصادق

الديمقراطية المواطنة وحكم القانون

مع حكام العراق

معجب بفيصل الاول

الملك غازي لا يجيد السياسة

الملك فيصل الثاني: عبدالاله اطاح بالحكم الملكي في العراق

عبدالكريم قاسم زعيم شعبي ولا ينفع رئيسا للعراق

عبدالسلام عارف اول من مزق العراق طائفيا

عبدالرحمن عارف متسع من الحرية في وقت ضيق... الامن يستدعي الوردي

احمد حسن البكر حكم القبيلة

صدام حسين: لا احب الوردي، الوردي: ان كنت لا تفهم في السياسة اتركها واذهب...

الوردي والسياسة

كنت قد طرحت في الفصل الثالث بما يخص اتجاه الوردي في فلسفة السياسة وقلت انه كان سياسيا براجماتيا يؤمن بان السياسة فن الممكن، ولن اعيد ما ذكرته في الفصل السابق، فالوردي طرح منهجاً حياتياً سياسياً خاصا به لم يوفق احد في الاتيان بمثله، خاصة في السنوات الاخيرة من حياته ومن حكم البعث، حيث كان الود منطقع بين الطرفين، لا البعثيين يودون الوردي ولا الوردي يتودد اليهم، الا فيما ندر، فقد ذهبت بالوردي وبمعية العلامة محفوظ الى جريدة الجمهورية لأستلام مخصصاته المادية من المقالات التي كانت تنشرها الجريدة له، ويبدو ان الاستاذ سعد البزاز رئيس تحرير الجمهورية آنذاك قد شاهدنا من الطابق الثالث ونحن ندخل الى الجريدة، فاخبرنا في الاستعلامات انهم سيرافقونا الى مكتب رئيس التحرير الذي ينتظرنا، في المكتب التقينا بعباس الجنابي الذي كان رئيسا لتحرير جريدة بابل، وجاء الاستاذ زهير العامري مدير التحرير وسلام الشماع الى مكتب رئيس التحرير، بعد المجاملات طلب الاستاذ عباس الجنابي من الدكتور الوردي موعدا لمقابلة عدي صدام حسين، الا ان الوردي رفض باصرار، وقال بتهكم بابا ان رجال كبير بالعمر لا يليق بي ان اتخضع امام عدي، انا ما اصير بابلي، خليني بالجمهورية احسن، وكلمة بابلي تطلق عند العوام في

بغداد على البهائيين!!، واما من احب الوردي من البعثيين، فقد كان يتلقط الفرص لكي يسمع منه ثم سرعان ما يختفي.

مرت علاقة حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في العراق مع الدكتور الوردي بمد وجزر، فمن اهماله في بداية الثورة عام ١٩٦٨ الى احالته الى التقاعد عام ١٩٧٠، حيث لم ينشر في فترة حكم حزب البعث الا موسوعته اللمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث من عام ١٩٦٩ الى ١٩٧٩ وهو العام الذي استلم فيه صدام حسين الحكم في العراق، حيث توقف الوردي عن الكتابة، وكان قد انتهى من الجزء السادس منها عن احداث عام ١٩٢٤ في العراق، واكملها بملحق عن قضية الاشراف وابن سعود، ولم نرى تكملة لهذه الدراسة الاجتماعية بعد ذلك حتى وفاة الوردي، ويقول ورثته بانهم لم يعثروا على مخطوطات لأي كتاب في مكتبته.

واختفى اسم الوردي الا من مقالات صحفية تلتقط هنا وهناك، وظهرت احاديث عن علماء اجتماع جدد في العراق احدثوا ثورة فكرية وحازوا على جوائز... وبدا ان الاحداث غطت الوردي عن سوء قصد وتبيت نية، حتى التقت الصحفية الامريكية كرسيتيان هلمز بصدام حسين عام ١٩٨٣ وناقشته في رأي الوردي عن المجتمع العراقي، واجابها صدام بمخالفته لرأي الوردي واعتقاده الذي يختلف كلياً عما يعتقده الدكتور، فانصب الاهتمام على الوردي مرة اخرى، ولكن هذه المرة بصورة سلبية، اذ ثبت للبعثين المتطرفين ان هناك من يخالف صدام حسين في العراق، وان هذا المخالف عالم اجتماعي وهو كبير في السن، فلا يجوز قتله رمياً بالرصاص او شنقاً في ساحة عامة، فربما تسبب في مشكلة دولية، فقرروا قتله بهدوء، واعدوا العدة ذلك.

ولكي لا يطلق الكلام مني جزافا في هذا الخصوص، سوف اكتب

قصتين الاولى شاهدها والمشارك فيها الاستاذ سلام الشماع والاخرى يرويها سلام الشماع بنفسه، وملخص القصة الاولى هو: انه بلغنا من بعض الاصدقاء والاحبة ان اجتماعا لمجلس قيادة الثورة كان يناقش مسألة الديمقراطية في العراق، في تجربة جديدة لمنح الشعب نسمات من الديمقراطية، الا ان احد المسؤولين من اعضاء المجلس اعترض على فتح باب الديمقراطية في العراق، لوجود مفكر مثل الوردي فيه!!، هكذا وصلتنا الفكرة...وقيل ان هذا الكلام منشور في كتاب يوزع بين البعثيين فقط، بعد بضعة ايام اخبرنا الاستاذ سلام الشماع انه استعار هذا الكتاب من احد البعثيين على ان يرجعه له خلال اسبوع، واعطى الكتاب للوردي كي يطلع على مناقشات مجلس قيادة الثورة عن الديمقراطية، فكان ان قرأنا في الكتاب ان صدام حسين شخصيا يطلب من مجلس قيادة الثورة عام ١٩٩٣ على منح العراقيين شيء من الديمقراطية، فيعترض وزير الثقافة والاعلام آنذاك لطيف نصيف جاسم على هذه المنحة ويبرر اعتراضه، على ان هناك شخص يعيش بين الناس هو الدكتور علي الوردي، وقد شتم الخلفاء في كتابه، فالوردي يزعم في احد كتبه ان الخليفة هارون الرشيد يملك ٢٠٠٠ جارية!!، فكيف نسمح لأناس مثل الوردي وفي ظل الديمقراطية ان يقولوا مثل هذا الكلام على خلفاء عظماء مثل هارون الرشيد... وقد وافق بعض اعضاء القيادة على فكرة الرفيق لطيف... وتحول موضوع المناقشة الى فقرة اخرى، وللحقيقة فقد استطعت ان ادبر انا الآخر نسخة من هذا الكتاب عن طريق احد الاخوة البعثين بعد فترة وجيزة، وما زلت احتفظ به واسمه (الديمقراطية، مناقشات مجلس قيادة الثورة وصورة الغلاف هي لشخص صدام حسين)، احتفظ الوردي بالكتاب في مكتبته لمدة شهر، وتسبب باحراج للاستاذ سلام الشماع مع من استعار منه الكتاب، ذات ليلة استغل الشماع توصيلي للوردي لبيته بسيارتي وركب معنا، حتى وصل بيت الوردي، فطلب منه الكتاب كي يرجعه لصاحبه، فقال الوردي: ادخلا

لنبحث عن الكتاب، ودخلنا الى مكتبة الوردي الصغيرة، وهي في الطابق الارضي، فهناك مكتبة كبيرة في الطابق العلوي كانت هذه المكتبة الصغيرة تحتوي على امهات الكتب مصادراً للدراساته، وطاولة للكتابة وسرير لشخص واحد للنوم والاسترخاء، بالاضافة الى مدفئة صغيرة...بحث الوردي في المكتبة، ثم قال متهكماً (شي يطلع هالزمال من هالوحل)، اي من الذي سوف يخرج هذا الحمار من هذا الوحل، وعليك ان تتصور ماذا كان الوردي يعني بهذا!، حتى عثر على الكتاب واعطاه للشماع، ولم تكن تلك المناقشات التي جرت في مجلس قيادة الثورة الا نموذجا واقعيا عن استهداف الوردي فكريا.

اما القصة الثانية والتي يرويها الاستاذ سلام الشماع في مقابلة صحفية عما جرى للوردي من احداث جسام جراء سياسة حزب البعث ضده، عبر عنها الشماع بانها تقطع القلب وهي كذلك، فاقتطع النص التالي مما قاله الشماع للصحفية باهرة الشيخلي والمنشور على موقع دراسات في فكر الوردي على الانترنت، يقول سلام الشماع: (انهم رفعوا في كلية الآداب قسم الاجتماع حتى المنضدة الخاصة به (الوردي) إذ هناك تقليد في جامعة بغداد في أن يكون هناك امتياز لمن هو بدرجة (أستاذ متمرس) وهو أن لا ترفع منضدته من القسم الذي كان يدّرس فيه ولا يشغلها أحد بعد تقاعده، فهي متروكة له يستطيع أن يستخدمها متى أراد كنوع من التكريم والتقدير لخدماته العلمية. كما لم تتم دعوة الوردي إلى أي ندوة أو اجتماع يُدعى إليه غيره من الأساتذة المتمرسين. ولو قرأت الرسالة التي وجهها الوردي إلى رئيس جامعة بغداد آنذاك (الدكتور طه تايه النعيمي) في ١٩٨٩/٩/١٤ والتي نشرت نصها مكتوباً بخط يد الوردي نفسه في كتابي لقطّع قلبك الأسلوب وطريقة عرض الشكوى وبصفة خاصة في خاتمتها: "سيّدي رئيس الجامعة.. إني لا يهمني أن أكون أستاذاً متمرساً أو متقاعداً، فهما سيّان في نظر من هو مثلي يعيش في

أيامه الأخيرة. ولكن الذي يهمني هو أن أعرف الحقيقة في هذا الصدد. فإني قد كتبت على غلاف كتبي التي صدرت بعد عام ١٩٧٠ - وهو عام إحالته إلى التقاعد من الجامعة، بأني أستاذ متمرس، وربما صدرت لي كتب أخرى في أواخر أيامي. فالرجاء منك تبيان الحقيقة لي لكي أعلن ذلك للقراء فلا يبقوا مخدوعين بي. والله الساتر على كل حال).

ولم تكن هذه الرسالة التي نقلها الشماع عن الوردي رسالة عادية، اذا ما قرأ المرء ما قاله الوردي للتاريخ فيها بوضوح، فالوردي يخبر الحكومة: بان اهمالكم لي لا يهمني سواء اكنت استاذا متمرساً او متقاعداً، فهو سيان في نظري، فانتم لا تمثلون شيئا بالنسبة لي وانما يهمني ان لا اكذب على القراء، فلا يبقوا مخدوعين بي، وهو يحدد في هذه الرسالة السياسية بامتياز، انه توقف عن التأليف واصدار الكتب منذ عام ١٩٧٠، ويؤكد وكأنه يهدد انه ربما صدرت لي كتب اخرى، اي انه يعلن عن وجود كتب لم تصدر بعد، يريد ان ينقل فيها الحقيقة لقراءه، لذلك فهو يرجو رئيس الجامعة تبيان الحقيقة له، حتى يعلنها لقراءه، ويختم وكأنه يخشى من ان تقع الرسالة في يد سياسي فيكتشف ان الوردي قد لغمها وسلمها بيد الشماع، فيقول: والله الساتر على كل حال... نعم الله الساتر فهذه ليست رسالة عادية، فهي اقرب ما تكون الى كتاب ادانة وجهه الوردي لعهد سياسي كامل، واحمد الله ان الاستاذ سلام الشماع استطاع ايصال هذه الرسالة الى الناس ونشرها في كتابه بامانة.

ولم تكن هذه الرسائل فقط دليل اختلاف السلطة والحكم مع الوردي، بل ستجد في طيات هذا الكتاب رأي كلا الطرفين احدهما بالآخر، الوردي بحكم البعث وصدام حسين، ورأي صدام في الوردي كذلك وقد حصلت عليه من مصدر مطلع.

وقد قال الوردي هو نفسه في اللمحات وهو يودع آخر جزء فيها نبوءة او قل توقعاً لما سيحدث، ناسباً مع يقوله الى المجتمع، وهو بالنص التالي: (من الممكن تشبيه المجتمع في هذا الشأن بشخصية الانسان البالغ اذهي في حاضرها تاثر بما حدث لها في ماضيها وهذا التاثير قد يكون لا شعوريا انما هو موجود على اي حال وهو قد يظهر بمظهر العقدة النفسية التي تدفع الانسان نحو بعض الاعمال السخيفة اذ هو يفعلها مرغما بتاثير حافز لا ارادي يسيطر عليه، واكاد اعتقد ان المجتمع لا يختلف عن الفرد في هذا، فكثيرا ما تخلق الاحداث الماضية في المجتمع عقدة كالعقدة النفسية حيث ترى الناس يندفعون ببعض العادات والافكار الموروثة اندفاعا لا شعوريا، وقد يؤدي ذلك بهم الى المهالك بينما هم يحسبون انهم يحسنون صنعا وسوف نرى في هذا الكتاب نماذج واقعية من هذا الطراز)، نعم هذا ما قاله الوردي وقد حدث ما توقع، وبين ما توقع وما حدث ثلاثة وعشرون عاما هي مدة تكون الحدث، استمعنا اليه ولأراءه التي لم تكتب معِ الاسف نظراً للظرف الذي شرحه الوردي، وان كان الوردي قد كررها مراراً بانه كتب ما يريد كتابته وان ما كتبه (سوف تنشر بعد موتي ان شاء الله)، كان يكتبها هكذا، الا ان ورثته لم يعثروا على اي مخطوطة له.

في هذا الفصل القصير المختصر، والذي تقطعت مفاصله بين احداث حياة الوردي السياسية في بداية حياته في الفصل الاول، وروايات الوردي وقصصه السياسية في الفصل الثاني والتي اتخذت موقع القصة من الفكرة، او بدراسة لمنهجه الفكري السياسي وما كان يعتقده في الفصل الثالث، فلم يتبق الا بعض آراء التي قالها في السياسة والسياسيون تاريخا ومعاصرا، ففي التاريخ كانت ثنائية الامام علي ومعاوية تؤرق فكر الوردي، وقد تحدث عنها في كتبه كلها تقريباً، وقد القاها محاضرة في مجلس الخاقاني، مضيفاً افكار

جديدة على افكاره القديمة التي وان لم يغير ويبدل فيها، لكنه طورها دون شك، وما سوف انقله عنه هنا هو رأيه الاخير الذي استقر عليه، فالوردي يعتبر الخلاف بين علي ومعاوية اختلاف مناهج سياسية، فالوردي يقول ان المبدأية التي ابداها الامام علي امام معاوية، في مقابل البراغماتية التي تميزت بها دولة الاستبداد عند معاوية اضطرتهما الى التصادم، وكل يدافع عن فكرته.

اما في الحاضر فقد كان منهجه في ان السياسة فن الممكن، وقد ركز ان هذا الامر لا يكون ممكنا ما لم يكن السياسي براغماتيا (نفعياً) ليستطيع ان يكون الممكن هو مصلحته وان كنت سوف تصطدم من كلمة النفعية والمصلحة، الا ان هذا الواقع، اما الذين يتبجحون بالمباديء ويدعون التمسك بالاخلاق، فهم ما ان يمسكون دفة الحكم حتى يضعوا الاخلاق والمباديء تحت اقدامهم، الوردي يريد من السياسي ان يكون صادقاً في عمله مع نفسه ومع الناس، اي ان لا يعمل باسلوب ميكافيللي نفعي براغماتي ثم يتبجح بالتمسك بالمبدأ والمثالية، واي مبدأ كان ما يدعيه قومي ديني عقائدي، فهو في نظر الوردي سيان.

ثم سيتناول هذا الفصل وجهة نظر الوردي في حكام العراق من الملك فيصل الاول انتهاء بصدام حسين، لم يكن الحصول على رأي الوردي سهل المنال، فقد كان الرجل يدخره لكتابه، ولكنه باح لي ببعض اسراره عن بعض الحكام وارى للتاريخ ان اسجلها، حتى وان زعل منها من زعل ورضي من رضي، فنحن ذاهبون من هذه الدنيا ويبقى تاريخنا دلالة علينا وعنا، وربما اختلف انا شخصياً مع بعض هذه الآراء، الا انها يجب ان تذكر ليعرف رأي الوردي فيها...

قال الوردي في محاضرته الشهيرة، وقد القيت في رمضان من عام ١٩٩٢ في ذكرى استشهاد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، وحضرها جميع غفير من الناس، وقد ذكر العلامة الدكتور حسين علي محفوظ مقاطع منها في المقابلة الصحفية التي اجرتها معه الصحفية نجاة عبدالله، انتهج الوردي في هذه المحاضرة منهجاً مقارناً بين شخصيتين من صدر الاسلام، ودرسهما دراسة علمية سياسية، فقد كان الدكتور الوردي يرى في الامام علي بن ابي طالب عليه السلام شخصية الكمال الانساني، ويقول انه من سوء حظ معاوية ان جاء في زمنه ومن ثم نازعه وحاربه، فقوانين الطبيعة البشرية تقول يجب ان يتقاتل علي ومعاوية، فكل واحد منهم يسير في طريق التصادم مع الآخر، فلو اردنا المقارنة بينهما للتاريخ لوجدنا ان معاوية يراوغ والامام علي يسير على طريق مستقيم، معاوية يغدق الاموال على اهله وناسه ويكسب القلوب بالاموال ويمارس سياسة الترهيب والترغيب، والامام علي يمنع المال عن نفسه وعن اهله، ويكون مع الحق اين ما كان، معاوية يمثل السياسية النفعية بدولة تمارس اغتيال المعارضين واغراءهم بالمال، وعلي يمثل المبدأ الذي لا يحيد عن الحق قيد انملة، لذلك قال علي بن ابي طالب: والله ما معاوية بادهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس، في حين ان معاوية يقول ان الناس اعطونا طاعة واعطيناهم امانا، فمن لا يعطي الطاعة فلا امان له في دولة معاوية.

يقول الوردي لقد قرأت كتابا عن فضائل معاوية في ادارة الحكم، قال صاحبه بان السلف الصالح قد اثنى على طريقة معاوية في ادارة الحكم ثم انه كان كاتباً للوحي حتى وفاة رسول الله، وقد بعثه الخليفة عمر بن الخطاب اميراً على المجاهدين، وقد انقطعت الفتن في زمانه وتوسعت رقعة الاسلام،

فقد اصلح الارض وسار سيرة حسنة وقام بالجهاد، ويبرر الكاتب قتل معاوية للحسن بن علي ولعمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر ومالك الاشتر وحجر بن عدي، كل بتبرير يظهر فيه معاوية محقاً في قتلهم.

وما قاله الكاتب من وجهة نظره صحيح جداً، فان الاستبداد لا يترك للفتن مكانا، فالحاكم المستبد يعتبر كل كلمة حق يطالب به الناس فتنة يجب ان تخمد وثورة يجب ان يقضى عليها، ولدى الحاكم المستبد كل الطرق مشروعة لؤاد الفتنة التي تتهدد سلطانه، وهو لأجل ان يبقى في السلطة ويطول بقاءه يختار اسوأ الناس تنفيذاً لخططه، وان كان معاوية قد قتل اهل بيت النبي واصحابه كما يرى الكاتب، الا انه وسع رقعة الاسلام وسار بالجهاد، ولم ينتبه الكاتب انه لا يجّوز لعن الصحابة ولكنه يوافق على قتلهم، شريطة ان يكون قاتلهم معاوية وجيشه، ويطلب الوردي من المستمعين ان لا يستغربوا من هذا الطرح، هذه طبيعة الذين يبررون تصرفات الحكام في كل مكان وزمان، لذلك فمنهج معاوية ينشط حيث يظهر الاستبداد والدولة البوليسية، وان كانت هذه الدولة تدعي انها تأخذ من عدالة عمر بن الخطاب منهجا ومن ادارة علي بن ابي طالب اتجاهاً، الا ان تصرفاتها البوليسية واسلوبها الاستبدادي هو اسلوب معاوية، وقد برر صاحب الكتاب دعوة النبي على معاوية بان لا اشبع الله بطنه!، بانها كانت مفيدة لمعاوية، حيث ان معاوية قد انتفع بهذه الدعوة فكان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ويأكل في اليوم سبع اكلات بلحم ومن الفاكهة والحلوى شيئا كثيرا ويقول والله ما اشبع وانما اعيى وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك!!

طبعا كان معاوية شخصيا يعيى ويتعب من الاكل ولكن صاحبنا المؤلف يراها نعمة يرغب فيها كل الملوك، وربما يعيش مثل هذا المؤلف بيننا، وهو

مستعد ان يبرر كل عمل يقوم به المستبد، فدوره الارتزاقي يجعله على هذه الشاكلة (مو بيده)، ليست بيده بل تلك الطبيعة التي تخلق بها.

في مقابل هذا الاستبداد والاكل يأتي علي بن ابي طالب الى الكوفة ويخطب فيهم قائلا: اتيتكم بلباسي هذا من المدينة وهو من حياكة اهل بيتي ولا املك غيره!، اذن الصدام واقع لا محالة بين علي ذو الوجبة الواحدة ومعاوية صاحب المائدة العامرة، وبين علي صاحب اللباس الواحد من حياكة اهل بيته وبين معاوية لابس الحرير والدمقس وبين علي وهو يفترش الارض بين اصحابه وبين معاوية وهو يجلس على العرش الملكي، فلا يمكن لمعاوية ان يتنازل عن عرش جلس عليه منذ ان ولاه عمر بن الخطاب ولاية الشام، ولا علي يتوق الى ان يبيع دينه مقابل دراهم معدودات، وقانون الطبيعة يقول اذا لم يسلم احدهما للاخر فان التصادم سوف يحصل.

لقد وضع علي بن ابي طالب سياسة مبدأية حادة لتنفيذ خطط الاسلام، فهو من ناحية قوي يحارب لأحقاق الحق فحين بلغه ان جماعة خرجوا على نظام الدولة واشاعوا الرعب بين الناس وقتلوا الصحابي ابن الارت، قال: والله لو أن أهل الأرض اشتركوا جميعا بقتل ابن الأرت لقاتلتهم جميعا، وحاربهم جميعا وقال انا فقأت عين الفتنة، اما الذين ادعوا الوهيته فقد حرقهم بالنار، ومن ناحية اخرى يدافع عن النصراني حين رأه يمد يده للناس، فغضب على عمال دولته لأنهم لم يكفلوا حق النصراني وهو شيخ كبير، وقد حرق يد عقيل شقيقه، ولم يوافق على امرة ابن العباس ابن عمه وجلد صاحب السوق وكان من اعوانه، حين عاث وعبث في بيت المال.

اتخذ علي بن ابي طالب من عمار بن ياسر رفيقاً له في الحرب في حين اتخذ معاوية من عمرو بن العاص رفيقا له، وشتان بين من اشتهر بمبدأيته كعمار وبين من اشتهر بخبثه ودهاءه كعمرو بن العاص، اختار معاوية الخدعة

في الحرب لا لأنه ينتظر ان تفيده، بل لأنه يعلم ان علي بن ابي طالب يتمتع باخلاق الفرسان، وكانت الخدعة الاولى في رفع المصاحف، وكانت الخدعة الثانية هي (لا حكم الا لله)، وحين بلغ الامام علي ان جماعة يقولون (لا حكم الا لله)، قال: كلمة حق يراد بها باطل، نعم لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله، وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر، يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر او يستراح من فاجر، وعلي بن ابي طالب بتعداده لهذه النقاط وضع منهجية لأدارة البلاد والعباد.

خلاصة القول لم يكن علي بن ابي طالب رجل سيف فقط فقد كان رجل سياسة محنك، وليس كما يحاول الوعاظ ان يصوروه للناس، على انه لا يتدخل في السياسة ولا يفجر ولا يغدر، وكأن ما كان يفعله معاوية سياسة وما يفعله علي مناويء للسياسة، علي مارس السياسة في المعارضة ومارسها في السلطة، واسس الشرطة المحلية، وفي الحرب اسس الاستخبارات العسكرية، وقد كان رجل سياسة مبدأئي رسم له نهجاً خاصا عبر عنه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بانه المحجة، وكان ديدنه تنفيذ ما تعلم وادرك من الرسول محمد، ولم يعط فرصة تنفيذ هذه التعليمات، وانا شخصياً اعتقد ان دين محمد قد دفن مع علي في قبره.

من الحاضر: السياسة فن الممكن... البراغماتية منهج صادم وصادق

قالها الوردي ورددها مررا في مجلس الخاقاني او غيره من المجالس، ان السياسة فن الممكن، وان السياسي هو ذلك الشخص الذي يستطيع ان يسوس الخيل فيسطير عليها، فلا يسلس لها فتتقحم به ولا يشنق فيخرم،

ولذلك سمي سياسياً، وقد كان اغلب الانبياء الذين نجحوا في ادارة المجتمعات كانوا ساسة خيل ورعاة غنم، وحين سيطروا على الخيل والغنم وامتلكوا زمامهم، منحهم الله مكنة ادارة البشر، فالممكن للسياسي حين يجازف بالعمل السياسي ان يتوقع الحكم وكذلك الاعدام، ورب اعدام شهر صاحبه اكثر من الحكم، وبهذا يكون كل شي جائز في السياسة وممكن الحدوث، فلا يمكن خلق عدوات وهمية تنتهي بقطيعة دائمة مع اي احد، كذلك لا يمكن التعويل على اي الاتحاد مع جار آخر باعتبار تكوين الدولة الواحدة، لأن المصالح هنا بين الدول سوف تتقاطع، ولكن هناك امكانية عداء لفترة موقتة حسب المصلحة الآنية واتحاد لغرض معين يصب بالمصلحة لصالح الطرفين، كما فعل ذلك الاتحاد الاوربي، بعد ان ادرك فكرهم ان لا جدوى من الحروب ومن ضم الدول الاخرى بالقوة، اجتمعوا على التفاهم وعلى التكامل الاقتصادي وكل دولة بحسب ما تراه من مصلحة تعود عليها من هذا الاتحاد.

فهناك كما يعتقد الوردي توجد مساحة مصالح امام كل سياسي وعليه ان يستغلها حسب الظرف والمكان، لينجح، فلا يوجد في السياسة صداقات دائمة ولا عدوات دائمة، انما مصالح دائمة وهو ما يتطابق تماما مع البراغماتية او النفعية او الذرائعية كما ترجمت الى العربية وترى البراغماتية: ان معيار صدق القضية هو نتائجها العملية، وليس مطابقتها للواقع، ومعيار الحقيقة هو نجاح الفكرة عملياً، وينجم عن ربط الحقيقة وصدق الفكرة بالنتائج العملية والرضا والمصلحة نسبية الحقيقة وتعددها.

ولأجل انصاف الدكتور علي الوردي في معرفة اتجاهه السياسي الفكري، يجب ان اذكر ان الرجل وبالرغم من اعجابه بميكافيللي وقانونه الذي اشتهر عنه الغاية تبرر الوسيلة، وحذفه للاخلاق من السياسية، الا انه

يختلف في بعض المواضع المفصلية مع افكار ميكافيللي، فالوردي الذي عاش بعد ميكافيللي بخمسة قرون اصبح يؤمن بصورة انصع لأدارة الدولة، وهي الليبرالية السياسية التي يؤمن بها ويرى ان تطبيقها يتم من خلال المبدأ البراغماتي، وكان دائما ما يقول ويكرر في كتبه، ان السياسة ليست موقعا صحيحا لأصحاب المباديء، فهي بلا مباديء، بل مركزها المصالح، فكيف تقبل باصحاب المباديء فيها، اذن فالوردي تأثر سياسياً بطروحات ميكافيللي بصفتها الواقعية، ولكنه اضاف على ما عنده من دراسة الليبرالية والنفعية كمباديء لا يجوز للسياسي ان يخالفهما.

دعي الوردي يوما لألقاء محاضرة في جامعة الكوفة، وقد رافقه وفد كبير من مجلس الخاقاني الى محافظة النجف، رسم فيها الوردي معالم فكره السياسي، فقال مخاطبا الحضور من اساتذة وطلبة الجامعة ان الفكر الذي يصل الى الناس يجب ان يكون فكراً عملياً قابلاً للتنفيذ على ارض الواقع، اما ان يقف المصلح مئات السنين وينصح الناس فلن يلتفت اليه الا القلة، لقد كان اتباع النبي محمد حين الدعوة لا يتجاوزون السبعة اشخاص، ولكن حينما هاجر وبدأ الغزوات والحروب، وانتشر الفكر دخل اليه الناس ترهيبا وترغيباً، خوفاً او طمعاً كما ذكر ذلك القرآن، واراد الوردي مداعبة الجمهور قائلا: الان لو دعوتكم انا على الخروج معي للاصلاح، لن احصل حتى على السبعة اشخاص!، هذا اذا ما خرج بعضكم وقال عني خائن يريد تفريق الامة.

يقول الوردي يجب على الحاكم ان لا يكون ديكتاتورا مولعا بالقوة عاشقاً للشعارات البراقة، لأنه سوف يصبح خطيرا جيداً اذا ما احيط بمجموعة من المنتفعين، يمتثلون لأمره ولا يخالفونه بل يؤيدنه حتى لو تأكدوا انه مخطيء خوفاً على ذهاب حضوتهم عنده، بل يجب على الحاكم

ان يضع الشعب القاعدة الاهم في اموره ومن ثم يأتي على المهمات من المشاكل، اما الذي يستطيع ان يحدد الحاكم في هذا الاطار فهو توافق البشر على قانون الليبرالية السياسية والنفعية البراغماتية ضمن اطار الديمقراطية هو الحل الامثل الذي تدار بواسطته البلاد، حيث في السياسة لا تقبل مثاليات واخلاق، وانما عليك ان تبحث عن مصلحة دولتك وشعبك وتعمل في سبيل تحقيقها، يقول الوردي نقلا عن جون ستوارت ميل: إن البشر جميعاً لو أجتمعوا على رأي، وخالفهم في هذا الرأي فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه، بنفس القدر الذي لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهم حتى لو كانت له القوة والسلطة، اي إننا إذا أسكتنا صوتاً فربما نكون قد أسكتنا الحقيقة، وإن الرأي الخاطئ ربما يحمل في جوانحهِ بذور الحقيقة الكامنة، وإن الرأي المجمع عليه لا يمكن قبوله على أسس عقلية إلا إذا دخل واقع التجربة والتمحيص، وإن هذا الرأي ما لم يواجه تحديًا من وقت لآخر فإنه سيفقد أهميته وتأثيره، فالسلوك البشري ما هو الا نتاج التأثيرات البيئية على الانسان والمجتمع.

الديمقراطية، المواطنة وحكم القانون

يقول الوردي ان هذا الثلاثي اي الديمقراطية والمواطنة وحكم القانون يمثل المثلث الانجح من خلال تجارب البشرية التكاملية الناضجة لأدارة مجتمعاتهم، فبالديمقراطية تضمن حكم الاغلبية التي لا تخضع لدين او عرق، فالمواطنة هي الاساس، اما الاشياء التي ورثها الناس عن ابائهم واجدادهم مثل لون البشر والاعتقاد الديني لا دخل لها في تحديد هوية المواطنة، اما اذا بغت الاغلبية على الاقلية فان القانون كفيل بايقافها عند حدها، ولايتم هذا الشكل من الدول الى باتفاق دستوري في الفصل بين سلطاته الثلاث، حيث السلطة التنفيذية تمثل الحاكم الرئيس او رئيس

الوزراء، والسلطة التشريعية تمثل البرلمان او المجلس والجمعية التأسيسة والسلطة القضائية وهى تمثل استقلالية القضاء، حيث لا فرق عند القضاء بين الحاكم والمحكوم، وكل من يتجاوز على القانون سوف تتكفل به السلطة القضائية، فلو طبقت الدول هذا الاسلوب واحتكمت اليه سوف تقضى على الاستبداد بصورة تامة.

فى النظام الديمقراطى تقدم الاغلبية برنامج عمل تقنع فيها الجماهير على انها اذا ما استلمت السلطة سوف تنفذه، وتذهب الاقلية التى تسمى المعارضة الى البرلمان لتراقب عمل الدولة، إن العقل البشري بوجه عام لا يستطيع أن ينظر الأمور نظرة حيادية مطلقة، لأن هناك عوامل لا شعورية عديدة تؤثر تفكيره من حيث لا يدري، كالمعتقدات التى نشأ عليها والعاطفة والمصلحة والأنوية وحدود المعرفة والتجارب المنسية والعقد النفسية وغيرها، فالإنسان حين يفكر يتصور أنه حر مطلق تفكيره لأنه لا يعرف العوامل اللاشعورية المؤثرة عقله، فنحن حين نتهم المخالف لنا بالتعصب أو العناد أو الجهل لا ندري أنه هو نفسه يتهمنا بمثل ما اتهمناه به، وهذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم إذ قال: كل حزب بما لديهم فرحون، الا اننا يجب ان نحترم كل صاحب رأي، فالمجتمع الديمقراطى الذي يستمع للاخر يحمى الاقلية التى تخالفه، والذي يحكم الجميع هو القانون، فحدودك فى الديمقراطية تتوقف حيث لا تتجاوز على الاخرين، عندها سوف يتدخل القانون لأبعاد الضرر عن المتضرر.

لقد سار العالم بعد ان شهد ويلات الحرب العالمية الاولى والثانية الى الديمقراطية لكى يقطع الطريق امام تشكيل الحكم المستبد، واتوقع شخصياً اننا نشهد هذه الولادة الان فى الاقطار المجاورة، وربما وصلت الينا، فان كثرة الحروب وعدم جدوى النتائج التى تتمخض عنها واختفاء الدول الايدلوجية من الخريطة، يفرض علينا الاسلوب الديمقراطي بصفته اسلوباً

امثل للحكم، نعم سوف تقولون انه اسلوب غير متكامل وانه ربما ظلم مجموعة كبيرة من البشر، اؤيدكم فى ذلك، ولكن مع حكم المواطنة فى ظل القانون، ليس لدينا مشروع احسن منه، ربما ذهب بعضكم الى ان الولايات المتحدة الامريكية هى افضل دولة فى تطبيق الديمقراطية، وانا اخالف من يذهب الى هذا الرأي، فالولايات المتحدة فى اختيارها لحزبين فقط دون اي مشاركات اخرى، ووضع برنامج صعب المنال للوصول الى سدة الحكم، يجعل الولايات المتحدة من اسوأ الدول فى تطبيق الديمقراطية، خاصة اذا علمتم كم من الاموال تصرف لأجل الحملات الانتخابية او للوصول الى كرسى فى الكونغرس، لكن سوف تؤيدونى اذا وجدتم ان الولايات المتحدة فيها مئات الاعراق والمذاهب والاديان والعقائد، لكنها جميعا تحاسب من باب المواطنة، مما يجعل اي مواطن يعيش على التراب الامريكى قد ضمن لنفسه ان لا يتعرض له احد فى الطريق، وكذلك فان القانون الصارم يجعل رئيس الولايات المتحدة تحت المراقبة دائما، وما فضيحة ووترغيت الا دليل على ذلك، فقد اطاح القانون بالرئيس نيكسون لأنه اتهم بالتجسس على الحزب المنافس، (خل يجون يشوفون عندنا)، وهم بذلك ضمنوا للمواطن حقه وحددوا للرئيس مسؤولياته.

مع حكام العراق

لم استطع ان اعرف من الوردي رأيه بحكام العراق بالكامل او فلنقل لم احصل على رأيه كما يجب، لأنه كان يجيب عن اسئلتي في هذا الخصوص باقتضاب، ولم يتسن لي ان اكتب رأيا متكاملا للوردي فيما عدا رأيه بالملك الاول الملك فيصل الاول والرئيس الاخير صدام حسين، فالاول كان الوردي لا يخفي اعجابه به، حتى انه اسمى احد اولاده على اسمه، والآخر كان الوردي لا يطيقه، ويعلن دائما تبرمه من قراراته وطريقة ادارته للبلاد، حتى

انه قال لي مرة بحضور الاستاذ عبدالمطلب مهدي عبود والاستاذ سلام الشماع، بان حكم صدام حسين هو الحكم الاسوأ على طول تاريخ العراق، وسوف يوصل العراق الى المهالك، وسوف نرى نتائج هذا الحكم قريبا، وربما لن اكون معكم في الاحداث التي سوف تعصف بالعراق، فان وصلتموها فتذكروا ما قلت لكم.

الملك فيصل الاول: معجب

الملك فيصل الاول ابن الحسين وهو (فيصل بن الشريف حسين بن الشريف علي الهاشمي١٨٨٣-١٩٣٣، ولد في مدينة الطائف في وكان الابن الثالث لشريف مكة حسين الهاشمي، كان ملكاً على سوريا لفترة قصيرة من ١٩١٨ الى ١٩٢١ ثم اصبح ملكاً على العراق من ١٩٢١ إلى ١٩٣٣)، اعلن المندوب السامي البريطاني السير بيرسي كوكس قرار مجلس الوزراء العراقي بمناداة فيصل ملكا على العراق في ظل حكومة دستوريه نيابيه، توج الملك فيصل ملكاً على العراق باسم الملك فيصل الأول بعد تصويت حصل فيه على نسبه ٩٦% من أصوات المجلس، وتم تتويجه في ٢٣ أغسطس من عام ١٩٢١، في ساحة البرج قرب ساعة القشلة ببغداد.

وقد اخبرني الوردي بانه تأثر بشخصية الملك فيصل الاول الكاريزمية، وكذلك طريقة ادارته للبلاد، فقد عركته السياسة مع والده في مكة ومن ثم في الثورة العربية، وخاصة فترة بقاءه في الآستانة حيث تعلم اللغات التركية والانكليزية والفرنسية وتربى على ايدي امهر الاساتذة، لينتقل الى الحجاز وسوريا،. وقد لاقى هناك من الفشل والانتكاسات اكثر مما لقاه من النجاح والتوفيق، وخاصة بعد خسارته لمعركة ميسلون.

يقول الوردي ان فيصل الاول اتى بكل هذه الخبرات الحياتية السياسية

مع كبار مستشاريه من امثال نوري سعيد ورستم حيدر والدكتور أحمد قدري، وفائز الغصين وتوماس إدوارد لورنس، ليكّون حكومة ناجحة في العراق استطاع من خلالها تأسيس البنية التحتية للمملكة العراقية، ويمارس السياسة مع الشعب العراقي الذي كان ينتظر من الملك كثيرا، خاصة والعراق قد خرج لتوه من الاستعمار الانكليزي بثورة دموية دامت لأكثر من اربع سنوات وكللت بالنجاح في تأسيس الحكم الوطني، وقد تعامل فيصل الاول مع ثنائية البريطانيين والعراقيين باسلوب (خذ وطالب) وذلك من اجل اخذ حقوق العراقيين من بريطانيا، وعدم اغضاب بريطانيا من العراق، وهي التي انحسر احتلالها الى مجموعة مستشارين يحاولون ادارة اللبلاد، حتى لا يتأزم الوضع، الى ان عقد في عام ١٩٣٠ معاهدة مع بريطانيا، سميت بمعاهدة ١٩٣٠ أقرت بموجبها بريطانيا استقلال العراق عن التاج البريطاني وإنهاء حالة الانتداب، كان خلالها الملك فيصل الاول قد ادار العملية السياسية في الداخل والخارج بنجاح باهر، فهو قد حصل على الاستقلال للعراق وان كان منقوصاً، وبذل جهدا كبيرا لكي يصنع في العراق دولة مؤسسات، الا ان سوء عمل بعض الرجال من اداوات الحكم اضر بمشروعه الطموح، واعتقد شخصيا من خلال قراءة الوثائق ان الحكومة البريطانية لم تكن تحب فيصل الاول، لذلك اتهمت صحف المعارضة العراقية بريطانيا بقتله مسببة الوفاة الى الممرضة البريطانية التي كانت ترافقه في رحلة علاجه إلى بيرن في سويسرا بحقنه بالسم او انها وضعت له السم في الشاي، في حين ان تقرير الوفاة ذكر ان السبب هو تصلب الشرايين، الى ان الوردي وان لم يستبعد القتل، لكنه لم يكن يعتقد انه قتل، بل لقد حصل على خبر حصري من احد افراد الوفد الذي يرافق الملك بانه توفي لبذله جهداً (...) لا يتناسب مع عمره!، وما نشر على الملأ بعد ذلك هو ان تقرير الوفاة ذكر سبب الوفاة هو تصلب الشرايين، وترجع الممرضة البريطانية الي كانت ترافق الملك سبب

الوفاة إلى التسمم بالزرنيخ الذي أذيب في الشاي الذي شربه قبل وفاته بست ساعات، وبخاصة أن الأعراض التي ظهرت على الملك فيصل في الاحتضار هي أعراض التسمم بالزرنيخ، وقد حُنطت جثته وأُرسلت إلى إيطاليا ومنها إلى ميناء حيفا ومنه إلى عكا ومنها إلى مدينة الرطبة العراقية عن طريق الجو، حيث وصلت بغداد في ١٥ سبتمبر ١٩٣٣ ودُفن في المقبرة الملكية في منطقة الأعظمية في بغداد، يقول الوردي ان الوصية المنشورة عن الملك فيصل الاول تدل على وطنيته وهي: أنا مرتاح. قمت بواجبي. خدمت الأمة بكل قواي ليسير الشعب بعدي بقوة واتحاد، هذه اهم المعالم التي تحدث فيها الوردي عن الملك فيص الاول، بالاضافة ما كنت قد ذكرته في الفصل الثالث من هذا الكتاب، وهو ان الوردي قد تأثر بشخصية الملك فيصل الاول وطريقة ادارته للبلاد

الملك غازي: لا يجيد السياسة

وهو الابن الاكبر للملك فيصل الاول (غازي بن فيصل بن الشريف حسين الهاشمي ١٩١٢ - ١٩٣٩، ثاني ملوك العراق. حكم من ١٩٣٣ ولغاية ١٩٣٩. قام بتأسيس إذاعة خاصة به في قصره الملكي قصر الزهور، توفي في حادث سيارة حيث اصطدمت بأحد الأعمدة الكهربائية)، يقول الوردي ان شخصية الملك فيصل الاول الطاغية اثرت على شخصية ولده، حيث ظهر ضعيف الشخصية مترددا، وقد حاول والده ابان حياته ان ينفخ فيه الروح فعوضه عن ضعف شخصيته بمجموعة من المستشارين من الضباط والساسة الذين لم يكن بعضهم على مستوى المسؤولية، فجرفوا الامير غازي وبعد ذلك الملك غازي الى حياة السهر، ومع شخصيته المهزوزة، كان متوقعا ان يتقوقع على نفسه، لذلك اسس اذاعته الخاصة، وعكس والده الذي لم يكن احد يتوقع ما سيفعله، كان الملك غازي واضحا من خلال الاذاعة التي تبث

من قصر الزهور، وللاسف لم يكن الرأي المطروح فيها رأيه شخصيا، بل هو تأثيرات من حوله.

الوردي يعتقد ان الملك غازي ربما يكون فعلا قد اغتيل وان حادث السيارة كان مدبرا، فهو بسبب الاذاعة التي كانت لا تتوافق تماما مع البيانات المعلنة عن الدولة العراقية والتزامها بالمعاهدات الموقعة مع بريطانيا فبرامج الاذاعة كانت تتحدث عن وحدة الأقاليم العربية ومنها توحيد الكويت بالعراق، والوقوف إلى جانب فلسطين التي كانت تحت الاحتلال البريطاني، ومع بروز هتلر وتهديده للعالم لم يكن من الممكن ان يبقى الملك غازي في حكمه، هذا اذا سلمنا بان الحادث كان مدبرا.

الملك فيصل الثاني: عبدالاله اطاح بالحكم الملكي

الملك فيصل الثاني هو (فيصل بن غازي بن الملك فيصل الأول ١٩٣٥ - ١٩٥٨، ثالث وآخر ملوك الأسرة الهاشمية، كان تحت وصاية خاله عبدالاله حتى عام ١٩٥٣ وبعدها اعلن فيصل الثاني ملكاً على العراق)، راي الوردي ان الملك فيصل لم يمارس الحكم فعلياً في العراق، وان من مارس الحكم كان الوصي عبدالاله خال الملك، وان الملك فيصل الثاني حتى وبعد تتويجه كان يخضع لخاله، الذي يشك الوردي انه كان يجب ان يكون وصياً للعرش، حيث لم يتوقع احد ان يموت الملك الشاب بحادث عرضي او اغتيال لكي يوصي الا ان اخت عبدالاله وزوجة الملك الملكة عالية ادلت بشهادتها أمام مجلس الوزراء بأن الملك أوصاها في حالة وفاته بتسمية الأمير عبدالإله (شقيقها) وصيا على إبنه فيصل، ويتوقع الوردي ان هذه الوصية مزورة وليس لها اساس من الصحة بل هي من تدبير عبدالاله نفسه.

يقول الوردي ان ثنائية عبدالاله ونوري السعيد هي من اطاحت بالحكم

الملكي في العراقي وليس لفيصل الثاني اي دخل في هذا السقوط، فقد جعلا من الملك الصغير في حالة من التردد، فهو وان حاول ان يعمل شيئا في الفترة التي تسنم فيها الحكم الا ان المشاكل التي كانت تواجه كل خطواته، كانت تلجأه الى خاله عبدالاله المتربص، الذي يباشر العمل السياسي حتى بعد استقالته، وكان يجب على نوري السعيد ان يكون اكثر حرصا على الحكم من الاهمال الذي تعامل معه في اواخر ايامه، فهو كان من الرعيل الاول، وقد احزنتني نهاية حياة الملك فيصل الثاني المأساوية كثيرا، فقد كان يجب ان يترك لمغادرة البلاد كما فعل جمال عبدالناصر مع ملك مصر.

عبدالكريم قاسم: زعيم شعبي لا ينفع رئيسا للعراق

وصف الوردي وضع المجتمع العراقي بعد ثورة تموز يوليو ١٩٥٨ بأنه اشبه بمخزن بارود لا يستطيع ان يحدد متى ينفجر، مسببا ذلك للحكومات التي تركت جذور العصبيات تتحكم بشخصية الفرد العراقي ولم تضع لها حلولا اجتماعية، بل لقد تكثف الوضع الاجتماعي في السنوات الاخيرة قبل وفاة الوردي ليصل الى دعم الحكومة للقيم والاعراف الاجتماعية والعصبيات الطائفية والعشائرية والحزبية مما رسخها في نفوس المواطنين، لذلك فالوردي يتهم الديكتاتورية والاستبداد السلطوي بانه هو من اعاد انتاج الرواسب الاجتماعية والثقافية التقليدية القديمة ورسخها من جديد في المجتمع العراقي، ولم يكن الزعيم الركن (عبدالكريم قاسم او عبدالكريم بن (جاسم) بن بكر الزبيدي ١٩١٤ - ١٩٦٣، أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي، اصبح رئيسا للوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع في العراق من ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ ولغاية ٩ شباط/فبراير ١٩٦٣، كان عضوا في تنظيم الضباط الاحرار، وقاد الثورة ضد النظام الملكي)، قال

الوردي كان عند عبدالكريم قاسم كاريزيما الزعيم، ولكنه لم يكن يمتلك حرفة ومكنة الحكم والادارة، فهو بصفته العسكرية كان وطنياً يحب العراق ويحب الطبقة الفقيرة من الشعب، الا ان هذا لوحده لا يكفي لأدارة سدة الحكم، ولم تكن حساباته دقيقة مع الشيوعيين وكذلك مع القوميين، ويشعر من يؤرخ للعراق بان عبدالكريم قاسم قرب الشيوعيين في الفترة التي كان يجب ان يقصيهم عن الحكم واقصى القوميين في الفترة التي كان يجب ان يقربهم، ومن اغرب الاحكام التي صدرت في فترة حكم عبدالكريم قاسم، كان حكمه على رفيق دربه عبدالسلام عارف الذي تأمر عليه، حيث ان العرف العسكري العراقي يحكم على الخائن او المتأمر بالاعدام، وقد اتهم عبدالسلام عارف بهذه التهم، لكن عبدالكريم قاسم اصدر عفوا عن كل المتأمرين عليه وقال عفا الله عما سلف، هذه الطريقة ليست الطريقة المثلى لأدارة بلاد مثل العراق في تلك الحقبة، لا تعتبروا ما اقوله دعوة الى اصدار احكام اعدام بحق احد لا سمح الله، لكن في الفترة التي يكثر فيها الهرج والمرج على الحاكم ان يكون حازما وصارما، وما حدث ان عبدالسلام عارف عاد وتأمر على عبدالكريم قاسم وقتله، فلم تأخذه به رحمة، ولم يتذكر له ما كان العراقيون يطلقون عليها سياسية عفا الله عما سلف.

وطالما ان عبدالكريم قاسم كان يريد ان يصبح زعيما للوطن او الزعيم الاوحد للعراق، كان عليه ان لا يستأثر بالسلطة بعد ان قزم الاحزاب واختلف معهم كلهم، كان عليه الغاء او عدم اصدار قانون بانشاء محكمة المهداوي التي صارت سبة وتهكماً على عصره، حيث يتهم رئيس وزراء العهد الملكي الدكتور فاضل الجمالي، بانه عميل للنظام الملكي، فيجيب نعم انا لست عميلا للنظام فحسب بل عملت فيه حتى وصلت الى منصب رئيس الوزراء!!، هل هذا امر يعقل، فمع محكمة المهداوي لا يحاكم الشيوعيون على ما سميت مجازرهم في الموصل وكركوك، ويقف ضد القوميين العرب

الذي كانوا سنده قبل الثورة، دون ان يضع بديلا لهم يستند عليه، الثورة الكردية التي اندلعت كانت نتيجة عدم معرفته ادارة الحكم وهذا ما يسمى في منطق السياسة بالتخبط، نعم لقد شهدت فترة حكمه انجازات، لكنها انجازات في اغلبها غير عاقلة ولا منتجة، ومنها: شروعه ببناء المساكن للطبقات الفلاحية الفقيرة التي هاجرت إلى بغداد ومن بينها قرية (الثورة)، حيث انتقل اكثر من مليون فلاح تاركين اراضيهم الزراعية في الجنوب الى بغداد، مما اثر على مستوى الزراعة في العراق، وخلق من الفلاحين قوة معطلة في العاصمة، اكتسبت بعد فترة قوانينها الخاصة، فهم ابناء مدينة واي مدينة العاصمة، ولكنهم يتعاملون ويتعايشون بمنطق الريف.

يؤسفني حقا ان هذا الرجل الوطني النزيه لم تكن له المكنة والحرفة في ادارة الامور السياسية وان يدخل عليه صديقه عبدالسلام عارف بعد ان حوصر في دار الاذاعة ويوقع باعدامه رمياً بالرصاص، ثم لا يحترم جثمانه، حيث يبث التلفزيون صور لمقتله وبعض العساكر يتوجهون لجثمانه المسجى على الكرسي بالاهانة.

عبدالسلام عارف: اول من مزق العراق طائفيا....
الامن يستدعي الوردي

شهادة للتاريخ لقد كان الدكتور علي الوردي يمتعض من ذكر عبدالسلام عارف، وهو(عبد السلام محمد عارف ١٩٢١-١٩٦٦ ثاني حاكم في النظام الجمهوري، كان الشخص الثاني في ثورة تموز وحاول اكثر من مرة ان ينقلب على عبدالكريم قاسم مما ادى الى ابعاده سفيرا في المانيا الغربية ثم سجنه وحكمه بالاعدام الذي خفف الى المؤبد ثم عفى عنه عبدالكريم قاسم لينقلب عليه مرة اخرى بمساعدة حزب البعث العربي الاشتراكي ويصبح

رئيساً للجمهورية)، كان الدكتور الوردي يقول ان اول رئيس زرع الطائفية في العراق كان عبدالسلام عارف، حيث كانت المشاكل السياسية التي تحدث ابان العهد الملكي وعهد عبدالكريم قاسم مشاكل حزبية بين الشيوعيين والقوميين العرب وبعد ذلك مع البعثيين، وتمثل هذه الاحزاب كل الطوائف والمذاهب والاديان العراقية، حتى جاء الفرز الطائفي على ايام عبدالسلام عارف ليفتح باب جهنم امام العراقيين، لقد تسربت من جلساته الخاصة انتقادته لبعض رجال الدين الشيعة وعرف عنه تدينه المتطرف، وبدأت عملية اقصاء الشيعة من دوائر الحكومة في عهده، وقد نقل لي احد الذين رافقوا عبدالسلام عارف الى مصر، بانه حين طلب من عبدالناصر الاشتراك في وحدة بين العراق ومصر وسوريا، اجابه الرئيس جمال عبدالناصر انا لا اعمل وحدة مع محافظة الرمادي!!.

وحين سئل عن تصرفاته بررها بكلمة شهيرة قالها في احدى خطبه الحماسية الطويلة وهي: (انا لست ضد الشيعة أو أي طرف أو فئة عراقية ولكني ضد السلوك الطائفي، وقد اتصلت بالمرجعيات الدينية الشيعية إضافة للسنية بغية تحديث القانون العراقي من خلال اقتباسات من الشريعة الإسلامية)، ويضيف الوردي ان عبدالسلام عارف بتحديده السلوك الطائفي عند طائفة واحدة لا غير قد اشار دون ان يدري الى طائفيته، وبصفته رئيسا للعراق ما كان يجب ان يحدد طائفة بعينها، بل يقول انا ضد السلوك الطائفي فحسب!

حينما سقطت طائرة الرئيس عبد السلام عارف (طائرة الهيلكوبتر السوفيتية الصنع طراز مي (Mi)) ابتهج قطاع كبير من الشعب حين سمع الخبر، فقد كان الرئيس حاد الاخلاق، وصل للحكم بواسطة البعثيين وانقلب عليهم بالثورة التصحيحة، وبصفته الدينية كان عدواً للشيوعين، ومن ثم اتجه

للاسلام الاشتراكي متأثرا بافكار المفكر المصري سيد قطب، ليكون جراء هذا التأسلم ابتعاده عن القوميين ايضاً وان كان بمستوى اقل عن تقاطعه مع البعثيين والشيوعيين، ومع اضطهاده للشيعة كذلك، فانك ترى قطاعا كبيرا من الشعب كان سعيدا للظروف الغامضة التي اودت بحياة رئيسهم مع بعض وزراءه ومرافقيه، حيث سقطت طيارتهم بين القرنة والبصرة، وهذا ايضاً امر مؤسف.

حكى الوردي اكثر من مرة قصة استدعاؤه لمبنى الامن العام في زمن عبدالسلام عارف، يقول الوردي ان مدير الامن اعتذر عن جلبي الى مديرية الامن وهو لا يعلم باني كنت سعيداً لهذا الاستدعاء الذي رفع اسهمي بين افراد الشعب، الذين يعتبرون من يستدعى الى الامن اقرب الى ان يصبح بطلا قوميا تحاك حول بطولاته القصص، وقد منحني مدير الامن هذه الميزة وهو يعتذر عنها، بعد ذلك سألني السؤال الغريب التالي: هل تدري يا دكتور ان اي سفير بريطاني او امريكي يعين في العراق يلزم بقراءة الترجمة الانكليزية لكتابك في طبيعة المجتمع العراقي، ثم يأتي الى العراق، وقد تأكدنا من مصادرنا عن هذه القضية وظهرت صحيحة؟ فقلت لا، لا ادري، فقال مدير الامن: تعتقد لماذا تفعل هذه الدول العظمى هكذا، ماذا وجدوا في كتابك؟ يقول الوردي، فقلت لمدير الامن: لأنهم يعرفون وانتم لا تعرفون، لأنهم يقرأون الفكر وانتم لا تقرأون، لأنهم يحترمونني ويقرأون كتبي وانتم تستدعوني الى مبنى الامن مثل المجرمين، هذا هو السبب، وهذا هو الفرق بينهم وبينكم!!، واعادوا الوردي الى البيت معززاً مكرما. (وثيقة من الامن العامة حول السماح له بالسفر الى خارج العراق عام ١٩٦٥ مرفقة بوثائق هذا الكتاب).

عبد الرحمن عارف: متسع من الحرية في وقت ضيق..

(عبد الرحمن محمد عارف ١٩١٦ - ٢٠٠٧ عسكري عراقي شغل منصب رئيس الجمهورية في العراق بعد مقتل اخيه عبدالسلام عارف من عام ١٩٦٦ إلى ١٩٦٨، اجتمع القياديون ومراكز القوى في عهد اخيه وقرروا اختياره رئيساً للجمهورية)، يقول الوردي ان الفترة الممتدة من عام ١٩٦٦ الى ١٩٦٨ تعتبر من اجمل الفترات التي عاشها الشعب العراقي من حيث الحرية، فقد منح عبدالرحمن عارف حرية غير مسبوقة على عهد اخيه للشعب مع وجود اجهزة امنية قوية بقيت كما كانت على عهد الرئيس الراحل، لكن الرئيس الجديد كان يتدخل ويأمر باطلاق سراح سجناء الرأي.

وختاماً يقول الوردي ان الحرية التي منحها عبدالرحمن عارف للسياسين في عهد كلفته حكمه، فهم تأمروا عليه وخططوا واخترقوا حتى وزراءه لأجل اسقاطه وهو كان يسير خلف فكرة اعطاء حريات اكبر، ولكن انقلاب البعث اسقط دولته واحمد الله انه سجل سابقة في العراق، حيث لم يقتل الرئيس بعد الانقلاب عليه.

أحمد حسن البكر: حكم القبيلة.... الامن يحذر الوردي لتجنب تهديد الامن الداخلي

يقول الدكتور علي الوردي لو اطلعت على اسماء اعضاء مجلس قيادة ثورة الذين جاءوا بعد الانقلاب على عبدالرحمن عارف مع الرئيس الجديد (أحمد حسن البكر ١٩١٤ - ١٩٨٢ وقد حكم العراق منذ ١٩٦٨ إلى ١٩٧٩، وكان البكر قبلها رئيسا للوزراء لمدة ١٠ أشهر مع حكومة عبدالسلام عارف، ولكن عبدالسلام انقلب على البعثيين، ليعود البكر وينقلب على اخيه عبدالرحمن عارف)، لرأيت ان اكثر هؤلاء الوزراء يمثلون قبيلة واحدة، وهم

من مجموع ثمانية اشخاص ابعد منهما اثنين غير بعثيين النايف والداوود، وقد استحوذوا على كل الوزارات السيادية، وهم احمد حسن البكر التكريتي رئيسا، حردان التكريتي نائب الرئيس، صدام حسين التكريتي نائبا للرئيس، سعدون غيدان التكريتي وزيراً للداخلية، حماد شهاب التكريتي وزيراً للدفاع، وتمثل الطبقة الثانية من هؤلاء الثوار نسبة تتجاوز السبعين بالمئة من اهالي تكريت، فبالاضافة الى كونهم من مدينة واحدة هم كذلك متصاهرون فيما بينهم.

هذه الحقبة شهدت لمحافظة صلاح الدين دوراً كبيرا في حكم العراق، حيث مدنها سامراء والدور والعوجة وتكريت بدأت تكون القابا للحكام جميعا، فمن كان يلقب ب(التكريتي) كان الناس يهابونه، ويبدو ان البعثيين انتبهوا لهذه القضية، فصدر قانون بعدم التكني بالقبيلة والاكتفاء بالاسم الثلاثي فقط، لتتغير اسماء قادة العراق من صدام التكريتي الى صدام حسين ومن عزة الدوري الى عزت ابراهيم ومن سعدون التكريتي الى سعدون غيدان وحماد التكريتي الى حماد شهاب، وهي خطوة موفقة في التعمية على قبلية الحكم في العراق، المشكلة التي عانها العراق في فترة حكم القبيلة هذه، ان القبيلة لم تعد ترضى بعد حين من الوقت بالقبائل المشاركة معها في الحكم، فقد انقلبت على عبدالخالق السامرائي وابعدت اهالي سامراء من الاقتراب الى المناصب السيادية، ثم ادخلت على مراحل اسماء جديدة مثل عدنان خير الله التكريتي، طبعا دون لقب وهو شقيق زوجة صدام وزوج ابنة البكر وطه ياسين رمضان (الجزراوي) الى مجلس قيادة الثورة.

وهكذا تقلص العراق في فترة الرئيس البكر ليصبح محافظة صلاح الدين، ولا ينكر ان وزراء من غير تكريت شغلوا وزارت كثيرة ومهمة، لكن كان باستطاعة الحاج خير الله طلفاح والد عدنان وساجدة زوجة صدام، ان

يأمرهم وينفذون امره وهم له طائعين، فهو خال السيد النائب وقريب الرئيس، ثم توسعت الدائرة حين امتلك الطموح اهل تكريت للمجيء الى بغداد بحثاً عن منصب او سلطة، حتى كونوا سلطتهم الخاصة بعد ان طلبوا من الرئيس البكر ان يستريح في بيته!!.

لقد سئل الاستاذ سلام الشماع في احدى مقابلاته الصحفية، **هل** صحيح ما يقال ان الدكتور الوردي قد استدعاه مدير الامن وحقق معه او انه سجنه، نفى الشماع ذلك لأعتقاده ان هذا الامر حصل في زمن حكم صدام حسين، فاجاب على حد علمه، في ايام صدام حسين لم يستدع الامن الوردي، وهو يقول ان الدكتور عبدالامير الورد في مقدمة كتابه ان الامن استدعى الدكتور علي الوردي، ويرى ان الامر غير مستبعد!.

زودني الشيخ سليم الجبوري بوثيقة من وثائق الامن العامة التي حصل عليها تؤكد انه تم توجيه الوردي وتحذيره في زمن احمد حسن البكر، الى ضرورة الحذر في القاء محاضراته، وهي بكامل تفاصليها كالآتي: (من وزارة الداخلية – مديرية الامن العامة- العدد ٤٥ س /٦٦٤٣٦ بتاريخ ١٩٧٩/٤/٣٠ وتحت بند (سري)، موجهة من مديرية البحوث والتطوير... يذكر فيها انه: يرجى توجيه الدكتور علي حسين محسن الوردي الى ضرورة الحذر في القاء محاضراته وتجنب ذكر ما يمكن ان يستفاد منه الاخرون ويشكل تهديد لأمنا الداخلي (خلال سفره الى بولونيا) لطفا... التوقيع مدير ٤٥ . (صورة الوثيقة ضمن وثائق هذا الكتاب).

ولا ادري كيف تم توجيه التحذير الى الدكتور علي الوردي، هل تم باستدعاءه الى مبنى الامن لخطورة الموضوع وتعلقه بتشكيل خطر تهديد (لأمننا الداخلي)، ام انه استقبل التوجيه بالحذر في القاء محاضراته في البيت او الجامعة، ولم يطلعني الشيخ سليم الجبوري على مستندات امنية اخرى لأستطيع من خلالها استشفاف كيفية تحذير الوردي.

يقول الوردي ان فترة حكم صدام حسين وهو الرئيس الجمهوري الخامس في العراق (صدام حسين عبد المجيد التكريتي ١٩٣٧- ٢٠٠٦ حكم العراق من عام ١٩٧٩ وحتى سقوطها بيد القوات الامريكية في أبريل نيسان من عام ٢٠٠٣ ، كان نائبا للرئيس وقد سطع نجمه منذ عام ١٩٧٥ ، بدأ في اول حكمه بحركة تنمية كبيرة ولكن سرعان ما دخل حربا مع ايران دامت ثمان سنوات لحقها بغزوه للكويت ثم هاجمته الولايات المتحدة لأخراجه من الكويت وما ان خرج من الكويت حتى كان العراق بدون بنية تحتية، بعد ان احالته الصواريخ الامريكية الى تراب، وفرضت الامم المتحدة حصارا قاسيا على العراق حوله الى بلد فقير ومعوز الى عام ٢٠٠٣ دخلت القوات الامريكية الى بغداد واسقطت حكمه)، كنا نقول ان الوردي يقول: ان فترة حكم صدام حسين الداخلية تعتبر فترة عصيبة، خاصة بعد ان انهى دور القبيلة في الحكم وقلص العراق الى القرية، حيث جمع اهله واقاربه ومن ينتسب له من قرية العوجة وسلمهم مقاليد الحكم في العراق، فظهر برزان التكريتي اخ صدام غير الشقيق رئيسا للمخابرات العامة، ووطبان ابراهيم وزيرا للداخلية وسبعاوي ابراهيم مديرا للامن العام، وحسين كامل الحسن وزيرا لأكثر من وزارة، لم يتسن لي ان اعيش في اثناء فترات الحكام الآخرين مع الوردي لأسمع رأيه في الاحداث مباشرة، وقد حالفني الحظ ان اسمع منه بوضوح ودراية كاملة وانا آنذاك في الثلاثينات من عمري لكي اسجل رأيه بعد عشرين عاماً، دون تدخل عاطفي وعقائدي من عندي، فما انقله نص ما سمعته من الوردي، يعتقد الوردي وقد قال هذه الكلمة امام الاستاذ عبدالمطلب مهدي عبود والاستاذ سلام الشماع وهما ما زالا على قيد الحياة بانه يعتبر فترة حكم صدام حسين هي الاسوأ في تاريخ العراق على الاطلاق، وللتاريخ اقول ربما نختلف مع الوردي في آراءه، وربما يتقاطع بعضنا مع طروحاته، الا ان التاريخ يفرض علينا ان نقول الحقيقة، وليس غيرها، لذلك

سنرى من خلال ما سوف نورده تالياً، بان صدام ايضا بدوره كان يكره الوردي!، وهو كما يبدو ان هناك علاقة تبادلية بينهما، انتهت دون يعبر احدهما الى الآخر بمكنونات قلبه، لذا انقلها هنا للتاريخ وللحقيقة وكما سمعتها ورأيتها.

صدام حسين: لا احب الوردي

هو (...) شاعر معروف وكاتب صحفي واديب ودبلوماسي بامتياز، كان بعثيا متلزما بمباديء حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد قيدته المباديء التي عاشها قلبا وقالبا من ان يتحرك صوب السلطة بعد ان اقتسمتها العشيرة ابان الفترة الثانية من حكم البعث في العراق، لم يقم بحركة انقلابية تصحيحة، ولم يشارك بعض الذين حاولوا القيام بمثل هذه الحركات التصحيحة لثورتهم، وسددوا ارواحهم ثمنا للمحاولة، حيث الفرص عنده كانت معدومة تماما، بعدما تغيرت قيادة البعث خلال ثلاث انتقالات سياسية في اعوام ١٩٦٨ و١٩٧٥ و١٩٧٩ من بعث عربي الى بعث عراقي الى بعث قروي يمثل قرية واحدة او محافظة واحدة في اكثر التقادير تفائلا...

كان صاحبنا الاديب والشاعر والدبلوماسي السابق ينحدر من وسط اسلامي شيعي، فقد قضى فترة لا بأس بها من عمره دبلوماسيا في احدى الدول الغربية الثقافية، وقد كان وجوده بعيدا عن العراق اثناء بعض التنقلات السياسية الحادة التي حصلت على مستوى المؤامرات والمؤامرات المضادة داخل صفوف الحزب والقيادة والدولة، وحينما عاد صاحبنا الى العراق بقي على احترامه عند السلطة والشعب، فهو يخدم الناس بصمت، ويتواصل معهم دون ضجيج اعلامي، وليس لديه طموح في منصب او مركز سيادي في الدولة، وشاءت الاقدار ان تنام عليه (الطابوقة) سياسيا، ونامت عليه الطابوقة

هو (مصطلح عراقي سياسي يقال عن الشخص الذي يقف منصبه عند منصب المدير العام او وكيل الوزير، واذا ما رقي فانه يسمى مستشارا)، وسبب تجميد صاحبنا الشاعر والاديب المثقف كما كان يشاع حينها يعود الى انه كان قد رفض امرا من الرئيس في ان يكون وزيرا للثقافة والاعلام، وجاء رفضه مبررا (بتحديات المرحلة) التي تتطلب وزير ثقافة مقاتل، وليس وزير مثقف!!، وقد اقنعت عبارته تلك (قائد البلاد)، فغير ترشيحة لشخصية مقاتلة تدير وزارة الثقافة والاعلام، وان كانت على المستوى الثقافي لا تتجاوز مرحلة الدراسة المتوسطة، فهي خير من شاعر ترجمت قصائده الى اللغات الاجنبية، ولكنه لا يفقه في فنون القتال... لذا بقي صاحبنا في نفس منصبه لسنوات طويلة يتحرك ضمن الاطار المرسوم، ولم يستطع الخروج الى دائرة اوسع من مستشار او مدير عام!

وتأبى الاحداث في العراق الا ان تكون حادة على الجميع، فقد كبر الابن البكر للرئيس العراقي صدام حسين، واسمه (عدي)، واراد ان يمارس صلاحيات سياسية، فاسس ناديا رياضيا ثم سرعان ما شدته ادارة الرياضة الى ترؤس اتحاد كرة القدم، ثم ضم اللجنة الاولمبية العراقية الى سلطاته واصبح رئيسا لها، ولم يجد من والده الثائر السابق اي غضاضة او امتعاض، فتحول الصبي عدي صوب الصحافة واصبح نقيبا للصحفيين العراقيين واسس جريدة رسمية تنطق باسمه وجرائد اخرى للاتحادات والنقابات الشبابية التي اصبحت تحت سلطته وسلطنته، فكان رئيسا فخريا للأتحاد العام الشباب وللاتحاد الوطني للطلبة ثم اسس لنفسه تجمعا اطلق عليه التجمع الثقافي العراقي وادخل فيه اتحاد الكتاب والادباء، بالاضافة الى قناة تلفزيونية اطلق عليها اسم الشباب، باتت بعد حين من الوقت الاكثر مشاهدة من قناتي الدولة، واصبح وكما التقليد الغربي، حين يشكلون حكومة ظل، في وجود الحكومة الاصلية، هو الرئيس الظل، ومرافقوه يستطيعون جلب اي وزير من رقبته

ليحضر امام (الاستاذ).... واعتذر للقراء ان فاتني شيء من مناصب الاستاذ المخترعة، وليس آخرها كان قائدا لجيش اطلق عليه اسم (فدائيو صدام)، يدفع اجورا لجنوده اكثر مما يدفع الجيش العراقي الرسمي !!

عدى صدام حسين اعطى اهتماما كبيرا لصحافته، محاولا جمع العدد الاكبر من الصحفيين تحت خيمته، وحينما شعر ان الكبار من الاعلاميين القدماء لم يرضخوا له، امر (الاستاذ عدي) كتابه في الجرائد والمجلات التي يمتلكها او صادرها لحسابه بمهاجمة الاعلاميين الكلاسكيين من قدماء الصحفيين والاعلاميين، واطلق عليهم اسم الفئران او الحيوانات المنقرضة والمؤمياءات المحنطة، طالبا منهم في مقالة كتبها في افتتاحية جريدته بابل: ان يتركوا اتحاد الصحفيين واتحاد الصحفيين العرب ويذهبوا لقضاء آخر ايامهم في بيوتهم ... وكان له ما اراد.

فبعد ان نامت عليه الطابوقة سياسيا كما قلنا، احيل على صاحبنا التراب في عهد عدي (الاستاذ وابن الرئيس)، عدي ذلك المارد الذي لا يبقي ولا يذر اينما حل وارتحل، حاملا في قلبه وذهنه ملايين العقد النفسية والمجتمعية، بسبب قراءة افهمت له بمنهج مغلوط، هذا ان لم يكن المنهج معكوسا في التاريخ ادت هذه القراءة في النهاية الى ظاهرة (الاستاذ) الذي لا يفقه شيئا من الحياة ولكنه في نفس الوقت يعرف كل شي وفي كل العلوم، فهو مهندس مدني يحمل دكتوراة في السياسة ويقود فريق كرة القدم، يرأس نقابة الصحفيين ولديه جيش وحرس خاص يقدر بالالاف، وليس عليه رقيب او حسيب، فهو رئيس حكومة ظل ديكتاتورية بدأت ترتفع ويثقل ظلها على كل العراق، صاحبنا الى ذهب الى بيته، يعيش بهدوء مع متابعة حذره للاحداث، فقد باتت مؤتمرات عدي للصحفيين مصدر تندر بين الناس، فقد امر ذات مرة مرتزقته برمي ادارة نقابة الصحفيين المجتمعين في مؤتمر النقابة

العام بالطماطم، وهو غير موجود في القاعة طبعا، وعندما ابلغ بالخبر قال معلقا، كما روى لي مقربون منه آنذاك (ليش يضربون الرخيص بالغالي)، صاحبنا المستشار ولله الحمد لم يكن حاضراً في مؤتمر الطماطم هذا، حيث حماه الرئيس واعلنه مستشارا صحفيا له، وهي اشارة لولده النزق في عدم التعرض اليه، وقد سمعت يوما من اكثر من جهة ان عديا سأل صاحبنا المستشار ان لا يكون قد تضايق من الكلام البذيء الذي قيل عنه في الصحف، فاجابه: نعم تضايقت ولكني احتراما لوالدك لم ارد عليك، وكتم الولد غيضه وذهب!!، ربما توضحت معالم الرجل المقصود عند قراء التاريخ العراقي او الذين عايشوا مرحلة البعث في الثمانينات والتعسينات من القرن الماضي، ولأنني لم استأذنه في نقل هذا الموضوع عنه، حاولت ان ارسم له صورة مقربة، ارجو ان لا تكون جارحة له، وهو صاحب فضل متقدم لا يمكن ان ينسى، وربما سوف اذكره يوما ما اذا ما استأذنته ووافق.

سألت صاحبنا المستشار يوما عن دور المستشار الصحفي للرئيس، فقال ان الرئيس يستدعي المستشار ويسأله عن احوال الثقافة في البلد وما يجري فيها، وربما سأل عن شيء بعينه، او ان المستشار يبعث له بكتاب عن اشياء طلبها او يجدها المستشار ضرورية لتصل الى الرئيس، فقلت فهل سألكم الرئيس يوما عن بعض الشخصيات التي تحضر عندنا في المجلس مثلا الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور علي الوردي، فقال: بل انا ذكرتهما امامه، قلت له وما رأيه فيهما؟، فقال: اما العلامة محفوظ فقال عنه فكره معقد، لا استسيغ قراءته!، وحينما قلت علي الوردي، اشاح الرئيس صدام حسين بيده، قال لا احبه، انا لا احب الوردي!!

وعندما لا يحب الرئيس احدا يجب ان لا يذكر امامه، ذلك ديدن حكام الشرق عامة عليهم من الله ما يستحقون، وانتقل الحديث الى شأن آخر، كما

اخبرني المستشار، فليس بالامكان سؤال الرئيس عن سبب كرهه لأحد، خاصة اذا كان هذا الشخص قامة بحجم علي الوردي، اكد صحة صدور هذه المقولة عن صدام حسين، ظهور الرئيس نفسه على التلفزيون في مقابلة صحفية يؤكد فيها انه يختلف مع آراء الوردي بشان الشخصية العراقية .... ولأن هذه القضية قد رويت وقيلت ونشرت في اكثر من كتاب، لأن بعض المروي خلط الفكر بالفكرة والرأي بالاعتقاد، فسوف اشرحها كاملة بتفاصيلها وبعد ذلك اتركها لحكم للتاريخ والمقابلة والمقارنة.

على شاشة تلفزيون العراق ظهر الرئيس صدام حسين كعادته في الساعة الثامنة مساء وهو يستقبل الصحفية الامريكية كريستين هيلمز، التي جاءت تحاوره في السياسة والاقتصاد وهمينة الفرد الواحد والحزب الواحد على مقاليد الحكم في العراق، وذلك ضمن الدستور العراقي، فكان الرئيس يجيب بالتوافق الوطني والاستفتاء قد حاز هو والحزب على احقية الحكم، هنا فاجأت الصحيفة الرئيس صدام حسين بقولها هناك عالم اجتماع عراقي اسمه علي الوردي يقول: ان الشخصية العراقية على تعطي ولائها للحاكم بسهولة، وان اعطت الولاء فيجب على الحاكم ان يعي انها الشخصية مزدوجة فقد تكون الظروف الحالية هي من اوجبت عليها اعطاء الولاء للحاكم، وهو ليس ولاء حقيقياً.

اسقط في يد الرئيس حيث وضعته نظرية الوردي امام مفترق طرق، فتاريخيا الشخصية العراقية لا تعطي ولائها للحاكم وان اعطت، فانها تكون مضطرة لسبب ما ان تعطي هذا الولاء المؤقت، وانت يا سيادة الرئيس تقول ان كل العراق محضك التأييد والمباركة، فاين يكون الكلام العلمي مع شخص اطلقت عليه الصحفية عالم اجتماع عراقي ؟

وقالها صدام حسين بملء فمه، انا اختلف مع الوردي فيما ذهب اليه،

واعلنها رسمياً من على شاشة التلفزيون، فلم يترك اي مجال لمتقول غير ما قال، واكد السيد الرئيس ان الشخصية العراقية التي يتحدث عنها الوردي، شخصية تاريخية لم تجد من الحكام السابقين ما يمكن ان يجعلها تثق بهم، وهي في السابق على حق، ولكن العراقي الان شخص آخر جديد، شهد انجازات حزب البعث على كافة الاصعدة وبمرور السنين ورؤية الاحلام تتحق بدأ الفرد العراقي يثق قيادته......واورد هنا نص السؤال كما وجدته مطبوعا باللغة الانكليزية من قبل دار المأمون التابعة لوزارة الثقافة والاعلام العراقية ومحفوظا في المكتبة الوطنية بالرقم١٠٣٥ لسنة ١٩٨٣ ميلادية وتحت عنوان:

President Houssien interviewed by American researcher

وتجد السؤال في الصفحة ٣٧ من الكتاب وهذا نصه:

(**Helms**: The Iraqi sociologist Ali Al-Wardi says that the Iraqi personality is a double personality. On the one hand the Iraqi may be severe, decisive and strong, but then he may be loving, temperamental and generous. Do you agree with this opinion? How do you justify this? Does this have historical reasons?

President: Double personality is different from what you have described. A double personality means that the same personality bears two different nest: at certain times it appears human and ?ovens good deeds, while at there times, without a basic change of situation, it appears hateful of life, good and humanity. This could take the form of a social disease effecting any society, in accordance, of course, with its historical conditions. You may find those affected by this disease in the Iraqi

society more or less in number than those in the French or Libyan society, for instance, more or less than what you find in the Greek society. The case is connected with historical development and the conditions of society. There is no doubt that political development, together with the aspects connected with social, economic, and political life, including the question of democracy and its circumstances, has an influence on the number of people affected by this disease. But the example you just referred to, if mentioned by Al-Wardi,

is not a case of disease. You may even find the leader himself more delicate than a vial of perfume or a rose. But you may also find him sharper than a sword's edge. In all these cases he is not of a double personality. Take me for instance: as a human being I suffer when I sign a sentence of death on the military commanders you have mentioned, that is on the human and personal levels. But acting from a position of responsibility, I find their behaviour deserving such punishment, which I wish it did not take place. So you find me and every official in the State and the Party: we feel as we should on the human level, yet we are strong and balanced enough to behave as officials towards responsibility)

هذه القصة كما حدثت وارجو من الاساتذة الذين كتبوا القصة في مقالاتهم او كتبهم على نحو مغاير ان يصلحوها على ما كتبتها هنا، وسوف انقل تداعيات هذه القصة، واوضح بعض الخلط الذي حصل عند بعض الكتاب، حينما قرنوا ردود فعل القيادة العراقية ضد الوردي في الحدث الواقع عام ١٩٨٣ قرنوا ذلك بحدث آخر كان قد وقع بين السلطة والوردي عام ١٩٩١ والفرق في السنين يكاد يلامس العشر سنوات، وارجو من الذين كتبوا غير ذلك اصلاح ما كتبوه لكي تصل سيرة حياة الوردي للتاريخ كاملة، فسوف يأتي اناس بعدنا يقرأون ما كتبنا ويطابقون المعلومات ويتأكدون من

صحتها سواء بالمطابقة ام بالوثيقة، نأتي الى تداعيات هذه المقابلة الغريبة التي اعطى فيها صدام حسين رأيا باحد العلماء العراقيين الاحياء والمتواجدين على ارض العراق آنذاك، لقد ترتبت على الدكتور الوردي عدة امور منها:

اولا : ان يقوم الوردي بنفي صحة نظريته ويؤيد ما ذهب اليه الرئيس، وقد اسماها الاستاذ سلام الشماع حين ذكر هذه القصة ب(حسن تخلص) الوردي، ولكن الحق ان الوردي لم يتخلص، بل زاد الطين بلة للذين يعرفونه، فاخبر الصحفي الذي اجرى معه المقابلة: بانه قد غير الكثير من نظرياته، ومنها هذه النظرية التي اكد الوردي علميتها (بقوله ان النظرية العلمية خاطئة وكلام الرئيس صحيح) واعتقد انه لو كتبها لوضع علامة استفهام في آخر السطر، فكيف تكون نظرية علمية وهي خاطئة وكلام الرئيس صحيح!!، ولكن الصحافة الطبالة في ذلك اليوم تناولتها كانجاز للرئيس وفكره.

ثانيا : اخبرني الاستاذ مؤيد عبدالقادر مسؤول الرقابة على الكتب في وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بانهم تلقوا توجيها بمنع اسم الوردي وليس كتبه من التداول، ومنعت بذلك كل كتبه على اختلاف طروحاتهم بما فيهم كتاب وعاظ السلاطين والذي يصب في طرح يتوافق مع هوى حزب البعث من النشر والبيع والتداول، وكتاب الاحلام، الذي يناقش قضية الاحلام، وخوارق اللاشعور.

ثالثا : منع الدكتور علي الوردي من السفر، وضاعت عليه بذلك فترة النقاهة الصيفية التي كانت جامعة وارشو البولندية تدعو فيها ليكون استاذ زائرا وبقي على هذه الحال، حتى بعد ان اعترف صدام بصدق نظرية الوردي عام ١٩٩١، حين بعث مرافقه الاقدم اللواء ارشد ياسين لكي يطلب من الوردي كتبه لكي يقرأها الرئيس، وسوف نأتي على سرد هذه القصة بتفاصيلها ايضا.

ويبدو ان مديرية الامن العامة قد كشفت تحقيقاتها عن الوردي في هذه الفترة واكتشفت انه ينتمي الى الحزب الشيوعي العراقي!!!، وذلك في وثيقة زودني بها الشيخ سليم الجبوري صادرة عن استمارة مديرية الامن العامة بتاريخ ١٠/٤/١٩٨٥ (اي بعد لقاء صدام حسين بالصحفية الامريكية بعامين)، ورقمها ١٠٠ ومستواها (مهم) تؤكد على ان: علي حسين محسن الوردي، ولادة بغداد سنة ١٩١٣ ونشاطه شيوعي، وهو دكتور في جامعة بغداد، ويسكن في بغداد الكاظمية العطفية، دار ١٨/٣، ورقم قيده في الامن ٨٨- ٥١٤٠٧١٨، ويذكر فيها الملازم حميد رشيد: ان الوردي منتمي الى الحزب الشيوعي العميل ومن النشطين فيه، وذلك من خلال معلومات داخل اضبارطه الورقية، وانه قد منح سابقا موافقة سفر الى الدول العربية بالكتاب المرقم م٣٦٥٧٤/٤٥ في ١٩٧٠/٧/٧.(صورة الوثيقة ضمن وثائق هذا الكتاب).

يبدو انه وكعادة رجال الامن في ايجاد التهم المعلبة للمواطنين، وجد الضابط حميد رشيد تهمة الانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي الى الدكتور الوردي معتبرا اياه من النشطين في الحزب، من خلال اضبارته الورقية، وكان رأى الوردي في مخالفته لتوجهات الحزب الشيوعي العراقي آنذاك معروفة، وبل ان انتقاد الوردي للفكر الماركسي كان منشورا في كتبه، وهو الذي تخرج من الولايات المتحدة الامريكية، وجاء الى العراق متأثرا بالسياسة البراغماتية الامريكية التي تختلف جملة وتفصيلا مع مباديء الحزب الشيوعي، ولكن هذا قدر كل المفكرين مع رجالات الامن الاشاوس!!!.

وبذلك اسدل الستار الحديدي على الدكتور الوردي قبل سنة واحدة من تأسيسه لمجلس الخاقاني، واتذكر اني ذهبت معه في بداية فصل الصيف من عام ١٩٨٩ الى السفارة البولندية في منطقة المسبح ببغداد، وقد استقبلنا

من قبل القنصل البولندي احسن استقبال، وختم جواز علي حسين محسن الوردي، مواليد ١٩١٣ في بغداد، بتأشيرة دخول الى (وارشو) بناء على الدعوة المقدمة من جامعة وارشو، ولكن الوردي لم يسافر، لأنه كان ممنوعا من السفر، هذا ما ترتب على رأي الرئيس المناقض لرأي الوردي، واعتقد ان الوردي رحمه الله تعالى استوعب العقوبة وقبل بها، لأنها لو قيست بالعقوبات التي كانت تجري على غيره، فان عقوبته كان من وجهة نظره تكريما.

يعتقد الوردي ان الانسان في العراق تزداد قيمته في المجتمع وخاصة بين العوام من الناس اذا ما كانت الحكومة ضده، وكان رحمه الله يكرر دائما قصة ذلك الشخص الذي يرمي بحذائه فوق كل بيت يتعرض للسرقة، لكي تستدعيه الشرطة ويهابه الناس، واذا ما اهمله المحقق فانه يذهب شخصيا ليستفسر من المحقق، هل وجدوا دليلا او شيئا يدل على اللص؟ حتى قال له المحقق يوما نعم وجدنا حذاءك لكني لن اريحك وادخلك السجن كي تشتهر بسببي !!

والوردي يعتقد وكذلك كل اهل الشرق بان كل ممنوع مرغوب، وان الناس باتت تبحث عن كتب الوردي بعد ان سمعت رأي صدام حسين بها ومن ثم منعها، فكان يسعده حين يسمع من الناس انهم يقومون باستنساخ كتبه وبيعها، لذا الوردي حقق بعض من احلامه بسبب كره صدام له، ولم يحقق الحلم الاكبر الذي سرني اياه وساتركه لنهاية هذا الفصل، اما الكاتب الذي خلط بين هذا الحدث وبين زيارة المرافق الاقدم للسيد الرئيس لبيت الوردي لكي يأمره باهداء كتبه الى السيد الرئيس، مدعيا ان هذا هو ما ترتب على حديث صدام حسين، فان كلامه فيه تزييف للاحداث وتزوير للحقائق!

والدليل على ما اقول هو قول الكاتب: (ان المرافق الاقدم حينما سلم على الوردي، اجابه الوردي: لا عليكم السلام ولا رحمته ولا بركاته، فعندما

استفسر المرافق لماذا يا دكتور، اجابه الوردي: انا مريض وانت تمنع عني السفر الى الخارج للعلاج، وقد وردت هذه القصة في احد الكتب كالتالي: (وبعد مناقشة طويلة عند- الباب - قال له كبير المرافقين إنه قصده لأنه بحاجة إلى كتبه، فقال له الوردي: لا توجد عندي نسخ من كتبي. ولكن عندما قال له إن السيّد الرئيس هو الذي يريدها، قال له الوردي: إذا للسيّد الرئيس أنا أصير (كتب) له، وسلمه نسخاً من كتبه كلّها...)، بناء على ما تقدم من كلام الكاتب، يمكن ان نستنتج التالي:

اولا : حينما جاء المرافق الاقدم الى بيت الوردي، كان الدكتور علي الوردي ممنوعا من السفر، والدليل انه لم يرد سلام المرافق، وحين سأله المرافق لماذا يقول له (لا عليكم السلام...) اجابه الوردي بانه مريض وهو منع عنه السفر الى الخارج للعلاج.

ثانيا : يبدو من سياق القصة ان المرافق كان قد وعد الوردي برفع منع السفر عنه، ولكنه لم يحقق ذلك في الواقع مما جعل الوردي لا يرد على سلامه، ويظهر ذلك جليا من خلال جملة الوردي الواضحة الدلالة: وانت تمنع عني السفر)، ولم يقل له توسط انت لكي يرفعوا عني منع السفر.

ثالثا : ومن خلال هذا السياق يبدو انه قد اختلطت بعض قصص الوردي الاحداث التي مر بها عند الراوي، فظهر الارتباك على القصة، ولأننا نكتب تاريخ الوردي، فيجب ان نتوخى الدقة، وقد ظهرت عبارة ان الدولة كانت تهاب الوردي وهي كلمة حق، لكنها اي الدولة العراقية قد ضربت الوردي في مقتل من خلال الخطوات التالية: احالته على التقاعد بمنصب شرفي هو استاذ متمرس ثم سرعان مع سحبت منه هذا اللقب، ومنعت مؤلفاته من التداول، وقد جاء المنع على اسم الوردي وليس على مؤلف من مؤلفاته، اي ان كتبه العلمية اصبحت حسب هذا لقرار ممنوعة، ثم منعت

كتبه من الطباعة والنشر، وسحبت طاولته الخاصة من جامعة بغداد، ووصلته تهديدات اكثر من مرة، واحدة منها كما يقول الاستاذ سلام الشماع كانت من عميد احدى الكليات الذي طلب منه انهاء المحاضرة او انه سوف يتصل بالشرطة لتأتي وتلقي القبض عليه، ثم منع من السفر خارج العراق للمشاركة سواء كاستاذ زائر في الجامعات او المشاركة في المؤتمرات العلمية، وكذلك فقد اهملته الدولة بعنوانه عالما من علماء العراق، حيث لم توجه له الدعوة لحضور اي مناسبة علمية او احتفالية كان يدعى اليها الاساتذة او المؤرخين او الكتاب في العراق، وكذلك نشرت الدولة اشاعة بان الوردي ايراني فارسي الاصل ابان الحرب العراقية الايرانية، ونشر ذلك في كتاب ولنترك النقل للاستاذ سلام الشماع الذي يروي: (لقد قال عنه صاحب كتاب "في الأدب وما إليه": "وحسب اعتقادي ينتمي الوردي إلى جيل طازج من المهاجرين الفرس إلى العراق". وردّ الدكتور (الورد) على هذه التهمة وسفهها وفنّدها تماماً في مقدّمته لكتابي "من وحي الثمانين" في طبعته الثانية والثالثة) ويروي الشماع رواية اخرى تؤكد ان نسبة الوردي الى بلاد فارس كانت مقصودة من الدولة العراقية آنذاك، حيث يقول الشماع: (ولكنني عشت مع الوردي حادثة مهمة ترتبط بهذه التهمة. ففي أثناء الحرب العراقية الإيرانية طلب منّي الوردي مرافقته إلى مديرية الجوازات لتجديد جواز سفره. وعندما دخلنا إلى غرفة الضابط المسؤول وجدنا عنده مجموعة من النساء فحاول هذا الضابط الاستخفاف بالوردي.. فأمسك بالجواز وبدأ يهزه ويقول: "أنتم بيت الوردي ما هو أصلكم؟ هل أنتم تبعية لكي نسفّركم؟ من أين أنتم؟" فأجابه الوردي بهدوء قائلاً: "والله نحن من الحجاز ولكن تورطنا وجئنا إلى العراق)!!، ولا يشعر بخطورة هذا القول من ضابط جوازات اثناء الحرب العراقية الايرانية باتهام احد ان اصله من بلد العدو الذي هو في حالة حرب مع العراق!!، وفي خاتمة المطاف لم يحضر اي مسؤول حكومي ممثلا عن الحكومة كما

كان متعارفا في العراق آنذاك، الى مجلس الفاتحة المقام على روح علي الوردي، وقد اجبرنا العلامة محفوظ ان ننتظر في ثالث يوم مجلس الفاتحة وهو اليوم الاخير حتى الساعة الحادية عشر ليلا، خشية منه ان يأتي من يمثل رئيس الجمهورية في مجلس الفاتحة ولا يجد احداً في استقباله.

وما كان متعارفا حينها، حيث كان احد مرافقي الرئيس يحضر لتقديم العزاء بالنيابة عن الرئيس، وحينما عدنا الى بيوتنا كانت الشوارع مقفرة، وليس بيننا وبين صلاة الصبح الا اربع ساعات فقط، والمضحك المبكي انه قد حضر الى مجلس الفاتحة طارق عزيز نائب رئيس الوزراء وحامد يوسف حمادي وزير الثقافة، الا ان كلاهما وقبل قراءة سورة الفاتحة اوضحا للحضور بانهما يمثلان نفسيهما، كون الدكتور الوردي كان قد درسهما في الجامعة، ولا يمثلون الدولة او رأس الدولة.

ولأجل توضيح ما اشار اليه العلامة محفوظ في احدى لقاءاته الصحفية، من ان للوردي قصص مضحكة وهو يعبر جسر الائمة بين الاعظمية والكاظمية!!، ولم يستطع العلامة محفوظ حينذاك تبينها، هي القصة التي صنعها الوردي ونشرها الاستاذ سلام الشماع في احدى الجرائد العراقية في عهد صدام حسين، حيث منع رجال الاستخبارات العسكرية الدكتور علي الوردي من المشي على رصيف جسر الائمة الرابط بين الكاظمية والاعظمية من جهة اليمين بسبب وجود مبنى الاستخبارات بعد النزول من الجسر، فكتب الوردي مقالا شكى فيه معاملتهم له واجباره على الانتقال الى الجهة اليسرى من الجسر بالرغم من ان السيارات القادمة لا ترى الذي يعبر من وسط الجسر، فقال في مقاله: كنت اصلي واشكر الله على ما منح به العراق من النعم واذا بصوت ينتهرني قائلا اذهب الى الرصيف الثاني من وسط الجسر!، واضاف الوردي في المجلس قصة على هذه المقالة بعد

نشرها وشهرتها بين الناس، قائلا: كنت امشي على الجسر، فاذا بسيارة تقترب من الرصيف وتخفف السرعة واذا هي مرسيديس سوداء اللون ومظللة بالكامل، فتح مدير الاستخبارات شباك السيارة المظلل، وسألني دكتور تصلي؟، فقلت نعم، فقال واحد بيك وعشرة بصلاتك وذهب!!، واعتذر لأني اتيت بهذه القصة اضطراداً لكي يطلع القاريء على روح الفكاهة والتهكم عند الوردي وللتوضيح فقط.

اقول ربما احتفظ الوردي في مذكراته اضعاف القضايا مما ذكرت، وانما ذكرت ما شاهدت وعايشت خلال عشرين عاما كان فيها الوردي ملأ العين والبصر، ولم انقل هذه القضايا الا للتاريخ والحقيقة بعد انتظار قارب العشرين عاماً.

قال على الوردي بان على العراقيين ان يغيروا انفسهم ويصلحوا عقولهم قبل البدء بإصلاح المجتمع، واحب من خلال هذه العبارة الوجيزة الدقيقة ان اتقدم لجميع الاصدقاء والاخوة والاساتذة الذين كتبوا عن الدكتور علي الوردي وخاصة في طروحاته السياسية وآراءه الفكرية، ان لا يغلفوا الوردي بمعتقداتهم ولا يلبسوه لباسهم ولا يدعوا عليه ما لم يقله، وأُشهد الله سبحانه انني قرأت من بعض الذين كتبوا عن الدكتور الوردي ما لو ظهر الوردي من قبره وقرأه لأستغرب منه، وهم لم يراعوا ان غيرهم عاش مع الوردي وسمع منه، ولكنهم ارادوا تبيض صفحة او تعديل موقف سياسي من هنا وهناك، حتى ان احدهم التقى في سوريا باحد رجال الدين الذين يعيشون خارج العراق، فاراد مجاملته فاضاف اسم الشيخ واسم والده المرحوم في موضوع مقحم على كتابه عن سيرة الدكتور علي الوردي للمجاملة او لأي امر آخر نجهله.

اخي المؤلف الكريم الذي تكتب عن الدكتور علي الوردي عالم

الاجتماع العراقي المعروف، عليك بخدمة كتابك، وبذل الجهد والبحث والمثابرة والدقة والتحقيق والتدقيق حتى تخرج بنتيجة مرضية لك كاتباً وتكسب احترام قراءك وتعطي انطباعا صحيحا عن الدكتور الوردي للتاريخ الذي تسجله، ولكي اقرب الصورة اكثر، ارجو من الاستاذ الذي يتلقط قصص الوردي وينشرها في كتب تجاوزت الخمسة كتب الى هذا اليوم، بان صديقا اتصل بي من دولة اجنبية يستفسر عن قصة في احدى هذه الكتب، والتي تقول ان امرأة في الولايات المتحدة الامريكية طلبت من الوردي ان لا يسلم على جارتها لأنها ليست شريفة، وحين استفسر الوردي عن الامر، قالت له السيدة الامريكية، ان جارتها كانت لا تطفيء الشموع اثناء قصف القوات الالمانية في الحرب العالمية الثانية على الولايات المتحدة!!، تسأل صاحبي مستغربا، ومتى قصفت الطائرات الالمانية الولايات المتحدة؟ لكي يطفئوا الكهرباء ويشعلوا الشموع، فاعتذرت منه وقلت له ان (صاحب الوردي) يقصد المملكة المتحدة وعاصمتها لندن، ويبدو انه اخطأ في الكتابة فكتب الولايات بدل المملكة!، لكني اراها قصة مستعجلة وغير دقيقة وغير مسبوكة، وختاما اعتقد ان الوردي يستحق منا ان ندقق فيما نكتب عنه والسلام.

الخاتمة: مئة عام مع الوردي

رحلة مئة عام من حياة الدكتور علي الوردي العالم الاجتماعي العربي العراقي انتهت عن هذه الصفحات واختصرت في اربعة فصول وكأنها تمثل سنة واحدة، كان خريفها الفصل الاول الذي اعطيت فيه صورة قلمية عن الوردي، وصيفها الحار الفصل الثاني حيث نقلت صورة الوردي كما عرفته، وهي صورة يشاهدها الناس اول مرة، وربيع فصولها الثالث حيث دراسة فكر الوردي كتباً وعلماء تأثر بهم ومناهج بحثية ومناقشات مع علماء وصدى تأثيره على علماء ايران، واخيرا كان الفصل الرابع يمثل الشتاء حيث الوردي والسياسة، وبكل تفاصيلها، ربما اغتاض بعض الاساتذة والاصدقاء على هذا الفصل، وربما اعجب آخرين، وسوف يظهر من يناقش المضامين، لكن تبقى صورة السياسة عند الوردي التي نقلها هذا الكتاب هي الاقرب الى الحقيقة.

تعرفنا في هذا الكتاب على الدكتور علي الوردي عن قرب، رسمنا صورة قلمية له، تنقلنا معه اسما، نسبا ومنذ ولادته مرورا بمراحل الطفولة والشباب والمدرسة والدراسة الى التدريس، انتقالا الى بيروت حيث الدراسة الجامعية، ثم الولايات المتحدة حيث الماجستير والدكتوراه، وما تخلل هذه المرحلة من امور اجتماعية كالزواج، ومن امور سياسية حيث انفتحت الافاق امام الوردي بعد ان ركب الطيارة الجامبو، ثم عودته الى العراق وتأسيسه علم

الاجتماع حتى احالته الى التقاعد واستمرارا لنشاطه العملي الى ان انتقل الى المجالس الادبية واسس مجلس الخاقاني في بغداد، ثم وفاته وتشيعه، تلك اهم المحطات في حياة الوردي، المحطات التي لم يتسن له ان يكتبها او انه كتبها وضاعت، وطالما انه قد قصها علينا ورأينا احداثها وجب علينا كتابتها ونقلها للاجيال القادمة.

ولأننا جيل تعرف على الوردي رحمة الله عليه عن قرب، وقد حرم غيرنا هذه الفائدة وهذه المتعة، فقد طاف هذا الكتاب على لمحات من تاريخ الوردي حيث كانت سينما بغداد وعبارته التاريخية المشهورة: سوف ادخلك التاريخ، وقد فتحنا كوة من نور على جوانب من حياة الوردي لم يكن هو نفسه يصرح بها، وهي صورة غير معهودة حيث الوردي اسلاميا وعروبيا، وقد لخص الكتاب بعض آراء الوردي في المجتمع، وان كانت صادمة للمجتمع ومنها دعوته الى عدم غلق مبغى بغداد في العهد الملكي، وكيف كان يرصد المجتمع بمنظاره الخاص وكيف يقارن، وقد رافقته وهو يسير مع الشاعر الشنفرى في شارع المتنبي ويعبر الشارع في راس الحواش ويصلي في الحضرة الكاظمية ويتألق في كنيسة الارمن الارثوذكس ويذهب الى الحلقة الذكر في التكية الكسنزانية، ويلعب فن السياسة في وزارة النفط، وكيف منعت دولة قطر محاضرته، ونقلت للقراء لماذا تملكني الرعب وانا استمع الى محاضرته في قاعة امانة بغداد، مع تحذير الاصدقاء بعدم المبالغة السياسية امام الوردي، ومن ثم حضوره لثلاث فواتح لمسؤولين، وكيف عقد اتفاق هدنة في مجلس الخاقاني بين الوردي وخصومه، وما وجه اعتراض الوردي على فتوى الامام الخميني في الملكية الفكرية، وما هي مصطلحاته الخاصة، وماذا يعني بشكره للمداحين في عيد ميلاده الثمانيني، وكيف وجد المذهب التلفيقي الذي يحل الرقص والنساء وشرب النبيذ، واخيرا مناكفات مجلسية كانت مع الوردي للذكرى.

لقد حاولت في هذا الكتاب ان ادرس الوردي فكريا، فكانت ملخصات كتبه التي نشرها منذ عام ١٩٥١ الى عام ١٩٧٩، ثم من هم العلماء الذين تأثر بهم قبل التخصص وهم: السيد هبة الدين الشهرستاني، الدكتور مصطفى جواد، السيد محسن الامين العاملي، الملك فيصل الاول، سلامة موسى، ومن العلماء الذين تأثر بهم فكرياً فكان: ابن خلدون، وليام سمنر، ارنولد توينبي، دايل كارينجي، وكذلك العلماء الذين تأثر بهم في الدراسات السياسية الاجتماعية وهم: ستيوارت ميل وميكافيللي، ثم اوضحنا حديث قصير عن المنهج، ما هي آليات ومناهج البحث عند الوردي، وقربنا صورة العلماء الذين تأثر بمناهجهم البحثية وهم: تالكوت بارسونز، اميل دوركايم وكارل مانهايم، ثم كشفنا من خلال كتبه مخالفته الصريحة للفلسفة المادية الماركسية، ثم ابرزنا اثره وتأثيره الفكري على المجتمعات المجاورة، واخذنا تأثير فكر الوردي في ايران على الشيخ مرتضى مطهري والدكتور علي شريعتي، وكذلك اخترت لكم آخر مناقشات الوردي في مجلس الخاقاني وكانت مع العلامة حسين علي محفوظ، العلامة الشيخ عيسى الخاقاني، الشيخ علي طهراني، السيد عبدالرزاق الحسني، عبدالله فاضل وزير الاوقاف الاسبق في العراق، ولكي يكتمل الجانب العلمي للدكتور علي الوردي وضعنا قائمة ببعض المصادر الاجنبية التي استندت على نظريات الوردي.

واخيرا كان رأي الوردي في السياسة، قديما كيف يرى خلاف علي ومعاوية اذ يعتبره اختلاف المناهج، وفي الحاضر عنده السياسة فن الممكن وانها يجب ان تستند على البراغماتية حتى وان كان منهجها صادم للمجتمع لكنه صادق في التطبيق، والحل الدائم هو في الديمقراطية والمواطنة وحكم القانون، وكذلك وضعت امام القاريء الكريم ما استطعت ان اجمعه من راي من الوردي عن حكام العراق، فيما عدا رأيه بصدام حسين الذي عشته وعايشته معه، فقد كان الوردي معجبا بالملك فيصل الاول، ولكنه يعتقد ان

الملك غازي لا يجيد السياسة وان عبدالاله قد اطاح بعرش العائلة المالكة وبالملك فيصل الثاني، اما عن العهد الجمهوري فالوردي قاله بوضوح ان عبدالكريم قاسم زعيم شعبي ولا ينفع رئيسا للعراق، وكذلك كان يعتقد ان عبدالسلام عارف هو اول من مزق العراق طائفيا، وان فترة حكم عبدالرحمن عارف كان فيها متسع من الحرية ولكنه لم يأخذ فرصته، يعتقد الوردي ان احمد حسن البكر رسخ حكم القبيلة في العراق، وان صدام حسين ثبت حكم القرية، وقد اعترض صدام حسين على فكر الوردي في مقابلة مع صحفية امريكية، وقد وضعت المقابلة، ومن ثم الاضرار التي لحقت بالوردي بعد ان اعلن صدام حسين انه يناهضه، وقد قال صدام حسين لا احب الوردي، وقد اجاب الوردي في محاضرة سجلها امين العاصمة لكي يسمعها الى صدام، قال الوردي: ان كنت لا تفهم في السياسة اتركها واذهب... ويختتم الكتاب بمجموعة من شهادات الوردي الجامعية وغلاف رسالته الجامعية وصور نادرة للدكتور علي الوردي لم تنشر من قبل بالاضافة الى بعض وثائق من مديرية الامن العامة حصلت عليها من الشيخ سليم الجبوري في الشهر السابع من عام ٢٠١٣.

القراء الكرام في خاتمة هذا الكتاب الذي سار مع الدكتور علي الوردي خطوة بخطوة، والذي حاولت فيه ان اختار اهم المحطات التي مرت في حياته، وقد صححت بعض الاخطاء التي انتشرت عنه، بايراد القصة الحقيقية، يجب ان اعترف باني ربما لا اتفق مع ما ورد من آراء للوردي في هذا الكتاب، لكن الحقيقة التاريخية التي يجب ان تكون صادقة اوجبت علي نقل ما قاله الوردي، وما حدث له من وجهة نظره هو، لا وجهة نظري، لأضع امام القاري الكريم منهجاً علميا تعارف عليه الغرب وهو الكتابة بحيادية، عكس ما يحمله كتاب الشرق في الكتابة بتحيز، وهي مدرسة الوردي الفكرية، وان كنت تشربت بها طفلا وشابا عند العلامة الشيخ عيسى

الخاقاني ودرستها عند العلامة حسين علي محفوظ، فكان الوفاء يحتم علي ان انقل ما رأيته بامانة، وادعو بقية الاساتذة الذين كتبوا عن الوردي، واعلم انهم سيكتبون ايضاً، بان يراجعوا ما كتبوه للتاريخ حتى وان خالف معتقداتهم السياسية والدينية!

وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين

محمد عيسى الخاقاني

استمارة الهوية
ت ٦٠٠

٢٩١٦ / ٦٥ م ١٩٩٥

رقم التدقيق	رقم القيد	السجل	نوع العملية	صفة الفتح		الحصة الاضبارة		تاريخ العملية يوم شهر سنة
1	٥١٤٠٧٦٨ ٨٨	١	(١) فتح ٢ تعديل ٣ الغاء ٤ تدوين	٦٠	١	١ غير مهم (٢) مهم ٣ سري للغاية	٢	٥١٠٤١٠

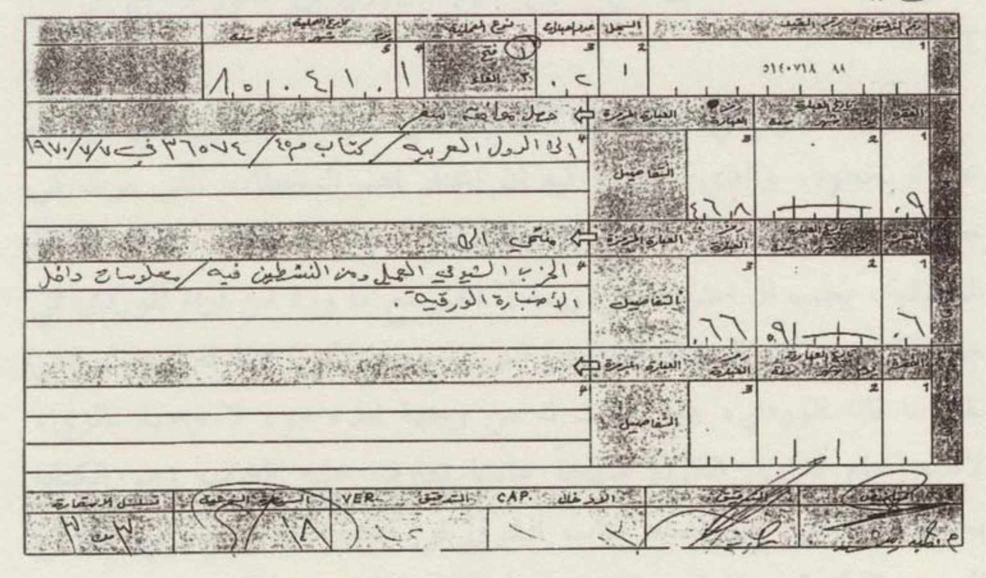
الاسم الثلاثي (٣٥ح)		اللقب (١٥ح)	الجنس
علي ٢ حسين ٢ محسن	١	١ الوردي	(١) ذكر ٢ انثى

تاريخ الولادة يوم شهر سنة	محل الولادة او (سبب ترقين القيد) (٢٠ح)	الحالة الزوجية
١٣	بغداد	٣ الرهبنة ٤ متزوج ٥ مطلق ٦ ارمل

النشاط		السنة	الشعبة	وصف ومكان المهنة (٣٠ح)	رمز قطاع المهنة	السنة	القومية	الدين
شيوعي	١٠١	٥٩	م ٤٥ ١٠٩	دكتور في جامعة بغداد	٠٥٠١٠	٦٤		

العنوان	المحافظة والقضاء	الرمز	تفاصيل العنوان (٤٠ح)	الس
	بغداد / الكاظمية	٢٠٥٠	الحطيفية دار ٣/١١٨	٤

المدقق	المرحل	الادخالات CAP.	الترحيل VER.	السلطة النوعية	تسلسل الاستمارة
(توقيع)	(توقيع)				١ من ١



استمارة الخلاصات
ت ١٢٠

رقم المتشابه / رقم القيد	السجل	عدد العبارات	نوع العملية		تاريخ العملية يوم شهر سنة	
٥١٤٠٧٦٨ ٨٨	١	٠٢	(١) فتح ٣ الغاء	١	٨٠١٠٤١٠	

الفقرة	تاريخ العبارة يوم شهر سنة	رمز العبارة	العبارة المرمزة
٠٩		٤٦٨	حمل جواز سفر
التفاصيل			الى الدول العربية / كتاب م٤٥ / ٣٦٥٧٤ في ١٩٧٠/٧/٧
٠٦	٥٩١	٦٦	منتمي الى
التفاصيل			الحزب الشيوعي العميل ومن النشطين فيه / معلومات داخل الاضبارة الورقية.

المدقق	المرحل	الادخال CAP.	الترحيل VER.	السلطة النوعية	تسلسل الاستمارة
(توقيع)	(توقيع)	٢ / ١	٢	١٨	٣ من ٣

استمارة الوردي الامنية

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الداخلية
مديرية الامن العامة

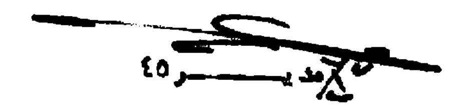
يرجى الاشارة الى الرقم كاملا

العدد ٤٥س/٦/٢٢٤٩٦
التاريخ ١٩٥٩/١٢/٢٠

سري

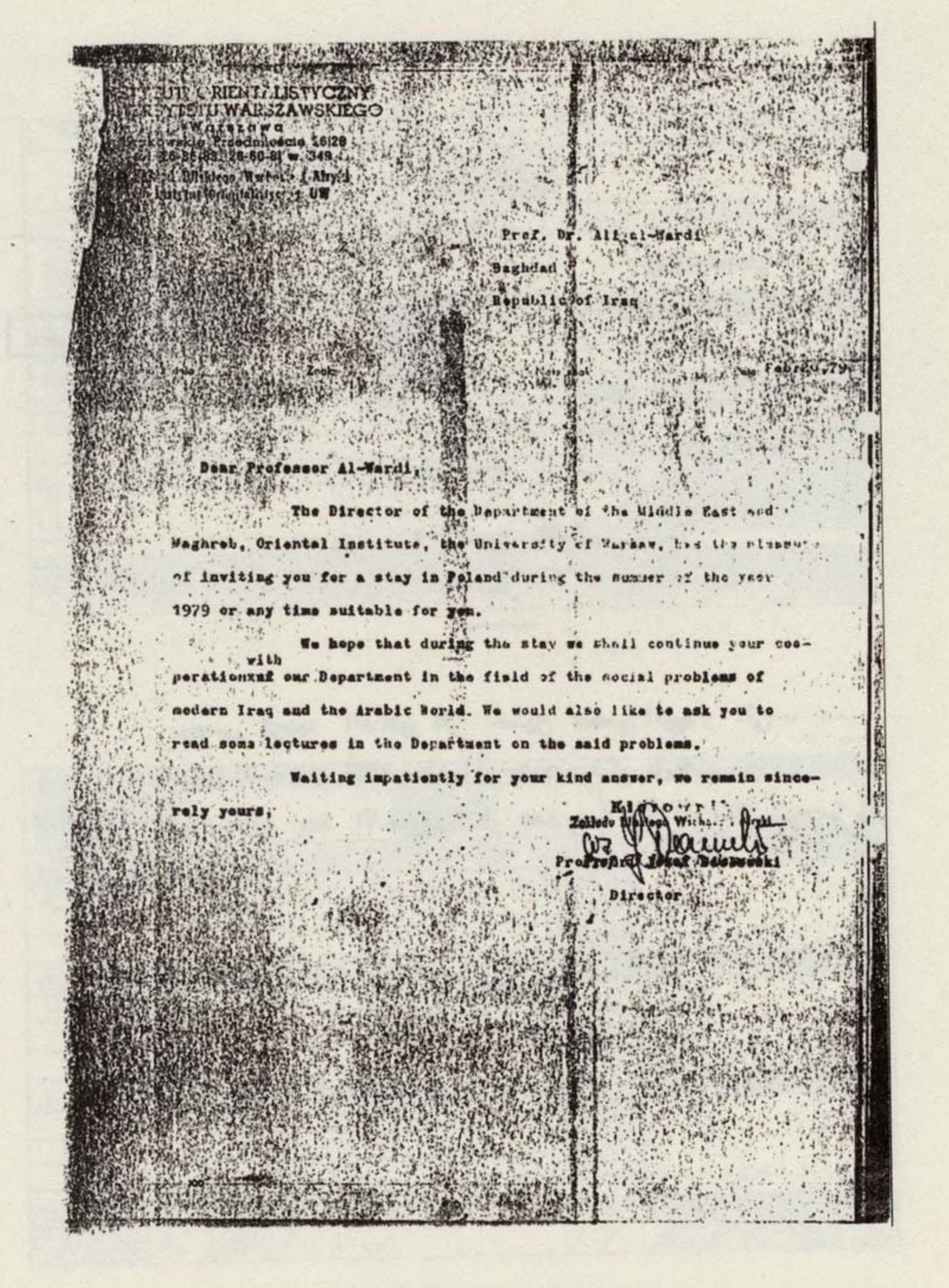
مديريــــة البحوث والتطويــــر
م/ حذر

يرجى توجيه الدكتور علي حسين محسن الوردي الى ضرورة الحذر في القاء محاضراته وتجنب ذكر ما يمكن ان يستفاد منه الاخرون مثل تهديد لامننا الداخلي [illegible] [illegible] لذا [illegible] .



مديــــر ٤٥

توجيه الوردي بالحذر في محاضراته



INSTYTUT ORIENTALISTYCZNY
UNIWERSYTETU WARSZAWSKIEGO
Warszawa
Krakowskie Przedmieście 26/28
tel. 26-[illegible] 26-60-81 w. 349

Prof. Dr. Ali al-Wardi
Baghdad
Republic of Iraq

Febr. .79

Dear Professor Al-Wardi,

The Director of the Department of the Middle East and Maghreb, Oriental Institute, the University of Warsaw, has the pleasure of inviting you for a stay in Poland during the summer of the year 1979 or any time suitable for you.

We hope that during the stay we shall continue your co-operation with our Department in the field of the social problems of modern Iraq and the Arabic World. We would also like to ask you to read some lectures in the Department on the said problems.

Waiting impatiently for your kind answer, we remain sincerely yours,

Professor Józef Bielawski
Director

دعوة معهد الدراسات الشرقية جامعة بولندا

موافقة سفر للوردي سنة ١٩٦٥



هذا الكتاب

عشرة أعوام عشتها مع الاستاذ الدكتور علي الوردي كانت بمثابة مئة عام، فقد عايشته تاريخا ممتداً، تحدث فيه معي عن طفولته، شبابه ودراسته، ودخوله العراق كفاتح علمي اراد نقل المجتمع البدوي الى مجتمع مدني يحكمه القانون في اوائل الخمسينات، حدثني عن تحوله الفكري في بيروت حين ذهب لدراسة البكالوريوس، بعد ان كان قبلها بسنين يقف في الحضرة الكاظمية شاعرا مفوها في المناسبات الدينية، ثم انتقالتة الفكرية الاخطر حين دخل جامعة تكساس لنيل الماجستير والدكتوراة، وكيف ان رئيس الجامعة انتدبه لينيب عنه بالقاء محاضرة في جامعة نيويورك، كرمه على اثرها عمدة نيويورك آنذاك، حدثني كيف عاش وتعايش مع الانظمة السياسية المتعاقبة على العراق.

شاءت الاقدار ان ارافقه ايام مرضه الاخيرة، حين اصيب بسرطان المرارة الذي ادى لوفاته، خططت شخصيا لعلاجه خارج العراق ونجحت ولله الحمد بمساعدة بعض الاخوة لنقله الى الاردن للعلاج، وسوف اورد قصة علاجه في هذا الكتاب، لكن لسوء الحظ كان المرض قد استشرى في كل جسمه، فعاد الوردي الى العراق بعد اجراء عملية فاشلة في عمان، يقضي آخر ايامه في بيته بالاعظمية حتى وافته المنية.



DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution

88 Chalton Street
London NW1 1HJ
Tel: 44 (0) 20 7383 4037
Fax: 44 (0) 20 7383 0116

Email: hikma_uk@yahoo.co.uk
Web site: www.hikma.co.uk

ISBN 978-1-908918-63-5



